

التركيبية

الإسكندنافية

مقدمة

بالكاد لسنا الوحيديين عليها، ولسنا الوحيديين الأبطال؛
سدّ منيع يحول بينها وبيننا "الوحوش الأسطورية". نعم هي،
إنها حقيقة وواقع؛

مجرد وحوش، إما عملاقة وإما طائرة أو ذات قرن
خرافي. وليس في هذا تعجب بالمرة ولا شيء يُثير التحفز
والانتباه. وما العجب في هذا إن كان هذا طبيعيا ومتوقعا على
هذه البقعة من الأرض "إسكندنافيا". أرض الشمال - بل شمال
الشمال. هذه البقعة التيلم يكن يُعرف لها وجود حتى في
مُخيلاتنا، أبت الأنبالا أن تتحدث عن نفسها وتُعلن عن
أبطالها "الفايكنج النورمان".

هي "إسكندنافا" كما يُسمونها أو كما يطلقون عليها. والعجب
الحقيقي.. ذاك السد المنيع.

هم قبائل كما عرفناها أو كما يقولون عنها، متوحشة. لكن
العين التي أراهم بها والناحية التي أقف عندها لأراهم،

نائية. فنحن المتوحشون في فهمنا ووصفنا للآخر الشمالى. أراهم متوحشين ولكن بمبادئ وعادات وتقاليده تُناسب هذه البقعة من الأرض التى خلّقوا وصنّعوا لها، ليس اختياراً منهم بل اختياراً عليهم، ولو اختاروا لما كانوا هناك .

أناس ليسوا أصحاب دين، وثنيين، ولكن أُختيروا بعناية الإله لهذه الأرض كسد منيع لصد وحوش أسطورية. ربما أسطورية لمُخيلاتنا، أما بالنسبة لهم فهي حقيقة وواقع .

وقد بدأ الأمر بصرخة، لتبدأ القصة فى غموض، ويبدأ هو صناعة مجده المنتظر بقلب شجاع وساعد قوي وصرخة غاضب جسور .

فمن هو ؟!! .

أثبتت صرخته لئان ليس كل وثني كما نعتقد: كافرا، وجاهليا. أرى الأمر الآن بعقل مختلف. فكلما أسمع صوته يصرخ فى أذني أفقد التركيز على أي شيء وكل شيء إلا هو. يصرخ ويقول لي: اكتب ولا تتوقف عن الكتابة فلديك ما تكتب، لديك

قصة لترويتها عن مجد العظماء الذين صنعوا البطولات
بالتضحية وليس القتل، تعطشوا للبطولات فوجدوها تكمن في
التضحية من أجل ضعفاء البشرية، الذين تركهم الطغاة
ينوحون على قتلاهم خائفين ومخزيين في ربوع الأرض من
مشرق الشمس إلى مغربها.

فصرخة واحدة في أذنين حنجرتها لصادقة التيلم تنطق
بالكذب يوماً ولم تعرف له قيمة؛ كانت مزيجاً من مئات الحروف
بكل اللغات يفهمها من يسمعها ويستطيع ترجمتها دون عناء أي
إنسان، كما فهمتها أنا وفسرت طلاسما. ربما لأنها توقظ
الضمير الميت أو ربما لأنها صرخة حياة للإنسانية.
هو "بيوولف".

صاحب الصرخة وصاحب القلب الذي أنار للبشرية طريقاً
لصناعة المجد والبطولات. الذي أنار للبشرية طريقاً لتحرير
الأمم من بطش الطغاة.

ولأنهم تلك قلبه وطعن فيه الخوف بخنجر مسموم؛ تلاشى
أمامه كل جبار. وكونه لا يشعر بالحياة قط؛ لا يخشى الموت
فقط لأنه "بيوولف".

بدأ الأمر بصرخة تعالت فى الأفق واتسعت باتساع المحيط،
صرخة اختبأت على إثرها الشمس خلف الغيوم ولم تُعد،
وهبت لها عاصفة هوجاء تلاعبت بالسفن ومن عليها؛ فلقد ولد
بطل جديد من رحم هذا البحر الأهوج وهذه الرياح العاصفة
الثلجية والسماء الممطرة الرعدية.. وتبعث تلك الصرخة
صرخات ليبدأ القتال. ومن ثم تعانقت الصوارى والرايات
وتشابكت السواعد والسيوف، فتشابعت الجثث واختلطت
دموهم.. ثم تعالت صرخات أخرى ولكن من حناجر ناضجة
خشنة، تلك الصرخات كانت من أجل "وولفغار" .

الدنمارك أو (المملكة الملعوننة): سنة ١٠٣٨ م

... شتاء قارس، وليلاً دائماً ليس له نهار يُنتظر، واللييلة هي
الأشدّ برداً وبروداً من غيرها، إنه الوقت الأمثل.

(كلمات ليلية لا توحى إلا بالغدر والمكيدة من رجل غادر. فما
قسوة هذا الليل الذي دائماً ما تُدبر فيه المكائد على هذه الأرض
الملعونة لهُؤلاء الجبناء).

فتسلل هو وحارسه العملاق بعدة خطوات مختلصات في جنح
الليل، إلى أن وصل إلى غرفة أخويه الأكبر منه سناً، فأوقف
حارسه عند عتبة الباب وقام بتوزيع المهام فقط بالإشارة
بالإصبع، أشار إلى أحدهما اختاره لنفسه ثم أشار إلى
الآخر لحارسه، لينقضا معاً هو وحارسه في انطلاقة واحدة
بسكينيتهما ذاتي النصل البارد والقاسي مثل هذه اللييلة الباردة
العاصفة ليصبح أخواهما في لحظة غادرة جسداً بلا رأس، تتناثر
دماؤهما في أنحاء الغرفة دون ثمن.. ثم عاد إلى غرفته بدم
بارد لينال قسطاً من النوم قبل شروق الشمس
واكتشاف الفاجعة، وبعد أن أمر حارسه بإلقاء رأسيهما ببخيرة
(أريسو) أكبر بحيرات مملكتهم الملعونة.

"إنفارت" بن الملك "إكلوف". أو "قاتل إخوته" كما اشتهر بين العامة منذ الحادثة، ليستقل بالملك بعد أبيه دون منافسة من إخوته الأقوياء والأكبر منه سناً.. ورغم أنه غبي وأحمق وجبان هو حليف الشيطان وهذا ما جعله يستمر.

فبعد هذه الحادثة خشي الملك "إكلوف" ملك الدنمارك (المملكة ملعونة) على نفسه من غدر ابنه إنفارت، فعزله من قصره المتواضع ليجبره أن يستقربيت آخري صارع غرائزه الشريرة و حده بعيداً عن القصر الملكي.

وذات نهار خافت الإشراف على المملكة الملعونة في يوم شتوي بارد يعتاده الجميع بالشمال، وصل عبر البحر إلى شاطئها الملبد بالغيوم والضباب رسول من مملكة النرويج برسالة إستغاثة من سيده "إجتيكو" حليف الملك إكلوف.. ولم يستطع الرسول مغادرة السفينة والتقدم إليهم حتى اعتدل الجو وانجلى الضباب بالذيخيم على العيون بالشاطئ كما أوصاه سيده وحذره بتعليمات شديدة اللهجة "...وما إن وصلت سالماً بحفظ الآلهة لشاطئ المملكة الملعونة وقد كسا الأرض

الضباب، احذر أيها الرسول مغادرة السفينة وإلا أردوك قتيلاً
فى الحال، ثم وإن صفا الجو واعتدل فتقدم فى طلب لقاء الملك
إكلوف وأبلغه تحياتي ثم أبلغه رسالتي".

فاستيقظ إكلوف من نومته ككل صباح بلباسه شبه العاري
تقريباً كما الشماليون ليمارس مهامه الملكية باعتيادية؛ ولكن
الحر سفاجئ وهذا الصباح بقدم رجل من النرويج قوي مفتول
العضلات (ليتحمل مشاق الإبحار وحده عبر البحار
الغاضبة) يحمل رسالة من الملك إجتكو ملك النرويج.
فتسارعت دقات قلبه كضجيج جرف نهر شمالي وتشنجت
عضلات عينه، لتوقعه فحوى الرسالة وما ترمي إليه.. فقد
كان يعيش هاجس هذه الرسالة منذ زمن وكأنها هى النازعة
لملكه والأمره بانتهاء عهده. وقلقه منها جعلها تطارده بلا هوادة
فى اليقظة والنماف، ينتظرها كل صباح منذ سنوات كأول
خبر مشؤوم مع صحوته، فكان يعشق النوم ويخشى
الاستيقاظ خشية منها. ولكنها الآن أتوهي التي انتظرت
استيقاظه. ولم يثنه كثرة نومه طول هذه السنين عن محتومها إلا

ضياح عمره دون سجل حافل من الأمجاد كأبي بطل اسكندنافي نبيل.

فقال لحارسه "اخرج وأمهلي لحظات".

تمالك فيها نفسه واستعاد هيبته ثم أمره فأدخل عليه الرسول بعد أن تجهز للقاءه، وانفرد به وأخذ ينصت له بأهمية ويميل عليه بنصف وجهه كأنه يتلصص السمع من وراء جدار يتمنى أن يكون مخطئ الظن، فقال له الرسول "الملك إجتكو يرسل تحياته لشعب الدنمارك ولملكها المٌبجل الملك إكلوف، ويستغيث بك سيدى ويطلب أن تساعده بالمدد لصد هجوم قوات الإنجليز على مملكة النرويج، لننال حقنا فى الحياة، كما اكتسبت الدنمارك نفس الحق أمام قبائل الوندال التى انتصر فيها الشعبان الدنماركى والنرويجى معاً كشريكين ومتحالفين، فلن يستطيع الملك إجتكو فعلها بدونك".

فازدادت ضربات قلب إكلوف واعتدل على الكرسي بعدما طالبه حليفه وصديقه القديم إجتكو بسد الدين المتعلق برقبتة

ورقبة مملكته الملعونة له وللنرويج كما تنص الرسالة وكما كان يخشى تماماً. وأخذ يتذكر ما حدث منذ زمن غابر حين كان مجتمعاً بمجلس النبلاء بعد هجوم شرس من قبائل الواندال وقد أشاروا عليه وقتها بأن قالوا له "نرى أيها الملك أن تبعث رسولا للملك اجثكو تترجاه أن يساندنا في التصدي لهذه القبائل المتوحشة". وقد بعث إكلوف برسالة إستغاثة لإجثكو مشابهة لما جاءته منه (وقد كان شاباً وقتها) وكان يحكم مملكة النرويج بقوة وحكمة؛ يستغيثه في الرسالة من بطش قبائل "الواندال" المتوحشة أكلة لحوم البشر والتي تسكن الغابات وكهوف الدببة جنوب غرب الدنمارك والتي لا تهاجم إلا من خلال الضباب. قال له فيها بعد دباجة السلام والتحية والثناء "... .. أغثنيا أيها الملك النبيل، فقد نشبت حروب شرسة بيني وبين الواندال استمرت لعدة سنواتنزفت خلالها المملكة الكثير من الدماء البريئة في كؤوس هذه القبائل الأزلية التيلا ترتوي إلا بدماء الأطفال الطاهرة، ولا تشبع إلا من لحوم النساء الغضة الطرية، ولا تستلذ إلا بقطع وتفريغ رؤوس

الرجال الصلبة لتجعل من جماجمهم أيقونات نصرهم
وطقوسهم. وليس باستطاعتها التغلب على كل هذا الكم من
التوحش والشر وحدي".

فلبى إجتكو وقتها نداء الغوث كما تُحتم عليه البطولة
والنبل، وقال للرسول فور أن سمع الرسالة "قل لأخي إكلوف
ما كان إجتكو لينعم في مُلكه وشعب الدنمارك يُعاني، إني
آت".

وجهز كامل جيشه المؤلف من المحاربين النورمان والفايكنج
ضخام الجثة مفتولي العضلات كثيفي الشعر والشارب واللحية
(كما يحب الرجال أن يبدوا مظهرهم بالقطر الإسكندنافي).
وانطلق بهم صوب المملكة الملعونة دون تردد بسفنه الطويلة
والسريعة والتي تشق المياه الغاضبة من النرويج للدنمارك
كالسهم المارق، باحثاً لنفسه عن نصر عظيم يصنع به مجداً
أعظم، يتباهى به بين القبائل الإسكندنافية ويسطره مع الأبطال
لتنشد أغانيه عبر الأجيال.. وقد وصل في وقته المناسب ليجد
جيش المملكة الملعونة المؤلف من بعض النحاتين والرعاة

والزراع بكامل أسلحة صيدهم وفؤوسهم بقيادة إكلوف فى انتظاره وطوع أمر.

فرحب إكلوف بإجتكو(المعروف بحبه للناس وتودده لهم)وقال له " يا لنبلك أيها الرجل الودود، لقد فعلتها حقاً وجئت إلي بجيشك مغيثاً وملبياً" . فاحتضنه وأطال، ثم نظر إليه بانتشاء واستطرد " لا بد أن نحتمي بك وبرجالك الليلة" .

فابتسم له إجتكو كالذي يرغب في ذلك وقال له:

– لا داعي إكلوف ودعنا نستعد.

فاستطرد إكلوف وقال:

– لا والآلهة لا بد وأن تتذوق أولاً نبيذ الدنمارك المميز لدى الجميع.

فاستجاب له إجتكو ولم يزد في الشراب حتى يبقى فى وعيه، وسأله:

– لماذا لم تستعن بالملك وولفغار ملك السويد؟! .

– هذا لأنه مشغول دائماً في تأمين الخليج الفنلنديين هؤلاء القراصنة، فهم مصدر إزعاج دائم بالخليج، وإن تركهم يعيشون فساداً ستخسر اسكندنافيا هيبتها وتجارتها عبر البحار.

– إذا دعنا نتجهز نحن للواندال.

فدمج جيشي المملكتين معاً وجعلهما تحت قيادته برضاً من إكلوف وشعبه البائس الذي لا يُجيد سوى الرعي والزراعة والتجارة عبر البحر ككل الفايكنج الاسكندنافيين، لكنه بخلافهم يفتقد الروح القتالي. يصلح لأن يكون تابعا لمن يوفر له الحماية والأمان، ولا يصلح لأن يقود نفسه بنفسه نحو ما يرغب، طالما لا يرغب.

وأثناء التجهيز اقترب ضباب الشتاء الثقيل منهم ومعقبائل الواندال، ولم يكن لدى إجتكو الوقت الكافي ليضع خطة ويصنع متاريس خشبية وفخاخاً من جذوع الأشجار وفروعها حول القرى كما اعتادوا في الحروب السابقة، فالمواجهة هيالخطه الأجهز والأسرع حضوراً الآن بذهنه، وإن لم تستند لخطة

مُحكمة فسينتهي بهما الحال الآن تصبح جماجمهم موضوعة على
سنان الحراب على مداخل الكهوف والمغارات كطقس لقبائل
مؤلفة من سفلة البشرية.

ولكنه ليس بالرجل الذي يضحى برجاله وجيشه فيمواجهة
عمياء كهذه. هو ناضج كفاية ليضع خطة ويصنع نصراً، لقد
خاض كثيراً من التحديات التي وضعت على كرسي العرش
بالنرويج جمع منافسين لا يقلون عنه قوة وذكاء، ولا يصل
لمنصب الملك في (السويد أو الدنمارك أو النرويج) إلا أحد
أربعة، بطل قوي أو رجل ذكي أو صاحب حيلة أو محظوظ،
وهو لديه شيء من كل هذا الأربعة صنعت منه مزيجاً محبوباً
وتركيبة لها شعبية لدى الناس فأصبح ملكاً.. فاختار أن يتقدم
بكلا الجيشين ليقطعوا على الواند الطريق الغابة معتمداً على
رقعة كثيفة الأشجار كموقع للتخفي والمفاجئة، يستخدم فيه
التكوين الطبيعي للبرية بديلاً عن الفخاخ الصناعية ليعطي نفسه
ورقة رابحة يستطيع أن يوجههم بها في معركته الأولى

معهم، أو ينتصر عليهما الانتصار الكامل إن نجح الأمر كما يخطط.

فأوقف إكلوف الرجال وقال لإجتكو "هذا الطريق تمر منه الواندال". فقال له إجتكو "إذاً نعسكر هنا، تخفوا حتى يقفوا في شراكننا ونفاجئهم بمعركة مبكرة".

فأخذ الرجال في الانتشار بالأدغال امتثالاً لأوامره، بعضهم يتخفى خلف الشجيرات والبعض الآخر يتسلق العالي المورق منها، في انتظار قدوم الضباب ومعه قدوم هذا الزحف الشيطاني للواندال المتوحشة أكلة لحوم البشر، أخطر قبائل عرفت البشرية في التوحش والشر، والتي لا تهاجم إلا من خلال الضباب، حتى صنعت من هذا الضباب لدى الدنماركيين أيقونة الشر "السديم" والتي جعلت من أي قادم مع الضباب وحشاً إن تمكنوا منه قتلوه من فورهم.

وظلت هذه الأيقونة تتسع رقعتها السوداء في مخيلاتهم حتى كسا ظلامها اسكندنافيا زحفاً من غرب الدنمارك إلى شرق

النرويج إلى جنوب السويد. وتلك كانت وسيلتهم في التخفيو بعث
الرعب والفرع في الممالك، لتتسع رقعة وجودهم مع اتساع
رقعة الضباب، وكان يجب وقف هذا الزحف الشيطاني الذي كاد
أن يتفشى في المثلث الأسكندنافي بالكامل.

وعندما تكاثف البخار تشكل الضباب بالبرية ومعه انتهى
صمت الغابة الموحش، لتهتز الأرض فيذبذبات متواترة أكثر
وحشة ورعباً وصوت ضجيج يعلو معها شيئاً فشيئاً يسلب
التركيز مع اقترابه، ويبعث الفرع في القلوب كلما فزعت الطيور
عن أشجارها.

فقال إكلوف لإجتكو وأوصاله ترتعد وهما يستقلان
الشجرة نفسها:

- انتتتسمع ما أسمع؟! ، وكككأن الأرض تُزلزل.

- أسمع، لكنك أنت الخبير هنا، قل لي ما هذا الذي نواجهه؟! .

– لا أأعلم ماهيته، فالواندال قبائل ببشرية وليسوا ووحوشا
من الغابات الأذلية.أرى من ووووراء سؤالك هذا خخخوف
إجثكو، لا بد أن نnnnnسحب فوراً.

فنظر له إجثكو بطرف عينه وأجابه:

– أنت الذى تُتعتع وتتلجج وليس أنا، أظنك أخطأت التقدير
بحقي وحقهم إكلوف، وهذا يجعلني أصمم على مواجهتهم
اليوم وهنا.

والواندال تتقدم لا يوقفهم شيءكسيل بشريمؤلف من
مئاتالسفلة،بل الآلافمنهم ؛ تتزلزل الأرض من تحتهم وهم
يحملون مشاعل ويتقدمونبها نحو أرض المعركة عبر
منحنيات الغابة كأفعة من ناريتفوقون بعددهم وخبرتهم
وبالرعب الذي خلفوه في القلوب؛ عن قوام جيش الدنماركيين
والنرويجيين معاً وقد فات الأون على إجثكو وإكلوف لوضع
خطة بديلة أو أخذ خيار آخر، فشغف البطولة وزهوة المجد

هو ما جاء بهم وجعلهم يخاطرون وعليهم الثبات لينالوا ما
جاءوا من أجله.

واقترب صوت الفرع المحتوم منهم وازداد الجو حرارة،
وتحول الضباب إلى السواد كدخان بُعث من الجحيم فجأة؛ بفعل
المشاعل التي تحملها الواندال وعلى كثرتها تنبعث منها نار
مسعرة، تتقدم معهم بثبات الأبطال وجلد المعتدي، وبحركة
نظامية بلهاء مُخيفة، تُخلف فوقهم سحابة سوداء من الدخان
الثقيل المنبعث المتسارع نحو أرض الملحمة كندير شؤم.

فارتعدت أوصال إكلوف والرجال وارتعشت أيديهم وأخذ
ينظر بعضهم إلى بعض. وما زال إجتكو يحتفظ ببعض رباطة
جأشه كونه القائد.

يواجهون شراً لا يعرفون ماهيته وكأنهم يواجهون إلهاً، يزلزل
الأرض كيف يشاء، يقتحم بصوته المرعب صمت الغابة
الأزلي. يتحكم بالطقس كقارورة بيد طفليغير وضعيتها في
لحظات خاطفة بحركات غير مسؤولة، ويتلاعب بها كيفما

شاء؛ فمن جو صافي إلى ضباب، ومن ضباب إلى دخان. فمن يمتلك تلك القدرة دون إله!.

وأخذت قبائل الواندال تتوغل خلف قائدهم داخل الفخ بهوادة دون دراية منهم بأنهم وطئوا لتوهم أرض الملحمة التي فيها انتهاء سطوتهم للأبد، ليتذوقوا بعضاً من الرعب الذي سقوه للضعفاء والأبرياء سنوات جعلت من هذه المملكة "أرضاً ملعونة" يعرفها الجميع بلعنتها.

ورجال اكلوف واجتكو صحيح ترتعد أوصالهم لكنهم فيمشهد رأسيد وفره لهم اجتكو من أعلى الأشجار لم يسبق له مثل في عظمته، جعل من الأمر أكثر ذهولاً وهيبه، وكذلك متعة، وهم يرون الوندال لأول مرة (وكانت الأخيرة أيضاً) تحت أقدامهم، في مشهد رأسيمه يبيخدر الجسد تسجله أعينهم من أعلى كعين صقر يحلق ويراقب فريسته. وليس من متعة لباحث عن مجد وعظمة أكثر من نظرة علوية إلى ضحيته.

وبعد مزيد من هذه المتعة التي خطفت العيون لوقت، والصبر الذي انتظره إجتكو كثيراً حتى إنتهت هذه الأفعى الشيطانية من التوغل في فحه؛ أعطى أخيراً إشارة الهجوم بالنبال والرماح التي تساقطت على الواندالكال سيل المنهمر لا تخطئ أحداً، فارتبك المشهد مع ارتباك الواندالوتساقطت المشاعل من أيديهم مع سقوطهم قتلى، فأحرق كل مشعل جثة صاحبه كنوع من انتقام القدر المُنصف دائماً، وزادت النيران من وطأة ارتباكهم، فأعطى معها الملك النرويجي إجتكو الذي أوشك أن يسجل اسمه في سجل الأبطال إشارة التلاحم ليقفز برجاله على رؤوسهم بالفؤوس والسيوف كحذاء يسحق حشرة، لتبدأ الملحمة الحقيقية في الانتقام واستئصال الجذور الشيطانية التي نبتت في المنطقة، والتي تحولت المملكة إلى جزيرة لعرش الشيطان أو "المملكة الملعونة".

واستمر العراك حتى ساعات متأخرة من الليل قد أنهوا خلالها (إكلوف وإجتكو) معاً اسطورة الواندال بعد قتل قائدهم ومطاردات طالت الفارين منهم بين الأشجار الناضجة التي لا

تتستر على مجرم، وعادوا بزهو انتصارهم إلى منازلهم
البدائية المتواضعة المصنوعة من جذوع الأشجار وفروعها
الغليظة كأكتافهم وسواعدهم القوية المفتولة والتي لا تختلف في
بنيتها وغلظتها عن جذوع الأشجار، وأخذا يتسامران في
طريق العودة يد إجتكو على كتف إكلوف وقال له بتودد:

– لقد فعلناها معاً أيها البطل، ورفعنا تلك اللعنة عن مملكتك
الشهية للأبد لتتعم بها وتنام مليء الجفون.

– لقد فعلتها أنت إجتكو الودود، فلولاك ما كنت لأفعلها وحدي

.

– الآن يكون الاحتفال إكلوف وشرب نبيذك المفضل
هههههههه.

– لك ما في مستودع النبيذ كله إجتكو، وسأصنع لك بحيرة من
النبيذ لتسبح فيها عارياً برفقة أجمل نساء الدنيا لتتودد لهن كما
تحب ههههههههه.

– أحب طريقتك في الاحتفال إكلوف، هكذا تكون احتفالات النصر هههههه.

ولكن لم تنته لعنة المملكة بزوال الواندال كما ظنا، فاللغات كثيرة، والمطامع أكثر، فمن لعنة لأخرى تجعل هذا الشعب بأئسا يعيش مخاوفه في اليقظة والمنام، أو يخلق فزاعته بنفسه ليعيش الفرع كل لحظة من شيء ما. وهذه هي لعنته الكبرى، أن يخلق فزاعته بنفسه ويعيش مخاوفه بإرادته.

وقد دار الزمان على إكلوف وجاء اليوم الذي يففيه بدينه مرغماً لمملكة النرويج و صديقه الودود إجتكو. فطالما كانت الأراضي والممالك النرويجية مطمعاً لى قوات التحالف الإنجليزى، وكان ولا بد من أن يأتي الدور عليها يوماً ما من طامعها هي الأخرى.. وقد حوصرت، وبُعِثت الرسالة لإكلوف. وهذا ما كان يخشاه تماماً؛ الخوض بجانب النرويجيين في حرب شرسة لا ناقة له فيها ولا جمل ترتدي قناع القدسية الدينية لدى الإنجليز.

وهنا جاء الخاطر له وهو بداخل غرفته جالسا منعزلاً ينظر من نافذة تطل على مشهد متسع من الخضرة، آخره يجري نهر بأقصى سرعته نحو قدره كأنه فار من معركة. يفكر ويحدث نفسه "كيف أبعد هذين الخطرين عنيلأبد دون أن أقحم نفسي، أو ألحق بي عار الخزيوالخذلان:خطر الإنجليز على المملكة،وخطر ابني الغادر انفارث. فالإنجليز ستطالني أيديهم إن تمكنوا من النرويج فى حالة أن حالفهم النصر.وإنفارث ليس بأقل خطراً منهم، بل غريزة الشر والغدر لديه تجعله وكأنه نبت شيطانيمن نسل الواندال نبت بيننا ليحرق الأخضر واليابس بالمملكة".

فعقد مجلسا متواضعادعا فيه النبلاء يستشيرهم،وبعث لابنهاالشفيليحضر معهم ويسمع خبر الرسول بنفسه بصفته ابن الملك.

برهة ودخل عليهمابنه(إنفارث قاتل إخوته)بجسده النحيف وقدمه العرجاء السخيفةبجوار حارسه العملاق بأنفة مكروهة للجميع ينظر لهم بطرف عينه يجهل ما ينتظره..فطلبإكلوفمن

الرسول إلقاء الرسالة على مسامع النبلاء مرة أخرى، وبحضور ابنه على غير العادة، وكان قد سمعها إكلوف منه فور وصوله وحزم لها رأياً قد اهتدب إليه من هذا النهر الفار من قدره إلى قدره.

فاستجاب الرسول وقال بصوت مسموع للجميع "الملك إجتكو يرسل تحياته لشعب الدنمارك ولملكها المُبجل الملك إكلوف، ويستغيث بكمسيدي ويطلب منكم أن تساندونا بالمدد لصد هجوم قوات الإنجليز على مملكة النرويج، لننال حقنا في الحياة، كما اكتسبت الدنمارك نفس الحق أمام قبائل الواندال التي انتصر فيها الشعبان الدنماركي والنرويجي معاً كشريكين ومتحالفين، فلن يستطيع الملك إجتكو فعلها بدونك".

إجتكو ذكبي علم من يخاطب، وكيف يخاطب قلوب خائفة وعقول جبانة وعضلات مرتعشة ورخوة، وملك متخاذل لمملكة ملعونة. فذكرهم بفضلهم ليحفزهم نحو خيار الحرب ويكسب بهم كثرة عددية أمام الإنجليز. فأخذوا يتشاورون فيما يسعهم فعله لسد دين المملكة له، فقال أحدهم للملك إكلوف "لم يتخل عنا

الملك إجتكو حين راسلناه منذ زمن، وقد جاءنا بنفسه. فاذهب إليه أيها الملك برجالك كي تحفظ هيبة المملكة؟". فرد عليه آخر "ليس لدينا قائد مهيب دونك أيها الملك لينوب عنك في الملك أو في الحرب. فإن ذهبت على رأس جيش تركت المملكة دون نائب. وإن أرسلنا رجالنا بدونك أسأنا الصنيع بحق إجتكو". وتحدث آخر ثم آخر، ومقترحات عدة وثرثرة كثيرة ملأت القاعة، كلها كانتواهية غير مُجدية لإكلوف. وتركهم يثرثرون وهو يشرب النبيذ بتلذذ وينظر لهم بابتسامة ويومئ لهم برأسه كمستمع جيد. إلى أن مل من سماع مقترحاتهم الواهية (بالنسبة لما حزمه هو من رأي) فأشار لهم بالصمت ليملي عليهم مقترحه بتلك اللهجة الملكية البطيئة الوقورة والتي تجعل من الحديث هاما ومسموعا ومقبولا فقال:

— أكلف أنا الملك في هذا المجلس وأمام الجميع ابني الكبير إنفار ثليحظى بشرف سد دين أبيه والمملكة؛ ويلبي نداء حليفي وصديقي الودود إجتكو ويذهب إلى بلاد النرويج على رأس

جيش عبر البحر لمساعدتهم في صد هجوم الإفرنج.
وهذا امتثالاً لأعراف الآلهة.

فقفز إنفارت من مقعده كالمجنون بعد أن سقط عنه رداء الكبر
والتعاليمذهولاً من هذا القرار بالإبعاد، ورفض هذا النفي
الأبدى باسم أعراف الآلهة، واعترض بصوت مزعج
بأنسقائلاً لأبيه "أتزوج بي يا أبتيفي معركة لن أعود منها أبداً،
وأنا ابنك ووريث عرشك!" .

فأجابه إكلوف بخطاب الأب لابنه ليقول من حدة تذمره فقال له:
- ليس نفيّاً يا بني كما تسميه، بل هي الفرصة الأمل التي بها
تسطر أولى الانتصارات في سجل أمجادك، فبدونها لن تكون
وريث العرش ولن تصبح ملكاً، ومن العار على أي
اسكندنافير فضهد دين أبيه.

فلم تفلح هذه الطريقة مع قاتل إخوته كونه شيطانا
بأنسا، فاعترض مرة أخرى بلهجة تسيء للآلهة وللأعراف
المتوارثة المقدسة، وتسيء لأبيه أمام الحضور وتقلل من شأنه

بينهم، فقال له "لا أبهبالمرة لأعرافكم ولا لهذه الأصنام والأوثان العفنة، هذه أعرافك أنت وشأنك أنت فلا تخدع شعبك كي تنجو بنفسك".

فاستفزه قاتل إخوته وجعله يضطر لأن يكون أكثر حزمًا ليعيد مكانتهم جديد أمام الناس، فقام من مقامه وأشار له بإصبعه وقال له:

أعلن رفضك مرة أخرى إنفارت، وسيكون دمك مهدورًا تحت أقدام الآلهة غدًا في ساحة القرايينلما تقتطفه بحق شرف أعرافنا.

فصمت. علم أنه متورط، وأن أي كلمة سينطقها ستحسب عليه، فطال صمته أمام مارآه من جدية أبيه حتى لا يزيد الأمر سوءاً، وأخفى حقه بداخله وكتّم ضغيته له، ولكن كانت عيناه تفضحانه. يصطنع الهدوء وفي عينيه غضب جامح مسجون يأبى القيود وينتظر الفرصة الملائمة للانطلاق والانتقام من أبيه ومن مملكته كلها التي تنبذ وجوده، ومن تلك الأعراف البطولية

التي يفتقدوها ويجدها مفروضة عليه تجبره على خوض حرب لم يكن طرفاً فيها يوماً ما يفكر في الهرب ولكن إن فشلت المحاولة أوجد بذلك العذر لأبيه في قتله بساحة القرايين لرفضه سد دينه وارتكاب هذا العيب العظيم لدى الآلهة.

فاضطر أخيراً للذهاب على رأس جيش صغير بمساعدة رسول الملك إجتكو الذي أرشدهم لأقرب الطرق وأيسرها إلى النرويج.. فعبروا البحر الغاضب إلى أن وصلوا إلى شاطئها الآمن الخلاب، فوجدوا هناك الملك إجتكو الذي قد صار عجوزاً في إنتظارهم.. فرحب قدومهم بحفاوة فور أن وطئوا الشاطئ واصطحبهم إلى قصره بنفسه يده على كتف قاتل إخوته يتودد له ليقلص المسافة بينهما ويجعلها تذوب كلوح ثلج طاله دفء يد تحسسته، وتحدث إليه عن بعض ذكريات شبابه مع أبيه وأخذ يسرد ببطء العجائز ويقول "كنت أنا وأبوك صديقين حميمين، خُضت بجانبه المعارك وطالما كان ثابتاً نبيلاً، ههههه أتذكر كل شيء حين كنا نتخفى من الواندال أعلى شجرة هههههه".

- وما حدث حينها ؟ .

- ههههه عليك من هذايا بُني.فأناأحترمه كثيراً، وعلمت أنه لن يخذلني حين أرسل إليه، وها هو بعث لي فلذة كبده وأعظم رجاله.أراك نبيلاً مثله إنفارت وت.....

ومن ثم ثرثرة كثيرة من ملك ودود نقي القلب لا يعرف التخوين ولا الغدر،يحب الناس ويأمن الجميع. وحين وصلوا لقصره المتواضع المصنوع من جذوع الأشجار والمغطى بالقش والغاب؛ قدم لهم النبيذ واحتفى بهم فى مجلس دعا إليه النبلاء والرعية وتسامروا فيه قليلاً فقال إجتكو لقاتل إخوته "حين انتصرنا أنا وأبوك على الواندال (حينها كنت لا تتعدى العشر سنوات) إحتفى بي وصنع لي بحيرة من النبيذ سبحت فيها مع أجمل الفتيات، وهو أيضاًهههههه. فإن انتصرت إنفارت ماذا تتمنى لنكافئك به؟".

فشاح قاتل إخوته بوجهه لجهة أخرى وأخذ يتفحص القاعة الواسعة وأجابه بتهكم:

- دعني أنتصر أولاً ثم أحدد مكافأتي بحجم الانتصار الذي سأحققه.

- إذاً دعنا نتكلم عن الحرب بُني.

ومر بعد الشتاء شتاء لم يصل خلالها لإكلوف أي أخبار عن ابنه أو الحرب حتى وصل رسول آخر إلى شاطئ المملكة الملعونة، وهذه المرة كان من "السويد"، رسالة استغاثة أخبر من الملك وولغار الذي تغنت في أمجاده الأغنيات لتخلد بطولاته ونضاله ضد وحوش الشمال التي تسكن الغابات وتهدد الممالك من شمال السويد إلى جنوبها، والذي لم يُهزم قط، ولم تستطع دابة في الشمال أن تصمد أمام قبضته وإقدامه، ولم يجرؤ بشري على مهاجمة مملكته خشية بطشه. لكن وبعد أن سار عجوزاً كما ظنوا أضاءت عيون الثعالب

المتربصة بالظلام للانتقام، فطالما أذاق وولفغار قراصنة الشمال في هذه المنطقة ويلات القتل والهزيمة والحرمان من الإبحار في الخليج الفنلندي لسنوات مُلكه، ليتوحدوا أخيراً ويكونوا أقوى أسطول من القراصنة السُلاف والروس والفنلنديين لمهاجمة ن طريق الخليج الذي حرّموا من الإبحار فيه لسنوات آمليْن في الانتصار والانتقام منه هذه المرة.. ولتكتمل خطتهم أتوا متخفين على هيئة الدببة السيبيريا المعروفة بتوحشها والتجلبوا فروها من شمال شرق روسيا بعد اصطيادها لهذا الغرض في التخفي؛ ليستخدموه كقناع في السلب والنهب لصيد ضحاياهم كحيوان مفترس أقام عند جرف نهر ألف غرس أنياب بهصيد طازج، متسترا خلف غريزة الشر التي لدهكأنه بريء لا لوم عليه إن افترس.

وقد علم وولفغار مبكراً من رجاله المنتشرين في الخليج باتحادهم ليلسط أذرعهم على البحر، وعلم بعدد سفنهم الضخمة التي جاؤوا بها لذلك وبطريقتهم في التخفي وكأنهم وحوش أسطورية من الغابات؛ فتملكه الغيظ من جلدتهم في

التحديوأخذته الشجاعة بأن يحزم أمره للقائهم بقلب الخليج كملك له حق السطوة، مناطق نفوذه محرمة على غيره، له حق الثواب والعقاب. فأعلن ذلك الأمر فى رجاله بعجالة بعد أن جمعهم بقاعة احتفالاتهم ليلاً والتي اعتادوا أن يسهروا ويتسامروا بها كل ليلة، كي يستعدوا ..ولكن ثم ما نسيها الملك العجوز قبل إعلان الحرب عليهم؛ لذلك مال عليه ابنه "روسغار" الذي يقدر أعراف الآلهة الوثنية وطقوسهم وذكره بصوت خافتقال له: "عليك بمشورة الأم (إيلا) أولاً وإلا غضبت علينا الآلهة". فأجابه وولفغار بسياسة معهودة له بعد أن صمت قليلاً يتذكر الأعراف وقالله: "كنت فقط أريد أن لا أهدر الوقت".

قد نسي وولفغار هذا الطقس من أعرافهم منذ زمن، لأن ما يحركه دائماً هو النزعة البطولية وليست الوثنية، لذلك أهمل الأعراف لفترة حتى نسيها تماماً. فقام روسغار وذهب بنفسه إلى "الأم" التي تعيش بالأدغال وتُمثل رسول الآلهة الوثنية التي تُعبد وتُقدم لها القرابين، والتي تنطق الآلهة على لسانها لتحدد لهم

المصائر المجهولة. وهي أيضاً تستقبل كل مولود جديد لتتلو عليه تمتماتها وترانيمها الوثنية، وتزينه بأسنان الفرائس وتضع عليه طلاء الحرب، ليكون بعد ذلك تحت حراسة الآلهة من شرور الأرض، أو يصبح بطلاً من أبطالهم. فرجعروسغار بها فخوراً أن دخل القاعة بجوارها، وفور ما تخطت الباب ورأت وولfgار الذي قد أهملها لسنوات وجهت إليه سهامها الطائشة عن قصد قائلة:

ما لك وولfgار قد تذكرتني فجأة قبل رحيلك، أهو الاشتياق! هههههههه.

واستمرت بالضحك بصوتها الشائخ المخيف، حتى قاطعها وولfgار وذهب يجلس على عرش ملكه مرسلاً يديه على راحتي العرش في شموخ معهود له وسألها:

— أعلمت بقدوم القراصنة في تجمع كبير لهم لينالوا من شعب السويد؟ .

فقالت:

– أنا أعلم وقبل أن تعلم أيها البطل.

فقال متهمكاً:

– إذاً نريد أن نعرف رأي الآلهة في هذا المصير.

فردت على تهكمه وقالت:

– أنت قاسي جداً أيها البطل، حتى على نفسك.

ثم اتكأت على كتف ابنه روسغار وتقدمت نحوها وأخذت تصعد الدرجات إلى منصة عرشه واقتربت منه، ثم أمسكت بقبضتيه وفتحت كفيه ونظرت فيهما نظرة باردة بلهاء قرأت فيهما طلسماتهن وقالت له:

– قد شاخت قبضتاك ولم تعودا قويتين كما أمس أيها البطل، فقد تحتاج لقبضتين إضافيتين في هذه الحرب.

فتخدر جسده لبرهة وتصلبت عيناه نحوها، ثم سحب يديه بانسيابية كسارق محترف ليمسك هو يدها برقعة ممتناً لها بكل سكناته ونظراته الرحيمة التي تكسو ملامحه الوقورة والتي تزيدها وقاراً شبيهة لحيته. ووجه حديثها بنهر وسغار وهو ما

زال ينظر إليها وقال له: "أرسلرسولا إلى حليفنا إكلوف فى الحال، واطلب منه دعمنا فى هذا الحرب، وأبلغه أنى أحتاج إليه بشدة".

من جدد إكلوف العجز تطارده ديونه القديمة لدى الملوك الذين ساعدوه فى تحرير بلاده، وقد جاء الدور عليه لسداد ديونه لهم. لكنه ليس مدينا للملك وولفغار بالمرة ولا لمملكة السويدوليس مجبراً على مساعدته، إلا أنه النبل والبطولة يحتمان عليه تلبية الرسالة. وبما أنهقد كره الحرب ويريد العيش فى سلام لفترة،ومملكته صارت ممزقة بفعل الحروب الشرسة التى خاضها فى شبابه؛هو اليوم يفكر بجدية فى عدم مشاركة وولفغار فى حربه ضد القراصنة.لذلك جمع المجلس لذاك الأمر وأفصح عن نيته لهم غير آبه بالمرة للأعراف التى

تحتّم عليه الاستجابة للرسالة. وبعد ما سمعوا منه عابوا عليه، ودارت بينهم مشاورات طويلة قالوا له فيها:

أيها الملك، ليس ما تقول من أعراف وشرائع الفايكينج النورمان باسكندنافيا، هذا عار سيلحق بالمملكة ويجلب لها لعنات جديدة، فالرسول يقول إن القراصنة تجمعوا في أسطول ضخم لن يستطيع الملك وولفار التغلب عليه وحده بقوته الحالية، ونحن حلفاؤه، فإن نالوا منه نالوا منا، ولن نجد وقتها من ينجدنا. وملك النرويج مشغول بحروبه مع الإفرنج. والحقيقة أن الملك وولفار هو من سيحارب معنا ضد القراصنة وليس العكس، لأنه هو القوة العظمى باسكندنافيا، فإن خسر سنخسر جميعاً وإن ربح سنربح معه. أتريد العيش في سلام! فلا مفر من الحرب .

اقتنع إكلوف بعد جدال طويل أرهقه. اقتنع لأنه خشيحاً على ملكه ومملكته الممزقة. فالأطماع تطاردها، والحروب حتمية لمواجهة الأطماع، ولن يكفيه أن يكون مسالماً ليعيش في سلام.

فقال لهم مستسلماً لقرارهم المُجمع عليه:

- أنتم جميعاً تتوحدون في رأيكم وتؤيدون المشاركة؛ إذاً أعلنوا في الناس هذا الخبر وأعدوا كل ما لديكم من سفن ورجال لنغادر مع الرسول في أقرب وقت، ونُريو ولفغار ما يمكننا فعله لأجله.

وقد كان الملك وولفغار هو الآخر يجمع كل ما لديه ومن لديه، ثم قادهم وتمركز بهم على شاطئ "بريكا"، الشاطئ الذي شهد وعانى كثيراً من التقاتل والكثير من الجثث التي كانت تُلَفظها الأمواج وتبصقها على سجاده الرملية الصفراء، المتلألئة مع انعكاس ضوء الشمس الشحيح عليها وقت الشروق، لتمتزج مع هذا اللون الذهبي رائحة الجثث النتنة وتشوه إشراقته المتلألئة المميزة، لتصنع مزيجاً متنافراً بين ما صنعت يد الإله وما اقترفته أيدي البشرية.

وانتظر حتى التحقت به سفن إكلوف ليشكل أسطولاً ضخماً يستطيع به الالتفاف والمناورة في عمق الخليج، ثم أعطى إشارة

الانطلاق في مشهد مهيب لعشرات السفن الفيكنية المميزة بطولها وسرعتها العالية، ليجروا في إنطلاقة واحدة، جعلها النفخ في أبواق الحرب أكثر هيبة لتجعل من المشهد قيامة.

فليست بالهينة شيبته. ولم تكن قوته تكمن فقط في ذراعه، ولا في قبضته القوية، فالكثير من القردة العملاقة تمتلك تلك القوة. ولم تكن تكمن فقط في قلبه الذي ينبض بطولة ومجدا. ولا في "الأم إيلا" التي أوحى له بطلب التحالف بل القوة الحقيقية لوولفار هيتلك التي كانت تغزو عقله وتجعله دائم الانتباه لما حوله ومن حوله. هيتلك القوة التي تجلى في تقديره للأمور. هيتلك الإضافي بداخل عقله يرى بها المستقبل مثل الماضي دون تشوش. فلم يكن التصدي لهذا التجمع الضخم للقراصنة الذين أقسموا على النصر والانتقام منه واجتياح السويد بالأمر الذي يغفله أو يغض الطرف عنه، ولا بالأمر الهين الخلاص منه.

وتقديره لواقع الأمور هو ما جعل تلك العينين الإضافية بداخل عقله هي الرابحة دائماً. كان عقله يرى الهزيمة هذه المرة،

وأن تلك الحرب هي نهاية طريق بطولاته وانطواء سجل أمجاده الحافل، فكان ولا بدمن تقديم التضحية التي تعكس موازين القوى وتجلب النصر المرجو للسويدين، وتترك رسالة أخيرة أكثر قسوة من غيرها لهؤلاء القراصنة، وتختتم سجله الحافل بالأمجاد بنصر أخير تتغنى به القبائل وتنشده الممالك وتنعم به المملكة سنوات في سلام.

فلم تكن رؤيا الهزيمة كالاستسلام لها. لم يستسلم عقله لما خُيل له من هزيمة تنتظره. فخلق حيلته التي تعطيه وتمنح رجاله أمل النصر .. فقبل أن يغادر السويد بأيام قليلة قال لنفسه وهو مشئت الذهن شارد وقد ملأ الغرفة خطوات "هم يحتاجون لأمل لاستساغة التضحية، يظهر لهم كنصل لامع في ظلام الحقود يقودهم لنصر أكيد". وبراعته في السياسة وحكمته؛ جعلته يعلم طبيعة جنوده جيداً، فاستدعى أقوى الرجال وأشجعهم وأخلصهم ودعاهم لما سماه بمجموعة "مقاتلو الجيتس" (تتألف هذه المجموعة المقاتلة من أربعمئة محارب فقط من أقوى رجال السويد وأخلصهم باختيار منهم

دون إرغام) ووضع ابنه روسغار على رأسها قائداً لهم ليكتسب بعض الهيبة، هذا العملاق الذي يلزمه دائماً أينما ذهب كظله. هذا المدلل الذي يمتلك أقوى قبضة بالسويد، حتى أنه كان يُصارع أقرانه وينافسهم بالكلمات أيهما يسقط أولاً، فكان يحب أن يتلقى اللكمة الأولى ثم يباغتهو بالثانية فيسقط خصمه مغشياً عليه. ولكنه يفتقد القلب الذي يجعل لهذه القبضة استخداماً حقيقياً وقت الشدة، ويفتقد المجد الذي يرقيه لميراث العرش. ولكنه يمتلك ما هو أقوى بكثير بل الأقوى على الإطلاق بالسويد، وهو عقل أبيه وولفغار الذي سعى بحيلة ماهرة تعطي له ميراث العرش بعده دون عناء منه.

وهو رجل محظوظ روسغار ويكاد يكون له القسم الأكبر من الحظ الذي يمكن أن يناله أي رجل إسكندنافي كونه ابن وولفغار الملك المهاب. فم منذ سنوات ذاع صيت محارب قوي من قرية حدودية يدعى "ثوركيل"، ولقبه رجاله بثوركيل العظيم، رجل قوي ومقاتل شرس له قوة وجبروت، والأهم أن له لساناً حاداً، ومرناً أيضاً كالأفعى، يستطيع به التأثير على

الناس كالسحر. وقد حشد ثوركيل لنفسه في وقت قصير مئات الأتباع المطاوعين له ليكون هو بطلهم المغوار، حتى وصل هذا الصيت لوفغار (وإذا ما وصل صيت أحدهم للملك إذاً هو شديد الخطورة كونه ينافس الملك في الشهرة وكثرة الأتباع) فاستدعى وولفار ثوركيل هذا ليقربه منه ويجعله من قواده المميزين، فقط ليكون تحت ناظره طول الوقت وتحت سيطرته. وهكذا هم أصحاب المناصب والنفوذ، لدى الجميع منهم نفس الهاجس وكأنهم آلهة يخلدون، لا يريدون لأحد أياً كان المنافسة النبيلة معهم، فقط هم ونسلهم من يستحق، والباقي يُعامل معاملة الرعاع أو السجناء في وطنهم الكبير، أما القوي ذو الأتباع فيحتوى داخل القصر الملكي ليقل طموحه ويقف نشاطه ويكتفي بما ناله من تقرب للملك، وتموت سيرته هكذا وكان بطلاً لم يكن).

وكان شعور وولفار باقتراب أجله وأنه لن يعود حياً من هذه الحرب وإن ربها كان طاغياً على تفكيره وتمسكه بالعرش، فكان ولا بدله من أن يورث عرشه لابنه المدلل والذي ليس

لديه أي أمجاد حقيقية تقبلها القبائل السويدية تؤهله لهذا الملك العظيم، مقارنة بثوركيل البطل الشجاع والمناضل المغوار ذي الشوكة القوية الصلبة، والذيملك أن يزيح روسغار من أمامه بسهولة بقوته وكثرة أتباعه. وتأسيس وقيادة محاربو الإله جيتس ووضع ابنه الأكبر على رأسها وليس هو كونه الملك جعلت من الأمر مستحيلا منافسة روسغار بعد ذلك على الخلافة. غير أن القتال بواز عوثنيسئحمس الرجال ويعطيهم أمل النصر بالمعركة ويجعلهم أكثر صلابة وتحملا واستبسالا وغضبا وانتقاما أمام أكبر تجمع للقراصنة الروس.

عقليتهفاذة، حكيمة وماكرة، من الذين يلقون حجراً باتجاه عصفور ليسقط اثنين أو ثلاث أو عشرة، وقد هدته حكمتلهذا الحجر الصلب (مجموعة الجيتس)، بأربعمئة محارب فقط يكونون بالمقدمة يستبسلونفي القتال ليحمسوا الآخرين ويجلبوا نصرا سريعا. وكانت هذه هي بداية للقتال المقدس باسم الآلهة بالأراضى الإسكندنافية .. وجيتس هذا هو إله القوة باسكندنافيا. والعدد أربعمئة هو مجموع عدد الآلهة المقدسة

التي يقدمون لها القرابين وجيتس واحد منهم، له وقع وثني عند أغلب القبائل الإسكندنافية، ويتفاءلون به ويقدسونه ويأملون فيه الانتصار، لذلك اختاره وولفغار كرمز وثني لجيشه المقدس.

(الصراع غريزة. والسطوة مرض. والجبن عدوى. حتى هذه القبائل البدائية التي لا تمتلك أي حضارة؛ لديهم صراع على المُلْك! ، وماذا لديهم يستحق عناء هذا الصراع سوى أن يصبحوا زعماء على بعض الأجلاف من بني قبيلتهم ليس إلا!!).

واحتشد الجيشان وبدأ التقدم، واستمر من كلا الخصمين التوغل في الخليج كل من جانبه حتى تواجهوا في وسطه تماماً. القتال بدأ بصوت يبدو مألوفاً للجميع بالشمال، صوت ارتطام السفن وتحطم أخشابها، وهنا كانت الصرخة الأولى؛ إنها لزوجـة روسغار قائد الجيتس، جلبها معه في هذه الحرب المصيرية متفائلاً بوجودها تستقل إحدى السفن بالمؤخرة، وإنها لصرخة ألم المخاض. فقد كانت على وشك وضع حملها وارتطام السفن زاد من ألم نبضات الوضع. وبعد

لحظات قليلة انطلقتصرخات أخرى فى الأفق لهذا المولود الجديد في قلب هذا البحر الهائج.

ومع أولى صرخاته لم يعد الجو كما كان، اختفت الشمس وكأنها لا ترضى عن ما سيحدث ولا تريد مشاهدته، وهبت عاصفة لم تكن بالحسبان تلاعبت بالسفن ومن عليها، وارتفع موج الخليج ووصل الحواف وعلاها كشامت ينظر من شرفة على شجار جاري. وتلاحمت السفن وقفز كلا الفريقين على سفينة الآخر ليبادره، وليكتب المنتصر أمجاده بدماء خصمائه .. كان القتال شرسا، وقاسيا كأي قتال بين فئتين، البحث عن الانتصار هو الهدف، ما الثمن وما التضحيات؟ لا يهم. كم عدد الضحايا وما كم الدماء التى ستراق؟ تافهة تلك التساؤلات أمام ضخامة الهدف وسطوة الانتصار والإستلاء على ثروات الآخرين .

واستمر العمل الدؤوب في صبغ مياه الخليج بـحُمرة الدماء لساعات. استبسل فيها وولفغار بالمقدمة مع روسغار وإكلوف، كانا بجانبه طوال الوقت يستمدان قوتهما من

شجاعته، بالإضافة إلى مقاتلو الجيتس الأربعمائة. وضوضاء كثيرة ملأت الأفق وأصوات متداخلة شوشت على المشهد: ارتطام سفن وصرير سيوف مع عصف الرياح ورعد السحاب بالإضافة إلى صرخات هنا وصرخات هناك، لا تدري لمن ولماذا. ولكن من بينها كانت صرخات تبدو أكثر وضوحاً للجميع من غيرها، كانت من أجل وولفغار.

أصابه سهم متربص عن بعد قد سبق إعداده منالروسبالتحديد لإشباع الحقد والضغينة التي تملكتهم لسنوات. هم أكبر المستفيدين، وحمقى كفاية لفعل هذا لعتقادهم أن قتله هو مفتاح نصرهم. لكن ذكاء وولفغار جعله يسبقهم بخطوة.

فلاحظ روسغار سقوطه أرضاً فألقى فأسه وهرول إليه، وقام بعضهم باعتراضه ليحولوا بينه وبين أبيه ليتأكدوا أنه قد مات. فلحق بروسغار بعض رجال الجيتس عندما رأوه يخوض فيهم ضرباً بقبضته القوية ليخترقهم إلى أبيه، وحملوا عليهم معاً حتى أفنوهم جميعاً وتسنت لروسغار الفرصة أن يصل لأبيه، فأسنده إلى فخذة وأقام رأسه لعله مازال على قيد

الحياة لينظر في عينيه ويبقيه في وعيه. لكنه قد مات، هكذا دون نظرات الوداع التي تهون دائماً هول الفراق الأبدي، هكذا دون النظرات التي ترسخ في الذاكرة لتُقلب مشاعر الحزن والأسى وتستدعيها كلما تجلت الملامح في المخيلات. مات دون النظرات الأخيرة التي حرّمهم منها هذا السهم القاسي الذي أطاع صاحبه وتوجه صوب الهدف بكل إخلاص ليستقر بجبهته ويخترقها إلى قلب رأسه (تلك التي كانت تحوي عينين إضافية بداخل عقله)، والتي طالما أفسدت تعليمهم مخططاتهم في القرصنة واحتلال البلدان وسلب ثروات الممالك. فكان لا بد لهم الانتقام منها - وكان لا بد لها من دفع الثمن. فكانت الصرخات للاستبسال والانتقام لهذا المغوار.

وقد تجلت عبقريته للجميع من هدفه في صناعة الجيتس والقتال المقدس بعد رحيله. وعبقرية الأم أيضاً في مقصدها من أنه قاسي حتى على نفسه. لقد كان يعلم بشأن قتله حين قالت له الأم "ما لك وولفغار قد تذكرتني فجأة قبل رحيلك" فأدرك قولها، وأدرج ذلك ضمن خطته ليلقن القراصنة درساً قاسياً، فلم يجبن

أو يتراجع أو يستسلم لهم أو حتى يتفاوض معهم، وجعل موته سبباً لاستبسال روسغار ومن خلفه الجيتس للنصر عليهم .

وانسحب إكلوفمن القلب على إثر صرخات الاستبسال والتف بعدة سفن له ليست بقليلة ليضربهم من كلا الجانبين، وروسغار في الوسط يناضل مع رجاله الأربعمائة ومن خلفهم باقي المحاربين يستمدون شجاعتهم من مقاتلي الجيتس. وظلوا يقفزون من سفينة لأخرى يتقدمون قتلاً في قرصنة الشمال وقطعاً لرؤوسهم بسيوف الغيظ والانتقام حتى ظهرُوا عليهم .

وهكذا هيدائماً "سيوف الغيظ والانتقام" لا تعرف سوى القتل، هذه مهنتها ولهذا صُنعت، تقطع الرؤوس بسلاسة وانسيابية، ومهارة مُتقنة تجعل من القتل حرفة وفناً، إمّا لاستعباد البشرية وتركها تنوح على قتلاها مخزية ومقهورة ومحبوسة بكوكب فنت من على وجهه معالم الحياة. أو حرفة وفن لتقويض الشيطان وحلفائه لفترة لتتعم فيها البشرية بحقها في الحياة.

فَقُتِلَ من قُتِلَ من الروس وكذلك فر من استطاع عائدين بأذيال
الخبيبة إلى شاطئ "فنلندة" بلا شيء، كما كانوا يقاتلون من أجل
لا شيء .

دماء أريقَت هذا اليوم كافية لترضي غرور الشيطان. نفوس
وأرواح قد أزهِقَت من أجل الأطماع وحب الانتقام. بحر
وأرض وسماء حاضرون وشاهدون على تصارع البشرية من
أجل الفناء، حاضرون لا تنجلي عن ذاكرتهم مشاهد الدم
والنار، وسيرسلون الأقدار يوماً ما لضبط الموازين من جديد
بالحق والعدل.

وعاد روسغار بالنصر الذي أهده إليه أبوه إلى شاطئ
"بيريكاً"؛ بعد الانتهاء من طلاء سطح المياه بلون
الشيطان، حاملاً مولوده الجديد ملفوفاً في قطعة صغيرة من

فرو الذئاب تحميه من البرد، متقدماً لعدة رجال يحملون الملك وولفغار على أكتافهم الغليظة في مشهد مأسوي، يدمي القلوب وتدمع له الأعين حزناً وأسى، ويلبس له الحداد أزماناً يُنعي بكلمات اليتامى والتكالى والضعفاء والكهول وهم مصطفىون يميناً ويساراً أثناء إستقباله بالشاطئ يقول أحدهم: "قائد محنك وملك متوج محمول على الأكتاف بعد سطوة" ويستطرد آخر: "بطل مغوار ومحارب شجاع مسلوب القوة" ويردف آخر: "فارس مقدم ومقاتل شرس قدم حياته فداً لوطنه، ضحى بنفسه من أجل حياة رعيته، كان ضمان أمننا، ومصدر فخرنا. لماذا هو؟!"، تساؤل تعلق به أصواتهم الباكية النائحة في الأفق، دون إجابة أو صدى من الطبيعة القاسية لماذا هو؟ فقد سلبتهما الطبيعة أغلى وأثمن ما كان يملك وطنهم وكانوا يملكون.

(هكذا يبدو الأمر لأي ثقافة وجودية: حزن وأسى وسواد ونواحي يستمر أياماً عدة على أقاصيه لموت ملك مغوار، يدمر

ثم يردف آخر: رافعاً كأسه عالياً ليشرب على شرف الملك
الراحل ويقول بقهقهاء: "طالما كان بطلاً تخشاه قوى الشر بكل
أقنعتها، ولم يجعل لها اختياراً سوى الهزيمة والخزي
والحسرة هاهاهاهاهاها".

تلك الفاجعة بالنسبة لهم هيعة مقنعة للضحكات العالية
الساخرة، وللسعادة الجنونية والاحتفال الصاخب والإفراط
في شرب النبيذ ومعاشرة النساء في العلن ليلة كاملة يباركون
فيها موت الملك في المعركة كالأبطال بأصواتهم الغليظة
المتداخلة مع قرور صب الخمر في الأكواب وقرع الكؤوس
بداخل قاعة احتفالاتهم ليلاً.

غريبو الأطوار هم. للموت رهبة وهيبة تدق القلوب وترجّها
وتجعلها ترتجف إما خوفاً أو احتراماً؛ خوفاً من مجهول
منتظر، أو احتراماً لتلك القوى الخفية التي تسترد روح العالم
من داخلنا. لكن تلك القبائل الفايكينية الشمالية لا يجعلها الموت
إلا أكثر إنغماساً في ملذات الحياة هرباً من حقيقته المؤلمة. فلم
يعد الموت مربعباً لهم بقدر الحياة التي هي أشد رعباً وخزياً.

ورحل وولفغار البطل الفريد الذي قلما أنجبت الأرض مثله.
وحتى بعد رحيله ترك أرض الشمال تعيش على ذكراه تنعم
بقوته التي جلبت السلام للمملكة سنوات عدة قادمة.. مات ولم
تتوان الأرض إلا وقد وُلد بطل آخر في وقته المناسب من رحم
هذه البقعة الشرسة ومن فوهة الحرب والمعاناة وعلى متن
سفينة مقاتلة في قلب بحر أهوج. وهذه الظروف هي الأمثل
لجلب بطل هو الأمثل في هذه الظروف، ليكون البديل.. فلم
يذهب وولفغار سدى؛ وخلف وراءه من هو أشد منه بأساً وأقوى
قلباً وساعداً وصرخة، ترك حفيده "بيوولف" وراءه، هكذا سماه
روسغار "بيوولف" - خليط وتركيبية من غضب الطبيعة وبأس
الحديد وقلب الأسود وعناد الطغاة وقوة الحق. ليبدأ بمعاونة
الآلهة وحفظهم حين يشتد عوده وساعده مرحلة جديدة في
الشمال، يحكم فيها جيل جديد من القبائل المقاتلة بمبادئ أكثر
مثالية وإنسانية، ليقف بقلبه الذي لا يهاب ضد أي شرور
متجرئة غرتها من جديد موت وولفغار .

وأخذ روسغار مولوده الجديد بيوولف على عادة وطقوس الملوك بالسويدو كأنه يدعو لنفسه بخلافة الملك؛ وذهب به إلى "الأم" التي تعيش بالأدغال بداخل كوخها الصغير المصنوع من الغاب وبالكاد يسعها، لاستقبال هذا المولود الغاضب ودائم الصراخ منذ مولده لتباركه وتحصنه ضد شرور الأرض.. وقبل أن يتحدث لها روسغار استقبلته الأم وبادرت به بذاك الأسلوب الغجري المعروف عن العرافات وقالت: "لقد انتظرتكِ طويلاً أيها البطل" فظن روسغار أنها تحدثهوكا ديجيبيها فرحاً بكونه بطلاً في نظرها، فقاطعتَه واستطردت قائلة: "إنه بيوولف أليس كذلك؟! عرفتَه من صراخه، صرخته أكثر وضوحاً لي من كلماتك الهزيلة روسغار، يصرخ وكأنه يرفض الواقع ويريد تغييره".

— وكيف عرفتِ اسمه، ولقد سميتَه فقط منذ لحظات؟!.

- "اصمت ولا تثرثر روسغار". ثم أرسلت إليه يديها
المجعدتين لتحمله بين كفيها، وأخذت تردد كلمات غير
مفهومة، وتمارس عليه طقوسا وثنية بدائية تفعلها بمهارة
وتمرس (تدل على تأخر حضاري وعقائدي) أخذت معها
بعض الوقت، ثم أعادته لأبيه مرة أخرى وقالت له
باختصار شديد: "سيكون عمره أطول من عمرك روسغار،
وسيمتد ذكره ويتسع ما امتدت الأرض واتسعت".
ثم أخذ روسغار مولوده وهو مستبشر بقولها ظناً منهما أنه
سيكون ذا شأن عظيم.

وبعد احتفالهم الصاخب بموت الملك، قد تذكروا جثمانه. كانوا
قد وضعوه على طاولة بزاوية القاعة ونسوه، فاصطدمت
بها قدم روسغار صدفة أثناء مروره بجوارها وهو يترنح من

السُّكر، فتذكره وأمرهم بأن يضربوا الخيمة مستقلة ليستقر بها حتى إتمام مراسم الحرق، وصعد على منصة العرش وهو يترنح بكأس النبيذ وقال لهم: "النار هي أكرم وأسرع طريقة لإرسال الجسد إلى العالم الآخر كما ألفنا أبائنا". فرفعوا كؤوسهم عالياً وتقارعوها على شرف موت الملك.. وظل جسد وولفار بهذه الخيمة لعشرة أيام متتالية لا تتغير رائحة جثمانه فيها أو تتعفن كأنه محفوظ من التلف في هذا الجو البارد، وكأن إله الطبيعة أعطاهم ميزة الجو الشمالي البارد ليبارك به طقوسهم ومراسمهم في إهمال الجثامين لعشرة أيام حتى إتمام مراسيم حرقها.

وفي الأثناء تتم خياطة ملابس الملكية المطرزة بالكثير من أسنان الفرائس المتوحشة التي صادها خلال مسيرته البطولية وبعض الأجزاء الفخارية والخزفية الملونة والقليل من الجواهر النفيسة، والتي تحتاج لتلك الأيام العشرة لتجهيزها، ومن ثم إحراقه.

وفيصبيحة يومهمالتالي لقدوم مولود ذكر مصدر فخر أبيه
تبدو السماء صافية،وكذلك هو صبيحة غدنصر السويد أو
موت ملكها، لا يهم،المهم أن بدا الجو ربيعياً على غير العادة
هذا الصباح، السماء صافية،والبحر هادئ وغير مضطرب،
ونسيمات لطيفة تغازل شعور النساء.الأجواء بالمكان جميلة
ولكن لا أحد يشعر بأيانتصار أو بقدم حفيدجديد للملك
الراحل، التجهيز لمراسم الإحراق هي الطاغيةعلى كل
الأعمال اليومية، حتى وإن كانت الأعمال الأخرى هامة فليس
لها وجود أمام التجهيز للمراسيم المقدسة .. لذلك تطوعتأكثر
الفتيات جمالاً هذا الصباح لمرافقة ملكها إلى العالم الآخر؛ تلك
صاحبة الشعر النحاسي الطويل المسدول على كتفيها كبساط
ممتد إلى نهاية خصرها،تلك التيعيناها أسماء صافية خالية من
أي غيوم، أو زرقاء كبحر سحيق يغرق في أعماقهاالناظرين
من صفاء زرقته. وعلى الرغم من كونها باهرة الجمال هكذا؛
لم يشفع لها جمالها ولا حتى سحر عينيها من التطوع للانتحار
حرقاً بمراسم عجائبية يباركها الجميع.

تجلس فى وسط الساحة العامة للقرية الملكية بين وصفاتها
مثل شمس مشرقة بين الكواكب. الكل يعمل في خدمتها وتحت
أقدامها حتى تنتهيحياكة ثياب الملك. تمسك كأساً من النبيذ لن
يفارق يدها لعدة أيام قادمة، تملؤه الوصيفات من جديد كلما كاد
أن يفرغ، لتكون خارج مدارات الدنيا من فرط السكر ليتسنى
لها الانتحار حرقاً دون تردد. ومن حولها بعض الجاريات
الأخريات ولكنها تتميز عنهن (بشيء لا يحدث إلا فى عالم
الوثنيات) أنها مقدمة على الذهاب للعالم الآخر مع سيدها
الملك، وبارادتها. تغسل إحداهن قدميها في وعاء فخار يوايريق
معدني عتيق، وأخرى تقلم أظافر يدها وهي تجلس كملكة بينهم
شبه عارية تمسك باليد الأخرى كأس النبيذ، وأخرى لا تقل
جمالاً عنهن تمشط شعرها النحاسي الدامي اللامع كخيوط الضوء
التي تنعكس عن ياقوته. وهكذا كل يوم، تأمر ويُستجاب، تطلب
ويُلبي. تجلس أحياناً على ضفاف النهر بين وصفاتها ليفتنها
وتفتنه، فيتوقف عن العدو والفرار لحظات ليختلس نظرة من

شمس وجهها التي تنعكس على صفحته ثم يعود للعدو من جديد في مجراه عندما تغادره.

وبعد أن انتهى الخياطون من الحياكة مع مضي الأيام العشرة؛ تحلّت الفتاة بأجمل ما لديها من حُلِي وثياب لا تستر شيئاً من جسدها إلا أن ارتداءها فقط يزيد من أنوثتها لترافق سيدها في رحلته الأبدية للعالم الآخر كما كانت تتزين لترافقه على سرير العشاق. ومرتفي جولة مرهقة على مدار هذا اليوم الأخير لها في هذه الحياة على أصدقاء الملوك المقربين وأحبائه (جولة بطعم الجنس ورائحة النبيذ)، تختلي بهم واحداً تلو الآخر على سرير العشاق لتحمل لهم رسائلهم إلى العالم الآخر في ذات الوقت الذي تُجهز فيه سفينته الملكية التي ستقله لذاك العالم المجهول.

ومن على باب أحدهم سيقتنم وصيفاتها إلى سفينة الموت وهي خارج نطاق الحياة، مسلوبة الإرادة منذ أيام بفعل الإفراط في النبيذ الذي يُبقيها هكذا على هذه الحالة قابلة للانتحار حرقاً دون تراجع أو تردد.. تتوجه معهم نحو السفينة الملكية في

موكب كحفل تتويج، وهم يصطفون حولها يميناً ويساراً
يحملون المشاعل احتفاء بها وهيفي وسطهم كملكة.وعندما
وصلواالسفينة توقفت حدود تقدمهم عند السلم بينما هي لم
تتوقف وتقدمتوحدھا لتصعده إلى ملكھا الراحل لترافقه
كالعشاق. فسُحب السلم فور صعودھاودُفعت السفينة غدراً
داخل المياه وابتعدتالفتاة شيئاً فشيئاً عن أعين
الجموعوابتعدتالجموع في أعينھاوُتركتالسفينة هكذا للرياح
تتلاعب بها، تسير بحرية تائهة في خطوط متعرجة بلا وجهة
حقيقية،تتمايل وكأنھا تحب ذلك، لا يقيدھا رُبان ولا دفعة، تبتعد
عن طقوسهم الوثنية بكل خيالاتھا وطلاسمھا لتعيش حرية
الاختيار ولو للحظات خاطفة،تتمايل مع الريح وفي خلفيتها
غروب قرص الشمس في ردائه المُشرب بالْحُمرة يحتضنها
كلوحة فنان متقنة؛ لتلاحقھا تلك الطقوس الوثنية الدامية (لذلك
شفق شمسھا أحمر كالدّم ليتناسب مع تلك اللوحة).ويختل
المشهد الهادئ، وتشتعل السفينة بعد سقوط ما يشبه القذائف
الساوية المشتعلة علیھا بفعل سهم مشتعل قد أطلقه أحدهم

بدقة من أعلى قمة لتشتعل وهيفى قلب البحر تتلاعب بها
الأمواج..ومن ثم تفحمت تماماً بهذا الجثمان الميت،والآخر
مسلوب الإرادة والإدراك.

هكذا تبدو مراسيمهم، عابقة برائحة النبيذ والجنس والنار
غريبة ذات طابع عجائبي ليس له مثيل، وكأنها أساطير اكتبها
المؤلفون من وحي الخيال.

وبهذا الانتصار عاد الملك إكلوفإلى المملكة الملعونة بعد مراسيم
الحرق الملكية.كان قد عابعلى نفسه أن يغادر البلاد في حين
التحضير للمراسيم، ففضل المكوث عن ارتكاب عار يظل
يلاحقه بقية عمره.عاد وقد أمّن بلاده لفترة طويلة جداً من
أعظم خطر كانيتربص بالبلاد: القراصنة المعتدون الذين لا
يكونون من السطو والقراصنة على السفن الاسكندنافية المارة

بالخليج.نصر مُهدى لهم مختوم بختم تضحية الملك وولفغار العظيميظلون يجنون ثماره لسنوات.وقد ظنأن بهذا الانتصارقد جاء وقت الراحة والاسترخاء قليلاً..ولكن حقيقة الصراع بالشمال لم تكن كما توقع، ولم يكن ظنه بمحله عندما نام مليء الجفون، فقد أغفل خطرين آخرين عليه وعلى مملكتهاالملعونة،الخطرين الذين سنحت لهما الفرصة الآن أكثر من ذي قبل:خطر الإفرنج إن ربحوا،أوخطر ابنه إن عاد. وقد جاء الرسول بالأخبار لإكلوف يهرول مقطوع الأنفاس يقول له:

— قدحدث هناك بالشمال أمر سيغير خريطة العالم ومن نفوذ الفايكنج باسكندنافيايا سيدي. هذا الحدث سيجعل الصراع محتدماً بين كل الأطراف،والرابح سيربح كل شيء،وأما الخاسر فأيضاً سيخسر كل شيء.

— وما هذا الحدث؟ تكلم .

- فعندما ذهب قاتل إخوته هذا الشقي إلى النرويج بأسطوله الصغير مجبراً منذ عام لسد دينك؛ قاد أول معاركه بجانب ملكها إجتكو ضد الإفرنج. فتقابل الجيشان بالقرب من سواحل النرويج الحصينة، واستهل الإفرنج الهجوم بسفنهم الضخمة العالية التي منحتهم أفضلية المبادرة. فلاحظ وقتها قاتل إخوته تفوق الإفرنج عليهم رغم براعة الفايكنج البحرية وخاصة النرويجيين الذين يتمتعون بقوة ومهارة في الإبحار. ولاحظ أيضاً نقطة القوة للإفرنج والتي ميزتهم ورجحت كفتهم، وهي أن سفنهم ضخمة ومرتفعة عن سفنهم بعدة أمتار وهذا ما كان يعطيهم الأفضلية، ويصعب مع هذه الميزة التغلب عليهم أو الاستمرار في الصمود أمامهم حتى. فتشاور مع إجتكو وعرض عليه خطته، ولم يكن لدى الملك خيار سوى قبولها. فقد أهديت لإجتكو قطك الأسود يا مولايوها هو يقوم بعمله وما يُجيده.. فقرر أن يناوش الإفرنج فقط معتمداً على تضاريس النرويج التي تشكل حصناً يصعب اختراقه دون أن يدخل معهم في معركة حقيقية يخسر فيها المزيد من الرجال، وذلك

حتى يأتي الشتاء ويعود الإفرنج أدراجهم، وتتوقف الحرب بطبيعة الحال، وذلك ليعيد تشكيل خطته من جديد. ومن هنا بدأت الخطة الشيطانية "لقاتل إخوته" فكما عهدناه، قاتل محترف .. هو داهية وتفكيره شيطاني واستطاع بإمكاناته أن يقلب موازين القوى بالشمال وفاق توقعات الجميع عنه، ولم تكن تحسب أيها الملك أو يتوقع أكثر الدنماركيين تفاؤلاً ما حدث بالنرويج.. ففي الشتاء برودة وزمهرير لا يستطيع جيش تحمله أثناء القتال ولا حتى النرويجيون أنفسهم، ولا سيما ضباب الرهل المتكاثف على صفحة الماء العادم للرؤية كـ (السديم).

— أعلم كل هذا عن جو الشمال وعن الضباب، لاتحدثني عن ما أعلم، تكلم عن إنفارث وحسب، ماذا فعل؟

قرر يا سيدي أن ينتظر سفن الإفرنج المتاجرة والمارة بالقرب من شواطئهم في الرحلات الشتوية، وهي ليست بقليلة. وعندما مرت أول القوافل التجارية آمنة كما تعودت، وكما تنص البرتكلات الملاحية التي تمنحهم الطمأنينة والأمان حتى في حالات الحروب بين البلدان.

- يا رجل، أعلم البرتكولات جيداً، أكمل ماذا فعل؟

- كانت "إسكتلاندية" وعندما اقتربت من شواطئهم تهيأ الغدر وتحفز، وقبل أن ترسو وهم وسط الضباب العالق بجو الشمال والمبلد بالغيوم، طل الغدر برأسه السوداء من وسط الضباب كرأس تنين جائع متمثلاً في هذا الشيطان البشري "قاتل إخوته".

- أعلم أنه شيطان بائس، فقط أكمل يا رجل.

- فأعطى الإشارة بذراعه النحيل وبهذه النبرة الناعمة المنخفضة المصاحبة للغدرو قال لرجاله: "الآن قوموا بالالتفاف حولهم وضيقوا الحلقة عليهم شيئاً فشيئاً، واستولوا على ما لديهم، كما جاؤوا ليستعبدوكم ويستولوا على كل ما لديكم، ولكن كونوا رحماء بهم واقتلوهم فنحن لا نستعبد البشر كما يفعلون. وحافظوا على السفن سليمة دون ضرر فهي الهدف الذي من أجله انتظرناهم". وتعامل مع القافلة التجارية كأسطول حرب.

فأخذ إكلوف يفكر قليلاً ويتساءل: "كيف وصل إنفارت إلى هذه الحالة من الجنون؟ ومن أين ورث كل هذا الشر الذي يملكه؟".

- كان الضباب سلاحه الرئيسي في المباغثة والتخفي يا مولاي، كما كان يستخدمه الدنماركيين الشجعان في التخفي للصيد أو القتال كما قبائل الواندال المتوحشة التي كانت لا تأتي ولا تهاجم إلا مع الضباب ومن خلال الضباب من عشرات السنين .

- يا رجل أنسيت أنني أنا من حاربهم وتغلب عليهم، أليس كنت معنا في هذه الحرب، لماذا لا تُنتهي حديثك عن إنفارت!.

- يا سيدي، هذه القبائل أول من استخدم قوى الطبيعة وكانت سلاحهم الأقوى في التخفي داخل هذا الثوب الأبيض لمفاجأة فرائسها، حتى تحول هذا "السديم" البارد عبر الزمن إلى رمز الرعب والفرع عند كل دنماركي طفل كان أو امرأة أو حتى رجل يافع مفتول العضلات.

– معك حق، لقد ساءت سمعة هذا الحدث الإلهي وهذه الظاهرة الطبيعية مع مرور الزمن حتى أن صار الضبابوحشا كاسرا لا يقهر عند غالب الإسكندنافيينمن هول الشر الذي رأوه يأتي معه. وها هو هذا الشقييستعيدالرعب مرة أخرى، ولكن هذه المرة لم يكن الضحية، بل الشيطان.

واستطرد الرسول يقص ..

– ولم تكن السفن التي استولى عليها كافية لخوض حرب مع عدو بمثل قوة الإفرنج، فاضطر أنينتظر قافلة أخرى ليستولي عليها أيضا بهذا الغدر الذي يجيده جيداً ليزيد من عدد السفن الضخمة لديه. فكرر فعلته مع قافلة أخرى آتية من "إيرلندا" ليصبح بحوزته من السفن الضخمة ما يقرب من مائة سفينة، وهي ما يستطيع بها التصديلهجوم الإفرنج .. ولكن خطة الغدر التي تبناها جعلته يسرع في طلب لقاء بالملك إجتكو. وطلب منه أن لا يظل مكانه ينتظر الإفرنج أن يأتوا إليهم في الربيع، وأن يختصر هو الطريق عليهم ويذهب إليهم مستغلاً فصل الشتاء الذي يأمن فيه الجميع من ويلات الحرب

وغدرها ليكسب عنصر المفاجأة. فأذن له أجتكو، فلا حيلة لديه إلا الانصياع لمُخلصها وقطه الأسود .. فأبحر قاتل إخوته بتلك السفن ورسا على شاطئ جزيرة "إيرلندا" ليستيقظ أهلها وتنشق أعينهم في صباح باكر ومن خلف هذا الضباب على رؤية هذه السفن التي يعرفونها جيداً راسية على شواطئهم، متعجبين لعودتها بهذه السرعة من رحلتها التجارية. فتجمعوا في لحظات مثل النحل وهرولوا إليها وصعدوا على متنها ليستطلعوا الأمر، فوجدوها خالية وقد احتلها الضباب، ولم يروا شيئاً سواه. كان تخطيطاً جيداً لقاتل إخوته أن جعلهم يتجمعون على متن السفن ويطمئنون لبياعتهم هو ورجاله. وخرج من السرايب وسط هذا الضباب كأرواح شريرة تحصد الأرواح وتلتهم الأجساد بشراهة؛ ليزيقهم بعضاً من الرعب الذي شهده هو من قبائل الواندال مع حلول الضباب.. جبار ابنك يا سيدي عندما أتاهم مع كل هذا الكم من الشر الشيطاني في فصل الشتاء الذي لا يتوقع فيه الإفرنجية أي هجوم من النرويجيين الذين لا يغادرون قراهم وجزرهم في الشتاء مطلقاً.. وكل هذا

التوحش بعد أن مارس بعضاً منه على متن السفن؛ باجتياز الشاطئ إلى قلب المدينة وأخذ قتلاً في كل من اعترضه، إلى أن ساقته قدماه النحيلتان العرجاء إلى كنيستهم العتيقة المقدسة، فدخلها وحرق ودمر كل ما فيها دون أي استدعاء للضمير البشري أو النزعة الإنسانية التي تنتاب أي رجل سويٍّ مع اختراقه لقوانين الأديان، أو يرتعد جسده رعباً خشية بطش الإله وانتقامه - شعاره "لأرحمة". قتل رهبانها وقساوستها بيد ثابتة ودم بارد كجو الشمال، وألقى بهم في البحر وكل من قاوم ومن يستطيع أن يقاوم كما فعل من قبل مع أخويها الذين ظلت لعنتهما وذكرهما عالقين باسمها إلى اليوم (قاتل إخوته).

فقاطعه إكلوف وقال له: "ويل أمه هذا الشقي، كيف إن كنت تركته هنا بالمملكة؟ لو فعلت لكان قضى على نصف شعبها حقداً وغدراً".

- يا سيدي لم يكن أحد يتوقع كل ما فعله وحققه حتى اجتكوا نفسه.

— اذهب أنت الآن ووافني بمستجدات الأمور أول بأول.

وأخذ قاتل إخوته أسابيعة غزو إيلاندا واستيطانها وهدم الكنائس وقتل رجال الدين، ونشر الوثنية وتغير معالم الجزيرة وكأنه يسابق الزمن لتصبح الوثنية بوجهها القبيح هي طلتها الجديدة كأن لم يدخلها دين قط. كأي غاز يحو كل أثر كان قبل وجوده ليكتب تاريخه بيده أو يزوره لصالحه، كي يورث هذه الإقطاعات الكبيرة الضخمة لأتباعه كأنها إرثهم من الأزل إلى الأبد.

ومن ثم دأبته أطماعه من جديد متعطشاً للمزيد من الغدر والاستيطان كما هي سمة الطغاة التيلا تتفصل عنهم، فجعل بداخل إيرلندا في مدن (دبلن وليمريك وترفورد وكورك) قواعد له تساعد فيشن هجوم آخر على إسكتلندا شمال إنجلترا، ولا سيما المئوي إليها إذا ما أصاب جيشه قرح الحروب.

فهكذا الطمع ارتقى بسقف الطموح عنده للذروة، وكذلك خذلان الشعوب لأوطانهم زال السقف تماماً لدهو جعله أكثر رغبة

وشهوة .. ففاجأ الإفرنج باسكتلانديبهجوم شرس لاجهمفيه بجيشه كاللقمة في فم جائع رغم الوجود الكثيف لهم فيها.

عدم استعدادهم جعلهم لا يستطيعون التصدي له ولا إيقاف هذا الزحف على المقاطعات الإسكتلاندية الواحدة تلو الأخرى، إلى أن وصل بجيشه الجامح حدود إنجلترا ليُذيقهم هناك أثقل هزيمة جعلت إنجلترا مكشوفة أمامه لم يفصله عنها شيء.

وقد أخطأ الإنجليز. فعدم استعدادهم الجيد والطمأنينة بأنهم القوة الأكبر ويملكون جيشاً جراراً لا يهزم؛ هذا ما جعلهم يُهزمون ويفقدون في فصل شتاء عابر (إيرلند واسكتلند) بكاملهم.

ولم يكتف قاتل إخوته بذلك وحسب؛ فشنهجوم آخر على الحدود الشمالية الشرقية بين (إسكتلند وإنجلترا) رغم أنه لم يكن في نيته دخولها بالمرة، ولكن فقط أراد أن يشعرهم بالذعر ليُجبر ملك إنجلترا على طلب هدنة والامتثال لشروطه. فالإنجليز لا

يهادنون بسهولة، فكان ولا بدله من الضغط عليهم بتلك الهجمات القاسية لإجبارهم على ذلك.

ولم يكن بغيته الغرب بالمرة، بل كان جُل طموحه هو العودة لموطنه. ولم يكن طموحه هذا وما بداخله هو الشعور بالغربة الذي ينتاب الجميع (حتى هؤلاء الأعراب في أوطانهم). لا، ما كان إلحاح الانتقام من أبيه ومملكته الذين نبذوه وصنعوا منه ذاك الوحش الدامي، ما كان سوى هذه البذرة الشيطانية قد كبرت بداخله لتصبح شجرة نبتت من قاع جهنم وذلك ثمرها يجنيها لاستمتاع بطعمه المر الذي استساغه وأدمنه.

وربح قاتلاً إخوته وهادنه ملك إنجلترا وتصالحا، وأهداه الملك الإنجليزي صناديق من الذهب والجواهر النفيسة وبعض الجواري الحسنات تأكيداً على جدية الاتفاق والتصالح، وعبدًا يتميز بقوة بنيته وذكائه، اسمه "نورمان"، من أصول إسكندنافية ويجيد القتال والحيل القتالية. والطبيعي أنه سيدين بالولاء لسيده الجديد. وعاد بهم قاتل إخوته ليتفرغ مرة أخرى لغدره، كأن لا يُطيق العيش يوماً واحداً كرجل نبيل.

عاد إلى النرويج وكان مهم لديه أن يغدر بملكها هو الآخر لتكتمل لديها الخطة. واجتكو ملك طيب ودود وقد أعطى لقطه الأسود كرة الخيط يلهو بها، وعليه أن يتحمل تبعات ذلك. أعطاه الأمان، وأعطاه قيادة جيوشه ورجاله، أعطاه الزخم الذي به تمدد وانتشر ليصبح صلباً كفاية أن يستمر، وتراجع أمامه أي قوة تصطدم به. استأمنه وفوضه، وآل إليه كل أمور الجيش والحرب. وخطأ كبير أن يأمن أحد لقطه الأسود.

فدخل عليه قاتل إخوته بعرجته السخيفة فور أن عاد من غزوته، وأتباعه خلفه: ذاك الحارس العملاق الذي يلازمه دائماً، والتابع الجديد "نورمان" ولم يمهله. اجتزوا رأسه من فورهم على عرش ملكه المتواضع وبدم بارد كما فعل بأخويه دونما ندم، إنما تأكيداً على أنه هو شيطان الشمال وطاغيته المقبل ولا قبل لأحد به وبغدره الأسود.

ثم تناول رأس أجتكو من مؤخرتها وجعلها قبالة وجهه وقال كلماته الأكثر شهرة وغروراً: "لقد انتهى دورك في هذه الحياة

أيها الملك الودود، سامحنيلا يستحق هذا العرش ضعيفا مثلك،
أما البقاء فلأقوى، وأما الشمال فهو لي وأنا له".

كلمات كبر وتباه أَرْضِي بها غرور هو كافاً بها نفسه لما حققه.
فقد سيطر فيفصل شتاء عابر على إيرلاندا وإسكتلندا والتابعين
لإنجلترا، وأخيراً النرويج الإسكندنافية بأقوى الأسلحة لديه
والتي يصعب على غيره إمتلاكها- الغدر.

هو ليس بشريا، شيطان يختبئ خلف جسد بشري، يرى الناس
من حيث لا يرونه، يعيش في أقطار الجن والشياطين، داخل
أبعاد مختلفة لأجناس ليست بشرية. يصنع لنفسه كونه
الخاص. سماؤه ليست كسمائنا، تمطر باستمرار بحوراً من
الدماء. أرضه لا تشبه أرضنا، طرق متداخلة كمتاهة مرعبة
غارقة في الدماء، تلك التي أمطرتها سماؤه وقد جفت المياه عنها
لتصنع بركاً دامية متناثرة، يغوص فيها بقدمه كطفل يلهو ولا
يبالي.. وطريقها الغارق بدماء الأبرياء هذا يقود دائماً لعرش
ملك. ملك عظيم لكنه ملعون. مصنوع من عظام ضحايا الحروب
وقتلها والواقعين في شراكها دونما ذنب، عظام كثيرة

متنوعة مختلفة الأحجام لا تفرق فيها بين كبير وصغير ولا بين هشو صلب. الكل مكبل معاً بأسلاك حديدية معقودة بشدة ليصبح العرش متيناً، وكلما شد الوثاق عليها كلما كان العرش أقوى.

فاستدعى حارسه العملاق في سرية تامة واختلى به وأجلسه بجواره على تكرمته الخاصة وهمس في أذنه بصوته الناعم كشيطان يوسوس لوليه، ليخبره بدوره في هذه الخطة، والحارس يستمع له بإتصات وتأهب وقبول.

وفي اليوم التالي مباشرة عقد مجلس حرب يشمل كل مساعديه وقواده ورجاله الأوفياء، وليس أكثر وفاء من رجاله الدنماركيين الذين أتوا معه من المملكة الملعونة. فعرض عليهم خطته وأظهر طمعه وحقه تجاه مملكة أبيه الملعونة. فرحب النرويجيون كون مملكتهم تتسع في عهده لتشمل الجزر الشمالية القريبة وبلاد الإفرنج، وها هو على وشك ضم المملكة الملعونة الشهية لهم، ولا يفصلهم عن التوجه إليها سوى أيام .. فكما قبلوا الغدر بإجتكؤ بدم بارد، لن تستيقظ

ضمائرهم فجأة وتمنعهم من قبول العرض الشهى للغدر
بإكلوف وضم مملكته !! .. أما الدنماركيين فكان ولاؤهم
لموطنهم أكثر من وفائهم لقاتل إخوته، وهذا ما كان يحسب له
قاتل إخوته ألف حساب. كان يعي أنهم بالأصل جنود وأتباع
أبيه إكلوف، وولاؤهم الحقيقي لمملكته الملعونة، وهذا ما
جعل بعضهم تأخذه حمية الوطنية اعتراضا على تلك الخيانة
لأرضه وأهله، (الذين حاول الآنقاتل إخوته أن يضعهم في
مواجهة بعضهم البعض) وبلهجة أقرب للتهديد منها
للاعتراض قال له أحدهم ..

ما عساك تفعل أيها الملك، نار الانتقام من أبيك مازالت
تتأجج بداخلك، أحرقت قلبك وأعمت عينك عن ما تفعل،
أتجتاح موطنك وتقتل أهلك وتحرق أرضك من أجل الانتقام
إنفارت؟! .. أم تحب أناديك "قاتل إخوته" كما تلقبك
إسكندنافيا. إن لم تتراجع عن فكرتك هذه سنمنعك بشتى
الطرق وإن تطلب هذا قتلك. فاحذر وتراجع.

وغادر القاعة من فوره هو ومن وقف موقفه من الدنماركيين
ليعطوا التهديد شيئاً من الجدية. ولم يبدأ الآخرين أي اعتراض
سواءً بالمكوث بالمجلس بصمت وذهول ظل رؤوسهم، فوضعوا
نظرهم بالطاولة واكتفوا بما قاله شجعانهم. فبادرهم قاتل
إخوته وسألهم ببرود أعصاب وهو يعبث بأصابعه: "وأنتم ما
رأيكم؟، هو هام جداً بالنسبة لي، فكروا وأجيبوني وليكن هذا
سريعاً، فأنا لن أسمح لأحد بتأخير الحرب. نعم نعم وأريدكم أن
تعلموا شيئاً قبل أن أنسى، إن لم تكونوا معي فأنتم ضدي. هذا
سيساعدكم قليلاً في التفكير وأخذ القرار السليم الحاسم،
فالقرارات السياسية لا بد وأن تكون حاسمة وسريعة كما
تعلمون".

برغم أنه شيطان؛ رغم أنه بارع وناجح حتى الآن يعلم جيداً
كيف يحافظ على نفوذه ويستمر. يسعى جاهداً للتخلص من كل
معارضيه نروجيين كانوا أم دنماركيين، ويتابع التخلص من
أي أحد له انتماء آخر لشيء ما غيره.. وبعد لحظات كان
الصمت فيها هو السيد أجابه أحدهم نيابة عن الآخرين بكلمات

تهوي من فاه مختصرة وبطيئة وضعيفة يستخدم الشيء الوحيد الذي يملكه الآن؛ وهو تأجيل حسم موقفهم للغد، لعل هذه السويغات القليلة القادمة تكون أكثر رحمة من قاتل إخوته وتلهمهم بحل سياسي يحفظ لهم حياتهم وحياة موطنهم المهدد، فهذا أقصى ما يتمنونه لمزيد من التفكير، فقالوه ما زال ينظر بالطاولة لا يضمن النتائج: "أسمح لنا بالتشاور قليلاً ليوم غد؟".

فخالف قاتل إخوته ظنه وأجابه: "لكم هذا. ولكن حتى أول ضوء ليوم غد، بعدها القرار سيكون لي وحدي".

وقد أوقع نفسه في خطأ حينسمح لهم بأن يتشاوروا وحدهم لغد؛ أفسد خطته بنفسه لسنوات عدة قادمة بهذه المهلة دون أن يشعر. فكونه شيطانا هذا لا يجعل منه إلها لا يخطئ. فقد أطلق لهم العنان بأن يتشاوروا وحدهم، ولم يكن تشاورا بقدر ما كان تأمرا لإفشال خطته.

فَرُبُّ لِحظَات خَاطِفَةٍ هِيَ الْكَافِيَةُ لِإِنْقَازِ رُوحِ الْوِطَنِ وَوَقْتُ
الْمَحَنَةِ. رُبُّ سَوِيَعَاتٍ لَا يَعِي قِيَمَتَهَا وَلَا يَسْتَغْلِيهَا إِلَّا رِجَالٌ
يَقْدَرُونَ قِيَمَةَ الْوِطَنِ وَمَدَى حَاجَتِهِ لَهُمْ، تَكُونُ هِيَ الْفَاصِلَةُ.

وَكَانَتِ الْبَنِيَّةُ لِقَتْلِ كُلِّ مَنْ اعْتَرَضَ وَهَدَدَ شَيْئًا بِدِيْهِهَا بِالنِّسْبَةِ لِقَاتِلِ
مُحْتَرَفٍ، احْتَرَفَ الْقَتْلَ وَالْغَدْرَ بَلَا مَبْدَأٍ يَرُدُّعُهُ حَتَّى عَنْ أَقْرَبِ
الرِّجَالِ مِنْهُ وَأَوْفَاهُمْ لَهُ. فَلَمْ يَكُنِ الْوَفَاءُ يَوْمًا مَا أَوْ سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ
شَفِيعًا عِنْدَ الْغَادِرِينَ إِذَا مَا تَعَارَضَتْ ضَمَائِرُهُمْ مَعَ
أَحْلَامِهِمَا الْمَجْنُونَةِ. هَكَذَا الْجَنُونُ وَكَذَلِكَ الْغَدْرُ، بَلَا مَبْدَأٍ .. وَتِلْكَ
كَانَتِ مِهْمَةُ الْحَارِسِ الْعَمَلِاقِ، وَهَذَا مَا كَانَ يُوَسُّوسُ لَهُ بِهِ سَيِّدُهُ
الْأَغْتِيَالَاتِ، الَّتِي أَجَادَهَا بِحَرْفِيَّةٍ عَلَى مَرِّ سَنَوَاتٍ بِجَانِبِ هَذَا
الشَّيْطَانِ. يَسْتَجِيبُ لَوْ سَاوَسَهُ وَيَنْجِزُ مِهْمَتَهُ بِوَفَاءٍ كَالْكَلَابِ.

وَقَدْ كَانَتِ شَجَاعَةُ مَفْرُطَةٍ تَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ لِمَنْ وَاجِهُوا "قَاتِلَ
إِخْوَتِهِ" وَأَعْلَنُوا أَنَّهُمْ فِدَاءُ الْوِطَنِ فِي الْوَقْتِ
الْمُنَاسِبِ، وَأَفْصَحُوا عَنْ سَلَامَةِ ضَمَائِرِهِمْ لَوْطَنِهِمْ وَهُمْ يَعْرِفُونَ
أَنَّ هَذَا الشَّقِيَّ يَفْتَقِدُ هَذَا الضَّمِيرَ تَجَاهَ وَطَنِهِ وَتَجَاهَهُمْ. لَكِنْهُمْ
خَسَرُوا جِرَاءَ هَذِهِ الشَّجَاعَةِ وَالْمُوَاجَهَةِ الْعَمِيَاءِ رِقَابَهُمْ. فَرِغَ

عظم التضحية التي قدموها لم تغنالموطن من ويل الحربولمتحقق له السلامة كما ظنوا،فكما يحتاج القرار السياسى سرعة وحسما كما قال من قبل؛الحكمة هي ضمان فرض الكلمة وإلزام القرار ..وقد عم خبر انتحارهمالربوع النرويجية فى الصباح.هكذا شاع الخبر على غير حقيقته.

اغتيالهم، وكان بمثابة تهديد واضح للباقيين الذين أجمع بعضهم على ضرورة القبول بالبقاء جانبه. أما البعض الآخر فقرر المجازفة والهرب لعلهم يحظوا بفرصة للعودة إلى موطنهم وإخبار الملك بعودة ابنهالشقيعما قريب غازياً، كما يخبرونهبما يدور في رأسه وداخل مجالسه تجاه خطة العودة والغزو.

فاستدعاهمقاتل إخوته في الصباح مع أول خيط للشروق بعد انتشار خبر انتحار البقية لمعرفة قرارهم تجاه الحرب، فاكتشف متأخراً فرار بعضهم نحو المملكة الملعونة. فأظهر اللامبالاة المصاحبة دائماً للطغاة واعتبر فرارهم هذا يجعله الفائز في معركة المواجهة معهم.ثم جلس على عرشه بعنجهية بعد أن مثلاًآخرونأمامه وأخذ يعبث بأصابعهمتكبراً عليهم،

وقام بتناول تفاحة وسكين من على منضدة صغيرة بجانب العرش وأخذ يقطع ويأكل من على طرف السكين كقرصان يهوى المخاطرة أو قاطع طريق، ثم تحدث إليهم بعد هذا الدرس في الكبر والتعالي الذي يزعج فيهم وقال لهم: "بما أنكم على قيد الحياة حتى الآن، وبما أنكم لم تفروا مع الآخرين؛ إذاً أنتم معي وستقاتلون إلى صفي، أليس كذلك؟". فبرز أحدهم وهو يتبخر ليظهر بعض الثقة أمام هذه العنجهية مجيباً له: "نحن لا نبالي أندخل المملكة الملعونة فارين أم غازين، إنما نتساءل، ما يعود علينا إن حاربنا إلى جانبك؟".

فأعجبت لهجة الرجل وثقته بنفسه، فأجابه:

– قبولكم بالمبدأ يجعلنا لا نختلف على الثمن، ولكني أعدكم عندما أدخل المملكة الملعونة ملكاً عليها ستكونون أنتم من يحدد الثمن لنفسه فما قولكم؟.

كانت خطة جيدة وحكيمة تلك التي جعلتهم محل ثقة عنده ليبقوا بالقرب منه ويطلعوا على كل مخططاته الشيطانية ضد

المملكة الملعونة. حققت مرادهم وأبقت على حياتهم إلى أن يحين وقت التضحية الحقيقية التي تُبقي على وطنهم سالماً وإن ذهب أرواحهم فداء.

وقد انطلقت عليه الحيلة فاسترخى قليلاً ومد قدميه في مواجهتهم، ثم أشار لهم بأصبعيه السبابة والوسطى وهو يضع نظره في جهة أخرى ليكتمل مشهد الغرور الذي يُجيد تمثيله، أن يغادروا القاعة .. شعر وكأنه إله، لم يخلق منطينكما البشر. طاغية من طواغيث الأرض، هذا كله رغم أنه جبان وأحمق وهو يعلم ذلك!! ولكن كونه حليف الشيطان؛ داعبه شيطانه بالعودة لموطنه في أسرع وقت كونه يمتلك الزخم الذي لم ينطفئ، فحدد موعد التعبئة والحرب بعد أن فرض سطوته على النرويج بالكامل. وقوى أركان مُلكه فيها وتخلص من كل مُخلص إما للملك الراحل إجتكو أو أبيه إكلوف، وقرر أن يشن أول هجوم له على شواطئ موطنه بأسطولها الضخم وسفنه الإفرنجية العالية. فاقترح عليه "نورمان" خطة هجوم مستوحاة من خطط الإفرنج والإنجليز الجهنمية فأولاه قاتل إخوته

القيادة العامة للجيش وكل مهام الاستعداد والتعبئة.. وقد جاء يوم الاجتياح، وحانت اللحظة لتحقيق حلم العودة غازياً ومنتقماً وغادراً، فهو طريقه السهل الخالي من العقبات إن لم يكن يؤمن بأي مبادئ، وهو كذلك، ليس لأيقديسية قيمة عنده أو أهمية. ويبدو أنه عشق الغزو والغدر، ومحموم بالانتقام. وغيب كفاية لكنه يوظف غباءه جيداً، فلو كان ترك إخوته دون قتلهم، لبعثهما أباه الملك معاً لسد دينه في هذه الحرب طويلة الأمد، وظل هو دون منافس وريث العرش. أما ولم يتبقى غيره فتوجب عليه الانصياع لأمر أبيه بالسفر (أو بالنفي كما اعتقد). لكنه سيطر في شتاء عابر على الشمال (بلاد النرويج) والشمال الغربي (بلاد الإفرنج)، وهذا أكثر مما كان يتمناه أو يطمحه لنفسه، فعندما وجده إبليس عبداً جيداً مطيعاً لا يخشى الدماء جعل منه عظيماً من عظماء الأرض يعمل له الجميع حساباً.

ومع إنطلاق الجيش صوب المملكة الملعوننة، بعث رجال الإكلوف بقصر قاتل إخوته رسالة تحذيرية في الخفاء

لإكلوف طالبين منه التحصن جيداً مع تفصيلاً لخطة الهجوم
الجهنمية التي وضعها نورمان، ليضع هو خطة دفاع مناسبة
يقاوم بها السفن الإفرنجية العالية، مستخدمين التضاريس
الجبليّة الساحليّة لتحقيق أفضليّة عليها من أعلى.

مملكة ملعونة لم يحظ أهلها يوماً بالنوم ملء الجفون،
وسيجعلها هذا الشقي أكثر لعنة وحذر لسنوات قادمة طالما
الانتقام سلاحه والغدر طريقه السهل الخالي من العقبات
..فانتشر أسطوله على طول الساحل الدنماركي ليفرض
حصاراً قوياً ويتوغل للقلب، لكنه وجد مقاومة قوية وكمان
كبدت أسطوله خسائر غير ضرورية بعد حصار قصير طفا
على ملامحه الفشل منذ اليوم الأول.

وبعد عدة أيام من المحاولات الفاشلة أمر
نورمان الأسطول بالتراجع إلى أن يجد الوقت والخطة المناسبين
لشن هجوم آخر.

وكان كلما نوى قاتل إخوته شن هجوم جديد بخطة جديدة، تصل الرسائل الليلية بالخطة ووقت التحرك للملك إكلوف فيأخذ التدابير الدفاعية التي تُفشّل طمع ابنهفي المملكة، ويكبده بعض الخسائر الفجائية التي تجبره على التراجع كل مرة .. وكل هذه التدابير لا تجعل إكلوفيستطيع النومإلا وله عين مفتوحة يراقب بها ويحاذر غدر ابنهالذي أصبح له ملك عظيملا يستهان به،ونفوذ يصل لعمق أوروبا لم يصل إليه ملك إسكندنافي قبله، يتساءل دائماًحين يختلي بنفسه:"أشر فعلتحين أرسلته إلى النرويج منذ البداية؟ أم لم يكن لدي خيار في هذا؟"، ويجيب نفسه بالإجابة عينها كل مرة: "فإن أبقيته كان غدره قد طالني وطال أهله وبني قبيلته بالمملكة، لا خيار".

الأمر سيان، المهم أناالمملكة تظللعلى لعنتها كما هي رغم التساؤلات والتدابير، مطمع لكل قوى الشر التي تلاحقها، وكان الآلهة تخلت عنها وتركتها لمفترسيها تتنازع ألامالجروح الغائرة التي خلفتها معارك التصدي.وتصارعالموت وحدها،تقاوما لاحتضار لعلها تحظى بحق الحياة كغيرها.

وفى تلك الأعوام كان روسغار يحكم مملكته الثرية بشيء من الحكمة قد ورثها عن أبيه، فقد عيّن منافسه القديم ثوركيل وزيراً له كي يحافظ على بقائه بجواره ينتظر دوره في الملك، بدلاً من أن يتركه بعيداً عنه تتلاعب به وساوس الشيطان في الإجهاز عليه .. ومن سياسته ودهائه المتوارث أنه اتخذ يوم الانتصار العظيم على القراصنة، والذيهو نفس يوم موت أبيه وولفغار الذي سطر آخر أمجاده في هذه الحرب، كما هو أيضاً يوم مولد ابنه الأصغر والبطل المنتظر بيوولف؛ عيداً واحتفالاً سنوياً، يتقاسم فيه كنوزه ومجوهراته مع شعبه وينثر عليهم عملاته الذهبية في تعالى وكبرياء الملوك كي يحافظ على مكانه ومكانته بينهم.

قمة الحكمة والسياسة هي التي تجعل صاحبها يحافظ على منصبه بين الناس كملك وهو حقير، خاصة وأن روسغار يعلم أنه ليس بقوة أبيه، فاستخدم الحكمة فضلاً عن القوة والمجد الذي لا يمتلك منهما إلا القليل .. ورغمانه يعيش على أمجاد أبيه وبعض الأمجاد الزائفة له؛ نجح في سياسته كملك وجعل قبوله مستساغاً عند القبائل لسنوات يجعلون منه قديساً كونه قائد محاربي "الجيتس المقدس" وابن ملكهم العظيم الراحل.

وكبر أبنائه الثلاثة في تلك الأعوام أمام عينها تم فيها بيوولف عامه الخامس عشر. وأصبح صاحب طول فارع مكتمل البنية كرجال الشمال، تامين البنية كأنهم النخل بأجسام قوية مفتولة العضلات، ربما كافية لصد كل تلك الشرور التي تعلن هذه الأرض. أشقر وله شعر طويل مسدول على ظهره وكتفيه ككل الرجال، لا تقل شعوره مطولاً عن شعور النساء، حمراء بعض الشيء كشمس تدمك لما غربت. كما أن نساءهم شُقر حُمر مكتملات الجمال والأبدان صاحبات أعين واسعة زرقاء أو خضراء، تنعكس في أعينها الطبيعة بكل جمالها وألوانها الفاتنة؛

بُنية كأديم الأرض الذي ينتظر الإنبات، أو خضراء تدب فيها الحياة كجنة غناء، أو زرقاء تحتوي الناظر فيهما بسعتها كسماء صافية. وبيوولف كانتله عينزرقاء صافية كلون السماء والأخرى بُنية كلون الأديم، عيان تشبه في حدثهما ولونهما عيون الذئاب. تجمعان في حدثهما قوة لا نهائية كقوة الطبيعة لا صمود أمامها، وثبات في المبادئ والقوانين لا تغير فيها، وتغير في الحالة بجنون وقسوة وغضب، كما يكمن فيها الدفء والجمال والرحمة.

اختصه الإله بهذه الخلقة لتعكس ما بداخله من صفات الطبيعة التي يسكنها وتسكنه. وحباهم في الشمال بكل هذا الجمال في خلقتهم ليعوضهم عن بعض قبح هذه المخلوقات الشرسة التي تسكن أرضهم.

اسمهم يعني الذئب القوي في لكانتهم الشمالية، السويدية بالأخص. حيث عيناه التي تشبه عيون الذئاب، وحيث تلك القطعة من فرو الذئاب التي لُف بها يوم مولده الخالد في ذاكرة السويد، وأيضاً تخليداً لاسم جده العظيم وولفغار الذي يشتق

اسمه من اسمه..تميز بين إخوته بحبه لصيد وحوش البرية وخاصة الذئاب منها في غابات السويد الواسعة والتي تشوه لوحاتها الفنية الجميلة المبدعة تلك الوحوش برغم أنها لم تكن هواية للكثيرين بقدر ما كانت مهنة يمتنها الأقوياء منهم لصد تلك الوحوش عن المزارع والضياع التي ترعى أغنامهم فيها.أما هو فقد تفرد بطريقته الخاصة في الصيد والتي تحمل مبادئ جديدة ومختلفة عن ما كانوا يعملون هياكل رقيقا وفروسية ونبلا، وهذا لم يكن في أحد غيره .

وبدأت غرائزه هذه وطباعه تبرز للعامة للمرة الأولى ليلة حمقاء بدا لديه طاقة وقوة وغضب كامن في داخله ملحوظ جداً لأبيه الذي تحاشاه وتجنبه عندما انفجر غضبه في وجهه صراخاً واعتراضاً تلك الليلة المنحلة، حيث الشراب الكثير والسكر الفاحش والضحكات العالية المتناثرة والمتبعثرة من أفواه الحضور. والملك جالس على عرش مملكة بقاعة احتفالهم كعادته نصف عاري تقريباً كما الباقيين من ضيوفه وأبنائه، وبجواريه الجاريات العاريات المتجردات تماماً من

ملا بسهن واللاتي يملأن المجلس يفتنّ الضيوف بجمالهن الباهر
وأجسامهن التامة الفاتنة. ينهشون قطع اللحم بيسراهم كما
الوحوش فضلاً عن كؤوس النبيذ التيلا تفارق يمناهم. فأحدهم
يسكر، وآخر يقع على فاتنة. وفي الخلفية عزف على آلة وترية
وحيدة صوتها ينساب داخل الأذان بلطف.

فاقتحم عليهم المجلس فجأة بعض المزارعين والرعاة من
القرى المجاورة للقرية الملكية فقال أحدهم لروسغار بعدما
قطعوا عليهم احتفالهم الصاخب "سيدي الملك. نعتذر عن
اقتحام مجلس احتفالكم هكذا، ولكننا جننا نستغيث بك من
ازدياد وحوش البرية، تنال من بهائمنا وترزع رعيانا وتهدد
رؤوس أموالنا، ولم نعد نتحملها بعد اليوم، فالعشرات من
بهائمنا تُقتل كل لحظة، خراف ونعاج وبقر. الغني منا أصبح
فقيراً، والفقير أصبح معدماً....". وبكلمات غير مسؤولة تخرج
من فم تفوح منه رائحة السكر وباستهتار تام قاطع روسغار
الرجل وقال له: "غداً باكراً لن يتبق من هذا كله شيء، سأهشم
جماجمها الضخمة الغبية بيدي هذه التي أحمل بها كأس النبيذ

هههه هاهاه"ثم تبعت هذه الكلمة ضحكات عالية من رجاله رجت القاعة وكأن الأمر هو أسهل ما يكون.

وكان بين الحضور أبناء روسغار، يجلسون بجوار هفي تميز عن الآخرين كونهم أبناء الملك. أما بيوولف هذا الفتى المعاند الغاضب دائماً يجلس وحيداً في زاوية القاعة بلا حراك يعبت بقطعة خشبية بيده تكسر ملله وضجره وتمرر الوقت الفانيحتى ينتهى المجلس ويغادر. لا يستطيع التأقلم مع كل هذا الانحلال كما الباقين، يفضل أن يكون جمادا بلا روح متفاعلة ومنطقة مثلهم ليبقى نفسه غير ملفت لأنظارهم منعزلاً بكل جوارحه عن تلك المهازل، ويكاد ينجح في هذا فلا يأبه لحضوره أحد، إلا أن أباه دائماً يجبره على الحضور ويداعبه أحياناً ببعض الكلمات البذيئة أو عرض النبذ عليه في سخريه ليجد بيوولف نفسه مادة مستساغة للضحكات العبثية البلهاء بين الحضور، والتي تجعلها سخطاً من هذه المجالس الروتينية الحمقاء.. ولكن حضور ذهنه جعله يسمع وينتبه لما قاله الرعاة، وجعلها تأتي النهار وهو

أول الرجال استعدادا ينتظر حضور أبيه لقيادة هذا القطيع
البشري لاصطياد وحوش البرية كما قال .

وخيظ ضوء النهار واجتمع الصيادون والمحاربون ورجال
الملك ومع كل واحد منهم فأسه وسيفه وسكينه، ويزيد مع
البعض منهم الرماح الخشبية الطويلة المسنونة..بيوولف
صغير على استخدام كل هذه العدة ويثقل عليه حملها، فلم يتخذ
له إلا سكيناً ظل يجلي نصلها طوال الليل حتى النهار لتصبح
حادّة بما يكفي لذبح العديد من الوحوش الشرسة كما يعتقد. أخذ
يلوح بها طول الليل بحركات قتالية أو بهلوانية ثم وضعها في
حذاءه الطويل المصنوع من جلود إحدى هذه الوحوش،
وارتدى كساء قومه الصيفي الشبه عاري الذي يغطي أحد شقيه
ويخرج إحدى يديه من الآخر. لكنه وضع لشعره الطويل
المسدول رابطة حتى يتسنى له التحرك بحرية بخلافهم
يتركون شعورهم مسدولة على أكتافهم لتعطي نوع من الهيبة.

وعندما خيظ ضوء الفجر اصطفوا جميعاً على خيولهم في هذا
الجو الرمادي في انتظار الملك حتى يستيقظ. واصطف معهم

دون خيل يركبها وكلها استعداد وشغف في حب المواجهة ليضع نفسه على طريق المجد والبطولات .. كان يجد في نفسه وقلبه قوة يستطيع بها أن يصبح مثل جده الملك لا يهاب شيئاً. يقتل الوحوش ويهشم جماجمها بيده ببعض الحركات التي يتفوق بها عليهم ويطعن الكثير منها بسكينه. هكذا يتغنى روسغار أمامه دائماً بهذه الحكايات، وبأمجاده الزائفة، وأجداده في مجالسه المُنحلة أخلاقياً، ويزيد على الصحيح منها كذباً كلما وجد ضيوفه في حالة من الاستمتاع وتقبل المزيد. ولكن بيوولف كان يسمعها دائماً بشغف واهتمام مو يصدقها.

وعندما خرج الملك أخيراً وهو متوشحاً سيفه الثقيل الضخم الذي يتناسب مع تلك القبضة القوية. وقبل أن يمتطي فرسه الضخم لمح بيوولفتائها بين أقدام رجاله العملاقة العارية، فتقدم إليه وانحنى له وجذبه من كتفه وقال له باختصار وتهكم خوفاً عليه: "عُد". ثم امتطى فرسه مع رجاله وذهب، وترك بيوولف خلف ظهره ينظر إليهم بسخط وغضب إضافي، في مشهد يزداد صغراً في عينه كلما ابتعدوا.

وبعد انتهاء النهار وانفلات خيطه فيسويغات قليلة انسدتبعده ستائر الظلام السحيق على الشمال؛ عاد روسغار ورجاله من حملتهم الناجحة تجر خيولهم العشرات من السباع والذئاب والضباع المقتولة بالرماح، وسط صياح وتصفيق النساء والأطفال احتفالاً بعودة رجالهم سالمين من "السديم" غانمين منه وحوشه القاتلة.

وبيوولفيراقبهم من بعيد أثناء عودتهم من خلف ساق شجرة قيقب عملاقة على ضفاف النهر، تكشف له الساحة كاملة دون أن يراه أحد، والشمس مُحمرّة خلف ظهره وقت الغروب، ترتدي الحُمْرة كعاداتها لتعكس كل الضجيج الذي ينتابه على صفحة المياه: سخط وغيرة وغضب وصراخ كامن يرفض الواقع. وعودتهم غانمين شحنت بداخله غضباً إضافياً أيقظ لديها التحدي والمواجهة مع أبيه هذه الليلة.

فدعاروسغار رجاله في أول هذه الليلة لقاعة الاحتفالات بعد حملة الصيد الشاقة الناجحة، والتي ستستغرق أياماً عدة قادمة للقضاء على وحوش البرية التي تهدد الحرث والنسل

والرعي ..وكعادتهم لا يفوتون حدثا ولو كان تافهاً للاحتفال وشرب النبيذ وممارسة كل مشترياتهم الرذيلة والمنحلة بكل شراهة، حتى الموت عندهم هو أول أسباب هذا المرح والاحتفال ..وأثناء ما هم في أوج الاحتفال والسُّكر بحث الملك بعينيه عن بيوولفالذي اعتاده في زاوية القاعة شاردا كعادته ليداعبه ببعض الكلمات البذيئة وعرض النبيذ عليه أو سكه على ملابسه في سخرية وضحكات غير مسؤولة فلم يجده.فأمر حراسه بأن يبحثوا عنه كي يحضر معه مجلس السمر ليتباهي به ككل يوم.فانتشر الحرس استجابة لأوامر الملك بحثاً عنه في كل اتجاه حتى وجدوه بعد جهود مُضنية هناك عند ساق شجرة القيقب التي اتخذها صديقاً له.ثم عاد كبير الحرس للملك بخيبة أمل وأخبره قائلاً: "لقد وجدنا الأمير بيوولف يا مولاي على ضفاف النهر، ولكنه صرخ فينا، ورفض الحضور".فتذكر روسغار تعنيفه له في الصباح مع بدء رحلة الصيد، فقال في نفسه "ربما هو غاضبمنذ الصباح!". هذا الفتى لا يكف عن الغضب أبداً". فتفاجأ بحضوره أمامه

بتلك الملامح الغاضبة والنظرات الحادة التي يرتعب لها الجميع حتى هو، فأراد سريعاً أن يداعبه ليكسر هذه الحدة بأن يرسل يده بكأس النبيذ إليه، فأزاحها بيوولف عنه بعنف جعلت الكأس تتطاير بما فيها فوق رؤوس الرجال من حوله، جعلتهم يفيقون من سكرهم في دهشة انتشرت بين وجوههم كالعدوى، وتوقف العزف والغناء لحظات وساد الصمت بالقاعة فيانتظار ردة فعل الملك. فتحدث بيوولف لأبيه قائلاً له بثقة وغضب متحد: "لن أعود المرة القادمة" ثم رحل.

وبعد نظرات من روسغار تتبعت بيوولف حتى الباب نظر لجلسائه وضحك ثم قال لهم: "هاهاهاها اعزفوا وغنوا أنه بيوولف كما تعلمون لا يكف عن التذمر".

ومنذ ذلك الحين وقد اتخذ الأمير الغاضب مكانة لنفسه عند الجميع من جدية حديثه وحدة نظراته، فهو لا يعرف المزاح مثلهم. ذهب عنهم واختلى بنفسه مستيقظاً مع سكينه حتى الصباح يجهز نفسه لمهمته الأولى وللتحدي الأقوى مع أبيه بأنه قادر ويستطيع.

وأشرق صباح اليوم على نحو صباح الأمس، فكان أول المنتظرين، لكنه اتخذ لنفسه في هذا اليوم فرساً يستطيع أن يجاريه هؤلاء العمالقة المحترفين. فوجد بجواره فتى في نفس عمره تقريباً أو يكبره بشهور قليلة يحوم بفرسه ينتظر حضور الملك هو الآخر. فلم يتحدث له بيولف في البداية، كان هدفه يشغله؛ يملأ كيانه ويشغل باله ولا يرى غيره.. ثم خرج الملك يتفحص رجاله ويتأكد أنهم مستعدون، فرأى بيولف من بعيد على فرس وبجواره فتى آخر أيضاً في نفس عمره تقريباً، فما كان منه إلا أن قال ساخراً لرجاله بصوته الأجلش: "سنقدمهم طعاماً للذئاب اليوم. هههههه". ثم امتطى فرسه ومضى مع رجاله تاركاً ابنه مع الفتى الآخر في المؤخرة مهملين. إلى أن وصلوا لمنطقة الخطر التي تعج بالحيوانات المفترسة في الغابة والسهل القريب منها؛ فنزلوا عن مطياتهم حذرين، وكذلك فعل بيولف والفتى الآخر الذي لم يتعرف عليه حتى الآن. فوجدهم يقتربون ببطء وتحفز من حفرة صغيرة بعض الشيء، فاقترب معهم لينظر ما بها، فما

وجدھا إلفخالاصطياد الحيوانات، ولم يكن بهاسوى كلب
وليس ذئبا أو ضبعا أو أسدا كما ظن. وظلوا يمشون مترجلين
بحذر بين الفخاخ الكثيرة التي قد صنعوها مسبقاً لينظروا ما
بها ويطعنوا صيدها برماحهم .. وظل بيوولفيتنقل بنظره في
وجوههم متعجباً، ثم نظر للفتى الآخر بجواره بنفس النظرة ثم
نادى أباه بسخرية "يا ملك السويد" فنظر له روسغار والرجال
ظناً منهم أنه وجد شيئاً. فاستطرد عندما استرعى انتباههم
"أهذا ما تصنعونه لصيد الوحوش!! أهى الفخاخ وسيلتكم
لصيدها!! . ليس من سمات الأبطال صناعة الفخاخ لصيد
الوحوش، وليس من سماتهم التجاين في مواجهتها. إنما الفخاخ
للجبناء.وأما أنا فإما أن أهاجمها في عرينها أو أستدرجها
للخارج.أواجهها،سكيني أمام أنيابها. هكذا الأبطال ولهذا
جئت".

وبنظرة باهتة وابتسامة ساخرة أنهى حديثه قائلاً: "أما الفخاخ
فمكر اللئام لصيد الهوام". ثم امتطى فرسه على عجلة بحماس
الشباب وذهب عنهم بصديقيه الجديدين – فرسه وسكينه، لينضم

له صديق ثالث راقى له هذه السهام اللفظية الموجهة لملك السويد ذات نفسه؛ الفتى الآخر الذي كان يجاوره طول هذه الرحلة القصيرة، غادر المكان خلفه وأخذ يلاحقه بين الأشجار. فشعر بيولف بمن يلاحقه فظن أن أباه قد أرسل خلفه من يأتي به فأسرع هرباً منه إلى أن ناداه هذا الفتى من خلفه وقال له "أيها الأمير بيولف، تمهل سأتي معك".

ولأنه يشعر دائماً بالوحدة ولأن طبيعته مختلفة لا تتناغم مع عادات وتقاليده وثنية قومه ولا تنسجم مع انحلالهم المتعاهد الذي أصبح طقوس تدينهم وتقربهم من الآلهة؛ شعر باحتياجه لصديق يفهم تلك الطبيعة المختلفة ويتقبلها كما هي بل ويعتنقها، فأبطأ سيره قليلاً ليلحق بهذا الفتى الذي يكبره بشهور قليلة لعله هو الصديق الذي يبحث عنه، فأبطؤوا السير معاً يتعارفون ويتأملون هذه البرية الفاتنة التي يخوضونها وحدهم للمرة الأولى .

اسمي" ويجليوف بن كروزر" الفارس "كروزر" لقد مات
أبيكالأبطال مع جدك الملك في المعركة نفسها ضد القراصنة.

وظل بيوولف صامتاً مشتتاً يجهل من أين يبدأ! وإلى أين
يذهب!. ثم استطرد " ويجليوف" قائلاً:

– أريد أن أرافقك. لقد راق لي ما قلته لأبيك الملك في المجلس
ولهذا حضرت في الصباح لأرافقك، وكذلك يروق لي ما تتوي
فعله. أريد أن أصنع مجداً كمجد أبي يتغنى به الأبطال.

فنظر له بيوولف بشوق وبعين بارقة، كأنه وجد ضالته لتوه.
فاشتعل حماسه وازداد إصراره ولمعت فكرته، فقال له:

– أرى أن لديك رمحا ويجليوف، فلننتبع أحد الوحوش إذاً.

فأشهر سكينه بعدما سحبها من حذائه، ونزلا عن مطيئيهما
يسيران بخفة فوق الحشائش يبحثان عن واحد يتربصان له،
حتى لمحا واحداً على مسافة، فأخذا يقتربان منه بنفس الخفة
(ذئب يتربص هو الآخر لفريسته) فتربص له كذلك بيوولف
بالرمح مختبئاً خلف شجيرة تخفيه هو وصديقه عن عيون

الذئب وتمكنهم منه، ينتظر لحظته المناسبة لصيد أولى غنائمه.فانتظرا كثيراً حتى مل ويجليوف وهمس له"هذه اللحظة المناسبة أيها الأمير، ماذا تنتظر؟!".

فأجابه بيوولف بنفس الهمس حتى لا يفقدان فريستيها،وبما يؤسس به مبادئه الفريدة ويصنع به مجدهاالتليد "ليس بعد، ليس من العدل ويجليوف أن أهاجم خصماً يخوض معركة مع عدو آخر، لا بدوأن أنتظر" .

فانقض الذئب على فريسته ثم انطلق بها سريعاً إلى وكره، فقفز بيوولف ليمتطي فرسه بقفزة واحدة يتتبعه وسط سيقان هذه الأشجار الباسقة ومن خلفه صديقه ويجليوف، حتى دخل الذئب وكره يستفرد بفريسته، فترجل بيوولف أمام هذا الوكروأشعل ناراً بطرف عود من الحطب ليووجهه بعقر وكره المظلم. فخشي عليه ويجليوف ورفض الفكرة المجنونة وسأله متعجباً "أتدخل للذئب وكره!!".

فأجابه بيوولف:

ما المانع طالما سكينى معى وأنا أريد ذلك.

فقال له ويجليوف:

إذا دعنى أدخل معك.

فأشار له بيوولفبيده فى ثقة معهودة له "أن امكث". وتأهب هو للدخول وحده بخطوات بطيئة حذرة، ويجليوف ينتظر بالخارج يراقبه بقلق وهو يبتعد ويتلاشى نور مشعلها إخفات داخل بطن هذا الكهف شيئاً فشيئاً، حتى اختفت تماماً وعادت الظلمة كما كانت أمام عينه وكأن الكهف قد ابتلع صديقه للأبد، وكان شيئاً لم يكن.

وبعد لحظات مملة ليست بقليلة من القلق والانتظار، بدا نور يضيء ويزداد من الداخل يقترب كالبشرى التيتسبق الفرج وتقتلمل الانتظار. نور كالذي يسبق دوماً قدوم الأبطال؛ وإذ بيوولف يخرج بمشعله. ولكنه خرج بلا شيء. فاستقبله ويجليوف على مدخل الكهف وجذبه إليه واحتضنه بقوة وقال له بلطف: "علمت أنك ستعود سالماً. ماذا وجدت هناك؟".

فأجابه بيوولف بإهمال تام غير مفهوم وهو يمتطي فرسه للعودة "مجرد أم تطعم أولادها".

فلم يعجب ويجليوف مبرر بيوولف. فغضب وأخذ بتلابيب ثوبه وعنفه بصوت يملأ البرية "وما يهملك بشأن صغارها؟! كيف نعود للقوم بلا شيء بعد ما قتلته لهم! سيهزؤون بنا، ولن يصدقوا أبداً هذا الهراء - أنك طاردت ذئبا إلى وكره وتركته لمجرد أنك وجدتها أنثى تطعم أولادها. لا بد وأن نعود بشيء".

فنظر له بيوولف بملامح هادئة ساكنة من أعلى فرسه حتى أنهصراخه وصمت، ثم تحدث إليه بلهجة هادئة مطمئنة مُجيباً عليه "لا يعنى لي هؤلاء القوم شيئا، هؤلاء القوم لا يصدقون إلا الأكاذيب، ولن أبداً أولى أمجادي بالأكاذيب لمجرد رضا القوم".

فتجمد ويجليوف مكانه لحظات، ثم امتثل لأن ليس لديه خيار آخر، فرغم أنه غير راض، مجبر. علم أنه اتخذ صديقاً نادر الوجود سيكون له شأن عظيم فيما بعد بهذه المبادئ التي

وضعها لنفسه ولم تكن لأحد قبله من قومه، ولا حتى الأبطال منهم، فامتطى فرسه هو الآخر وسار بجانبه في طريق العودة. وقد حل الظلام بهم سريعاً (وما أدراك ما الظلام ببلاد الشمال وأدغالها). ثم قال ويجليوف "بيوولف. لا بد وأن نعود بسرعة. لا تعني سكينك ولا رمحيشيئاً أمام أسنان الظلام وأنياه التي تشتاق لتأنهفي أدغالها لتنهشه وتقطعه إرباً. فما بالك باثنين".

ولم يكذ ويجليوف يتم حديثه وتحذيره إلا وكشر الظلام عن أنياه سريعاً، وسُمع دبيب أقدامه يقترب يتبعه صوت العواء المعروف للوحوش، وهبت ريح ليست بقوة أطفأت شعلتهم الخافتة لتضيء أعين الظلام الكثيرة حولهم، مما زاد الأمر رعباً وفزعاً.. فارتعب ويجليوف وقال معاتباً نفسه وبيوولف بكلمات تتساقط من شفثيه المتجمدتين خوفاً "ما كان علينا التأخر بيوولف، سنضيع في الأدغال ونظل في أحضان الظلام بدون مشعل للأبد".

وحتى هذه اللحظة بيوولف هادئ، ينظر لصديقه نظرة باردة يريد أن يقول له بها "اهدأ" وتبعتها النظرة كلمات رقيقة تفتى يافع أو رجل ناضج شجاع فقال له "وما عسى المشعل أن يفعل بالظلام ما دامت قلوبنا مرتعبة منه، وما عساه الظلام أن يفعل سوى الركض والاختباء حين يأتي النهار. اهدأ ويجليوف فالوحش إذا خفته طمع فيك، وإن قهرته بما يخشاه ذل وخضع، وهو لا يطيق السكون بالليل، ولذلك نخشى الظلام. ويخشى هو نور النهار، لأنه سلاحنا. وهكذا نتواجه الليلة متعادلين، فأعُضُّ ويَعُضُّ ننظر أينا ينهار أولاً ويصرخ مستسلماً (حيلة عض الإصبع)، فأينا يطيق الصبر يفُز، فاهدأ ويجليوف - اهدأ واسترخ حتى النهار".

وقد فرض بيوولف على المكانسكونا تاماً ليرود به هذا الظلام الدامس الذي انتظر طويلاً لعله يحظى بلحظة فوضى يُطعم بها وحوشه. وعيون الظلام تراقب، وأنفاسه الصاعدة تعوي، وبيوولف كالوتد على فرسه لا حركة، لا ارتعاد، حتى يئست

الخيول ونامت عندما طال بها انتظار نداء الانطلاق، ويئس معها جلد الوحوش وانهارت شراستهم.

ومع أول خيط للنهار أعطى بيوولف نداء الانطلاق قائلاً
لويجليوف ..

– الآن الانطلاق ويجليوف، ألم تشتق لهذه اللحظة التي طال عليك انتظارها وأنت مسلوب القوة، الآن معك سلاحك وقوتك، معك نور النهار، انطلق وطارِد أي الوحوش شئت في أي حجر شئت وعُد بأيها شئت لقومك فارساً مغواراً.

وبعد سويعات من المطاردات قد عادا، عادا ولم تكن العودة سريعة كما ظنا ولم تكن سهلة، فقد كانت مليئة بالمغامرة والمخاطرة والمجازفة لكنهم في النهاية قد عادا. عادا وقد غنما جراتهما ومجازفتها وشجاعتهما. عادا يجران وراءهما عيون الظلام وأنيا به؛ يجران ثلاثة ذئاب، واحد لويجليوف واثنان لبيوولف، كلٌ يجر صيده خلفه يتفاخر به.

ومن على مسافة تفاجأ القوم بهما عائدتين، وسرعان ما أن
رأوهما قد عادا (ولم يكونوا يتوقعوا عودتهما) هرول بعضهم
إلى قصر الملك (أو ما يُخيل لهم في ثقافتهم وحضارتهم أنه
قصر وهو ليس إلا بيت خشبي مثل بيوت العامة لكن لا يزيد
عليه إلا أنه أكبر حجماً من بيوتهم المعتادة بمزيد من الغرف
للوصيفات والجواري) ليخبروه بعودة ابنه الصغير أول عائد
من "السديم"، فهرول إليه روسغار بدوره لاستقباله فاتحاً له
ذراعيه فور ما رآه، فنزل بيوولف عن حصانه غارقاً بدماء
تقطر من جروحه متواضعاً لأبيه الملك فاتحاً له هو الآخر
ذراعيه ليحتضنه. فنظر له روسغار وللدماء التي تقطر من
جرح بحاجبه الأيسر (ترك له علامة مستديمة فيما بعد
بحاجبه) وجروح أخرى ب صدره وذراعه التي كان يتصدى بها
للووحوش؛ نظرة أسي وأسف تتخللها ابتسامة سعادة لنجاة ابنه
الصغير من السديم، فضمه إليه لأول مرة منذ سنوات قد نسي
خلالها بيوولف هذا الشعور بالدفء والاهتمام .. ومن بين
ذراعيه ومن خلف ظهره نظر روسغار ليجد هذه الذئاب

الثلاثة، فسألهم تعجب وقال له: "بيوولف، كيف نجوت من أسنان الظلام؟!".

فأجابه بيوولف بفتعال وفخر يميز كل أبطال الشمال، وبصوت عال يسمعه الجمع الغفير الحاضر بساحة القرية الملكية. يسمعه كل رجل وكل امرأة، كل طفل وكل طاعن في السن، يسمعه المحاربون والزراع، حتى النهر يسمعه بكل ما على ضفافه من صنوبريات باسقة وقبقيات يانعة، وتسمعه الطيور التي تسكنها، وتنصت إليه السماء وتدنو منه لا يحجبه عنها شيء. يتوجه إليه الكون بإرادة مسلوبة ليسمعه بكل أذانه، ويراه بكل عيونه. قال:

— أنا أسنان الظلام في الليل، أنا قاهر ومحطم، أن للجيتس إله القوة أن يتفاخر بأبطال جُدد قهروا الخوف وقادرين على أن يواجهوا نَدَّ الأعظم "السديم" إله الشر بأرضنا الملعونة.

فراقتلنا سكماتنا القوية وحماسه في قولها، فطالما انتظروا بطلاً بهذه الثقة والقوة يشعرهم بالأمان. وأولهم صديقه

ويجلّيو فالذي صاح يهتف باسمه وبمجده ليخلده بذاكرة الناس
لأيام قادمة (بيوولف... بيوولف... بيوولف... قاهر الظلام...
محطم الوحوش...)

وصارت الناس تهتف خلفه بحماس، وكذلك الملك رفع ذراع
بيوولف اليمنى وهي تقطر الدماء منها بمجد وتفاخر
وردد (بيوولف... بيوولف... بيوولف... قاهر الظلام... محطم
الوحوش...)

ثم أمر إحدى الجاريات لتأتي ببول البعير لتضعه على
جروحه حتى لا تتقيح واستسلم لها بيوولف بانتشاء وهو بوسط
الساحة العامة يلتف الناس حوله احتفاء به، وهو شارد عنهم
بخياله ليرى ما إن كان لحلمه سقف بعد أن حقق أولى أمجاده.
ثم عاد وانتبه بعدما رأى نفسه ذات يوم على عرش ملكي
عظيم.

وقد ولدت أسطورتهم ذاك اليوم. لكنها ليست أسطورة، بل مجدا
ونصرا وبطولة تجريم الدماء في العروق البشرية لتجسد

إنساناً.. ومن يومها وقد راق له الصيد في البرية إما وحده أو مع صديق دربه ويجليوف، صيد السباع والضباع والوحوش ولا سيما الذئاب منها والذئعات مطارداتها في الأوكار والجحور والعرائن.

ومُذاك الحين وقد عرف الناس تميزه، وأحبوا فيه إنسانيتها التي لا تتخلى البطولة عنها. أحبوا فيه تلك النبرة الحاسمة الواثقة في صوته وصرخته، والتي لا تحتاج لغلظة صوت ولا خشونة، بقدر ما تحتاج القلب الذي تنبع منه واثقة وصادقة ومطمئنة.. أصبحوا يهرولون له من حيناً آخر ويقصدونه ليخلصهم من وحوش الغابات مصدر تهديدهم المزمن كالمرض العضال، وطالما كان لهم عوناً ونجدة ومعهم طوعاً وإغاثة، فما من أسد هائج يتربص بالرعاة ورعيهم إلا وكان له قاتلاً وقاهراً، أو دب متوحش يهدد المزارع والربوع إلا ويتصدى له بقلب صلب وشجاع.. فلقد وجد نفسه في هذه الهواية التي أبقتة بعيداً عن مجالس أبيها الروتينية المعتادة السمجة، وبعيداً عن قاعته المنحلة التي

يسلب بها إرادة شعبه وأعتى رجاله ومنافسيه بسلاحه (النبيد والجنس) بحكمة ومكر يجيدهما جيداً.

وحكمة أبيه هذه التي ظلت لسنوات تظل سماء مملكته السويدية الثرية بما تحويها من قبائل وعشائر؛ بدألاً يستسيغها البعض ويرونها مُملة فاشلة ليس لها نظرة مستقبلية وظالمة لقبائل القرى الحدودية. ملوا فيه بلاهته، ملوا فيه اعتياديته في إدارة شؤون المملكة .. وعلى إثر هذا الشعور العام الطاغي على أغلب القبائل؛ أعلنت بعض الفصائل الشمالية الحدودية الفقيرة تمرداً مفاجئاً، بل وتحالفوا معاً ضد الملك في شكل جيش بربري غير نظامي يهاجم ويحرق كل قرية ترفض التحالف معهم، متقدمين نحو القرية الملكية مستغلين الرأي العام السيئ ضد الملك محاصرتة وعزله.

فدخل عليه الرسول منقطع الأنفاس بالخبر وقال له "سسسيدي ألم يصلاك الخخبر؟!"

ففزع روسغار وقال له:

– ما الخبر؟ تكلم .

– تتقدم بعض القبائل المتمردة نحوك يا سيديلمحاصر تكتو انتزاع الملك منك.

فارتخت أعصاب قبضته وفترت مفاصل ساقيه وأصابه دوار وكاد يسقط، فالتقطه الرسول وأجلسه على عرشه. فقد تحولت الثقة التي كانت لديه إلى شتات، والغرور لضعف. كان يعتقد ببلاهته أن (الجنس والنبيذ) ونثر العملات الذهبية سلاح لا يقهر وطعم جيد يظل يصيد به شعبه إلى الأبد، لكن النهاية كانت حتمية. فهذه عقله بعد تفكير سريع بأن يخرج يخطب في قومه وجيشه يحثهم على مقاومة الانفصاليين الذين باتوا قريبين جداً من القرية الملكية، لا يفصلهم عنها سوى أيام قليلة، وبالكاد لا تكفي هذه الأيام إلا لصناعة المتاريس الخشبية (البداية بالنسبة للأسوار العالية والحصون التي يعرفها الجميع بكل الحضارات المختلفة). لكنه في موقف لا يحسد عليه، ولا يحتمل فيه سماع هذه المقارنات الحضارية التي لا تعنيله أي شيء أو أي قيمة تذكر في هذه اللحظات. فطعم الغدر

مر، وحاد مثل الخمر، يخدر الجسد ويغيب العقل وكأنه في عالم آخر لا يشعر بما يحدث حوله.

وأثناء ذلك توافدت عليه الجموع الخائفة المخزية الهاربة من بطش هؤلاء الانفصاليين أفواجاً، في مشهد تتحني له العُنُق خزيًا وضعفًا.. فبعضهم من كان لديه فرصة للهرب والخلص بعائلته وممتلكاته، وبعضهم من لم تكن لديه فرصة إلا لحمل أولاده الصغار على كتفه والهرب بهم، أو تركهم للذبح والتنكيل إن لم تتح له الفرصة، مما زاد الأمر تعقيداً ورعباً وأثارتساؤلات بين الجموع "هل ستنتهي على ذلك مملكة السويد وتنطوي صفحات حكم عائلة البطل وولغار؟". وليس على تساؤلاتهم من إجابات، وليس اليوم هو المناسب لها، وليس المناسب لنثر العملات الذهبية على رؤوس الفقراء والسُّكاري فيتعال وكبرياء. ليس اليوم هو المناسب للتباهي والغرور المعهود. اليوم هو ضياعهم من مجرد نظرة واحدة في عين أحد الرعايا خائفة ومكسورة .. اليوم يتواضع روسغار مجبراً، ويعمل يده بيد الرجال في صناعة الأسوار

والمتاريس.فتنحني عنقه، وتغوص قدمه في وحل وطين
الفقراء تتذوقطعمه للمرة الأولى منذ أن أصبح ملكاً.حتى أنهم
لا يميزونه بينهم من الوحل الملطخ به أغلب جسده من أخص
قدمه إلى عنقهفي عمل جاد لينجو بمُلكه،لعله يحظى بعطف
الآلهة وينجو. وكذلك أولاده ومعهم وبيوولف وجميع
المحاربين والرجال الأشداء والكهول، حتى النساءيعملن،الكل
الآنفي عمل دؤوبيتشاركون نفس العمل لنفس الهدف؛الحفاظ
على ما بقي منروح الوطن.

ووصلالانفصاليونليلاً بالمشاعل والتفوا حول القرية
ليحاصروها. فسقط بعضهم في الفخاخ التي صنعها روسغار
مُسبقاً خلف المتاريس (والتي لا يستسيغها بيوولف) فلم تصد
منهم إلا القليل في بادئ الأمر حين وصلوا، ولكنهم عادوا
وانتبهوا لها سريعاً فأصبحت بلا قيمة تذكر بعد ذلك.

كان بيوولف على حق، فلم تغن عنهم شيئاً ولم يكن أبوه حكيماً
في وضع خطة المقاومة.

فاستعاد الانفصاليون رباطة جأشهم من فورهم والتفوا حول القرية بكثرتهم وأخذوا يرمون المتاريس بالسهام النارية لتشتعل وتخلق ثغرة. وأخذوا يقذفون المشاعل من خلفها على المنازل والحظائر والأكوخ التي تبدوا فارهة بالنسبة لهم كفقراء بربريون، ولما يسكنون فيه بالقرى الحدودية يستمتعون بمشاهدتها تحترق في شعور بالانتقام ممتع تضيق له الأعين إبتسامةً وشماتة. ويراهن روسغار وقومه تنهال عليهم بعشوائية تامة من السماء مثل الشهب فلا يسترهم منها سقف ولا توقفها فكرة. وهذا كان مكن خطورتها .. فوقف روسغار أمامها مكتوف الأيدي في دهشة من عمق الصدمة وأخذ يتلفت حوله. ثم تصابت عيناه وارتعش جسده وتسمر مكانه ولم يسعه فعل شيء لملكه الذي يضيع بين ليلة وضحاها.. فجاءه بيوولف وإخوته يطلبون منه أوامر بخطة للتصدي والنجاة من هذه المحرقة، فلم يبدلهم روسغار أيا استجابة أو رد فعل. فأمسكه بيوولف من كتفيه وأخذ يجذبه في عنف ويصرخ في وجهه ليخرجه من حالة الاستسلام هذه ويكرر عليه سؤاله "ماذا نفعل

يا قائد محاربي الجيتس؟ ماذا نفعل؟"، وحاول جاهداً أن يجعل له حافزاً للقتال ووضع خطة. لكن لم يسع هذا الملك الضعيف في هذا الموقف العصيب إلا أن يزيد الأمر سوءاً وتعقيداً من هول الصدمة، فأجابه بنبرة استسلام "إنها النهاية بيوولف، أشعر بها، إنها تأتيمع الشعور بحرارة شديدة وارتعاد".

فلم يستسغب ويوولف هذا اللهجة المستسلمة، ولم يستسلم لها كما الباقين، فحاول أن يسيطر على انتشارها السريع بين المحاربين وقبل أن تتفشى فيهم ويفقد السيطرة هو الآخر، فنادى أباه بسخرية وقال له: (يا ملك السويد). وكان عندما يرى من أبيه عدم حكمة يوبخه بها. ثم استطرد ..

– بل هي نهايتك أنت، أنت وحدك من تشعر بشدة الحرارة والارتعاد، أما أنا فل. لا والآلهة، لن نترك الوطن والمأوى لهؤلاء الرعاع وإن تحول لأكوام من الرماد والركام المشتعل، فهو بالنسبة لنا أكثر من سكن وأكثر من أرض وأكثر من إرث متوارث بين الأجيال. هؤلاء الرعاع جاؤوا ليسلبوا منا الكرامة والشرف والرجولة والمجد. جاؤوا ليسلبوا منا الحق في الحياة

والأمل فى المستقبل. جاؤوا ليسلبوا منا أعلى ما نملك من أمجاد
أجدادنا التي نتفاخر بها بين الأمم ونتغنى بها لنخلد ذكراها إلى
الأبد.

خاطبه بيوولف ورفع صوته ليخاطب الجميع ليشعروا بما
يشعر به، وليعيد لهم الثقة من جديد.

ثم أخذ الرجال بعيداً عن أبيه بعد أن فقد فيه الأمل بأن يتخذ
قراراً أو يجد حيلة لوقف هذه المحرقة، وأخذ يعتمد هو على
نفسه كمبادر يمتلك صفات القيادة، وخاطب محاربى الجيتس من
حولهم ليضع فيهم حالة الاستسلام التي تملكت بعضهم قائلاً:
"هيا اصنعوا أمجادكم بالدفاع عن أمجاد أجدادكم، ولا تجعلوا
هذه المحارق من حولكم تمنعكم من الموت كالأبطال".

فلمست كلماته قلوبهم وشجاعته حفزت شجاعتهم، فاستغلها
كخطوة أولى ينطلق منها لوضع خطة، فأخذ ينظر حوله
ويدرس الأمر يبحث عن حيلة منظمة تعطيهم بعض الأمل. فبدأ
يحلل كل ما تقع عليه عينه ليدرس نقاط القوى والضعف

بداخل هذه المحرقة من حوله؛ فوجد أن الانفصاليين مازالوا خلف المتاريس لا يستطيعون التقدم من خلالها حتى تحترق تماماً، وهذا سيوفر له بعض الوقت للتفكير، فصفى ذهنه وأخذ يستخدم تلك الطريقة في التفكير التي يربح بها كل مرة (الكوب الفارغ)، فسأله ويجليوف "ماذا تنوي؟ فليس من مخرج أيها القائد". فقال له بيوولف:

– لا أعلم بعد، لكن ما أطمئن له أن هناك مخرجاً دائماً. أعلم أن ليس في موقفنا هذا نصف كوب مليء، فالكوب كله فارغ، لكنه دائماً لا يخلو من نقطة فيالقاع. وما أفعلها الآن؛ أبحث عنها .

– مستحيل النجاة بيوولف، المحرقة تنتشر والغوغائيون عددهم يفوقنا بالمئات.

– وهمّ ويجليوف، فليس هناك من مستحيل، وليس لهذه الكلمة من صفة. أترى هذه الأدخنة المنبعثة من النيران وتحجب الرؤية؟ هي المخرج وهي السلاح الفتاك الذي سنستخدمه.

الواندال كانوا يتخفون بالضباب ونحن سنستخدم هذه الأدخنة
بديلاً عن الضباب، فطالما كانوا مصدر إلهام.

فتشكلت لدى بيوولفالخطوة، ولم يمنعه صغر سنه بالنسبة
للجميع من إعطاء الأوامر وقيادة المشهد. فسأله ويجليوف ثانية
"وهل سيطاوعك الجيتس".

فأجابه:

– الساحة دائماً طوع أمر القائد وليس أشباه الرجال ويجليوفأو
فقراء الشجاعة والجسارة والتخطيط. فالأصلح ومن يمتلك
الخطوة المناسبة في اللحظات الحاسمة فينحني له الجميع على
الفور دون فلسفات. ولا بد لهم من أن يتنحوا جميعاً
ويفسحوا المجال لمن يمتلك الحلول ويأملوا فيه النجاة من
المحرقة، أيا كان من هو وأيا كان من سيخرجهم منها.

مجدّ زائف قد روجه روسغار لنفسه لسنوات مضت ظل
يتحاكى به في مجالسه، لينتشر مثل الطاعون بين قومه
ورعيته حتي أصبح متنفسهم ويجري مجرى الدم في عروقهم،

لَتَتَغْنَى بِأَمْجَادِهِ الْقَبَائِلُ وَتُغْنَى لَهُ الْأَغْنِيَاتُ، لِيَصْنَعَ بُلْهَاءُ مِثْلَهُ
يَسْتَطِيعُ التَّحْكَمَ بِهِمْ لِيُظِلَّ وَيَسْتَمِرَّ مُلْكُهُ.

فَلَا يُلَامُ عَلَى حِكْمَتِهِ وَذِكَايِهِ فِي الْحِفَافِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى أَرْكَانِ
مُلْكِهِ رَغْمَ أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ الْأَفْضَلُ فِي السُّوَيْدِ لِلْمَلِكِ الْعَظِيمِ، بَلْ
يُلَامُ كُلُّ مَنْ اسْتَسْلَمَ لِلْخَدَاعِ وَصَدَّقَ كُلَّ مَجْدِ زَائِفٍ كَاذِبٍ
رَوَّجَهُ الْمَلِكُ لِنَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ، يُلَامُ مَنْ سَلَّمَ قَلْبَهُ لغيرِهِ وَلَوْ
كَانَ الْمَلِكُ نَفْسًا.

وَقَدْ كَبُرَ الْفَتَى الصَّغِيرُ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مَصْدَرُ سَخَرِيَّةِ أَبِيهِ
وَمَجَالِسُهُ الْمُنْحَلَةُ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْجَيِّدِ الْاسْتِهَانَةِ بِهِ وَلَا بَتْلَاقِ
الْمَلَامِ الْجَدِّيَّةِ وَالنَّظَرَاتِ الْحَادَةِ مِنْذُ الْبَدَايَةِ. هَذَا الْفَتَى وَهُوَ
مَنْ هُوَ (ابْنُ الْمَلِكِ وَمِنْ صُلْبِهِ) لَمْ يَكُنْ وَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَكُونَ
يَوْمًا مِنَ الْبُلْهَاءِ أَوِ الْمُنْسَاقِينَ لَخَرَافَاتِ أَبِيهِ كَالْكَثِيرِينَ، رَغْمَ أَنَّهُ
كَانَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُسْتَمْعِينَ لَهُ بَتْلَاقِ الْمَجَالِسِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ
هَذِهِ الْأَسَاطِيرَ وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَكْسِرُ حَاجِزَ
الْأَسَاطِيرِ الْخَرَافِيَّةِ وَيَجْعَلُهَا حَقِيقَةً وَوَأَقْعَاتِ تَجَسَّدَ فِي بَشَرٍ، كَانَ
لِسَمَاعِهِ تِلْكَ الْأَكَاذِيبَ وَالْخَرَافَاتِ قِيَمَةً وَفَائِدَةً، فَقَدَتْ حَوْلَتِ تِلْكَ

الأكاذيب إلى حقيقة والخرافات لواقع لمجرد أنها وجدت القلب والعقل المناسبين لها.

وبالضبط كما كان ظن أبيه فيه يوم مولده وكذلك "الأم"؛ أنه سيصبح ذا شأن عظيم. وها هو يحقق مأمول أبيه فيه، فقد قاتل وحوش السديم من قبل وانتصر عليهم، وهو الآن يتصدى لقوى الشر البشرية بعقله وقلبه معاً، ويقود .. وها هو يصنع من الهزيمة نصراً، ومن الفشل نجاحاً، ومن الاستسلام أملاً؛ بتلك النبضات القوية المتسارعة لقلبه .. فجمع الرجال حوله وأشعل حماسهم، وأعاد لهم بعض الأمل الذي نسفه أبوه نفساً بداخلهم، وشرح لهم خطته (المطربة) بكل دقة، فقال لهم.

– سنستغل الدخان في التخفي لنشن هجمات كالمطربة على رأس مسمار، نضرب من خلف هذه المساكن المشتعلة بعد وضع اللثام المبلل على وجوهنا ليتسنى لنا التنفس بداخل الدخان ثم نتراجع سريعاً.

فاستجاب له الأربعمائة محارب واستعدوا لمواجهة نوحدهم هذا
التنين البشري المؤلف من المئات والمئات من الرجال
الغاضبين.. وانتشروا خلف ركام المساكن المشتعلة القريبة من
السياحو المتاريس كما الخطة، وانتظروا صرخة بيوولف التي
ستقود الانطلاقة الأولى والمعركة؛ من حيث يتخفى هو عند
أقرب نقطة للمواجهة صابراً مرابطاً ينتظر شيئاً ما. و طال
صبره حتى مل الرجال منا الانتظار ومل ويجليوف الذي كان
يجاوره. فلم يكن الرجال كقائدهم: صابرين واثقين مثله. فطول
انتظارهم للإشارة المتفق عليها جعلتهم ييأسون من جديد،
فسأل هو يجليوف بغيط وهو يجز على أسنانه من الملال الذي انتابه
"لم الانتظار كل هذا الوقت أيها القائد؟ أخائف أنت؟!!".

فنظر له بيوولف نظرة باردة جامدة وأجابه "الخطأ في اختيار
اللحظة المناسبة ربما يصيب الخطة كلها بالفشل، ألم تتعلم من
الدرس الأول؟!".

- ومتى اللحظة المناسبة أيها العبقري؟ .

- مع أول هبة للأدخنة المنبعثة توجهها الرياح في اتجاه الغوغائيين، سنجتاز السياج متخفين بها نفاجئهم بهجوم خاطف كالبرق داخل الغمام، نصعقهم نختفي في لمح البصر، ونكررها لنلحق بهذا التنين البشري الغوغائي الهائل ضربات موجعة.

فأومأ ويجليوف برأسه وبدا غير راض.

وعندما حانت اللحظة، ملأت صرخة بيولف الأفق؛ فتحركوا على إثرها قفزاً بأفراسهم مجتازين السياج لتنفيذ الموجة الأولى لكسر الحصار. وعادوا سريعاً بعدما حققوا جرحاً غائراً بهذا التنين البشري قبل أن يتمكن منهم كما الخطة الموضوعة .. ثم كرروا الانطلاقة مع كل هبة رياح باتجاههم حققوا بها ضربات موجعة لهم، لكنها لم تكسرهم، لأن كثرتهم والتفافهم حول القرية بأكملها شكل عائقاً في كسرهم. فتسلل اليأس إلى الجيتسورأوا أن تكرارها غير مُجد خاصة بعد سقوط بعضهم قتل مع كل انطلاقة. وذلك قلل من فرصتهم في الصمود .. فصرخ فيهم بيولف قائلاً "أيها الجيتس إن الوحش البشري يتقلص مع كل

هجمة وسيتلاشى عما قريب مع حلول النهار، موتوا كالأبطال، ولكن لا تستسلموا، ما زال لدينا سلاحاً خيراً، ولا بد أن نستغله جيداً ولا نهدره هباء، لدينا الليل بطوله، نستطيع أن نوجه لهم ضربات متكررة طالما الوقت في صالحنا، ربما ترونها صغيرة وغير مؤثرة ولكن على كثرتها واستمراريتها تكفي لهزيمة هذا التنين البشري العملاق".

فكانت آخر تكتيكاته استغلال الليل الطويل بالشمال لتنفيذ هجمات عدة بكثرتها تحقق نصراً مع حلول النهار. فالطبيعة تعطي الفرصة للجميع لكنها تتحالف مع من يتحالف معها، وهى الآن تحالفه وتعطيه الوقت الكافيلشن هجمات تكفيلكسر الانفصاليين. وعليه فقط استغلاله جيداً .. فانصاع له الجميع كون ليسبينهم من لديه خطة بديلة. وتكررت الهجمات تماماً كالطريقة فوق رأس المسمار. أو كالبرق يصعق ثم يختفي.

يفقدون بعضهم فى كل غارة لكنهم مستمرون كون قائدهم واثقاً.

ليلهم طويل ولكنه أنبت نهار كونهم فى انتظاره.

وأنبت مع النهار نصرا. وحقت حيلة (المطربة) مع نبتا النهار
نصراً عظيماً رغم تضحيات من اجتازوا السياج ولم تنس لهم
العودة مجدداً.. كانت رؤيته ثاقبة وخطته محكمة تتناسب مع
غوغائية عدوه. فالسويغات الليلية القليلة التي انتظرها
الانفصاليون لا تحترق المتاريس ومن ثم الهجوم بعدها على
القرية واحتلالها بالكامل؛ كانت تعني لبيوولف الكثير، كانت
ساعات طويلة بالنسبة له شكّل فيها خطته وباغتهم وانتصر
عليهم. ومع حلول النهار كشف النور عن بشائر النصر وقد
تفرق الانفصاليون وهرب من تبقى منهم إلى الأدغال
ليلقوا حتفهم بها من غير معركة حقيقية أتوا من أجلها. فالهزيمة
هي النهاية الطبيعية للغوغائية إن وجدت من يتصدى لها بقلب
قوي وتفكير عقلائي.

وبعد ليلة قاسية حادة كنصل سكين مرت على القرى
المنكوبة؛ جاء النهار ومعه برز الدمار الذي حل بالقرية الملكية

وبرزت معه أيضاً أكوام الفحم المنبعث منها أدخنة الإنتصار
الانتصار المُشرب بطعم الهزيمة.

لكنه انتصار.

عظم التضحيات جعلت ثمنها هظا وطعمه مرا.

لكنه انتصار.

أحياناً تصير التضحية مصدر شماتة عند الجبناء من عظمها،
لكنه رغم أنوفهم إنتصار.

وبرغم أن هؤلاء الجبناء لا يقدرّون دور التضحية الفعال
الحتمي، رغم أنه يستحيل النصر بدونها، لذلك هو انتصار. وما
تضحية وولفغار منهم ببعيد.

فانشق النهار عن جثث لا حصر لها من الغوغائيين خلف
السياج، وكان من بينهم درو عتلاً لألجثامين مفصولة الرأس بلا
رحمة ضحت واستبسلت حتى الموت، كانوا من الجيتس ومن
بينهم ابنا الملك روسغار الكبار اللذان لم يحالفهم الحظ في
النجاة.. كانا ثمناً لبلاهة أبيهما لسنوات طويلة في المُلك؛ تضحية

ليست بقليلة ولكنها ثمن رخيص جداً نتيجة هذا الاستهتار الملكي.

و ثمن آخر أن أصبحت القرية بأكملها كومة من الركام والرماد المشتعل، فلا مسكن يأوي ولا شجرة تُظل، والكل مذعور.. و برغم كل هذا الدمار ورغم هذه المآسى ابتسم الملك ابتسامة مأكرة لم يستطع إخفائها عن رعيته المشردة. فرح بانتصار لم يكن يتوقعه. مُلكه تحول إلى رماد لكنه لا زال موجودا. ورعيته البلهاء مثل على قيد الحياة، فيستطيع أن يحكمهم من جديد بكل سهولة كملك شرعي بالنسبة لهم رغم فشله في إدارة الأزمة والمعركة.

فلمح بيوولفا ابتسامة أبيه المستفزة من بعيد، فنظر له بطرف عينه بغضب ولم يمنعه كونه أباهمنا التقدم إليه بخطى ثابتة وأن يشد عليه في الحديث قائلاً: "أرأيت يا ملك السويد!! ليست النهاية كما ادعيت. لابد من إعادة النظر في إدارة المملكة بعقل أكثر وعياً، ولابد من النظر في شؤون القبائل بجدية حتى لا يخرج متمردون جدد وتكرر المحرقة. لابد من بناء كل ما تم حرقه

بأسرع وقت. أنجز عملك لأنه لم تتح لك فرصة ملائمة أكثر من هذه".

فأومأ روسغار برأسه ومازالت تلك الابتسامة الماكرة مرتسمة على وجهه وهو يتلفت حوله ليصدق أنه على قيد الحياة وكل شيء رغم احتراقه موجود، ثم تحدث إلى بيوولف يكافئه على بطولته، وقال له "أنت يا بُنيسيف الجيتس الذي لا يهزم، وذراعاه الذي لا ينكسر، أنت قلبه الذي لا يخضع مطلقاً لقوى الشر، أنت من الآنيا بُني قائد محاربي الجيتس".

فقبل بيوولف المنصب الرفيع وفرح به. فرغم نبل شخصيته؛ فيه أيضاً شيء من صفات الشماليين، يحب الفخر مثلهم. يحب التعالي والكبرياء بانتصاراته وبطولاتهم كما هم يحبون. قد فرح باللقب الجديد (قائد محاربي الجيتس) الذي منحها إليه إياه. فيا له من لقب فخم على صغر سنه. ويا لها من مكانة تؤكد له أنه على خطى صناعة مجده بامتياز عن الجميع .. والجميع حاضرون ويسمعون هذير وسغار (فكل واحدا فيهم يرى في نفسه أحق وأجدر) وهذا لم يعجب البعض منهم وأولهم

المنافس القديم "ثوركيل". هذا الهذيان يقط بداخله الغيرة القديمة من جديد وطمعه في هذا المنصب منذ زمن، ولكن لم يكن هذا هو الوقت المناسب لإعلان هذا الرفض ووسط هذا الدمار، غير أن بيوولف أثبت فعلياً أنه بطل غير عادي متمكن وأكثر ثقة من الجميع، يمتلك قلباً وصرخة قادرة على تحطيم الوحوش والجبابرة. فاكتمفى ثوركيل فقط بأن يبارك للملك النصر ويعترض بكلمات بسيطة وذكىته بهدوء واطمئنان مصطنع، فقال له:

– أبناؤك كانوا محاربين شجعانا أيها الملك، الشعراء سيغنون نصرهم للأبد ونصر من ضحوا وماتوا كالأبطال من أجل السويد، وسيذكرون ويخلدون ذكراهم عبر الأجيال. دعنا نشرب الآن لذكراهم، ومبكر جداً الحديث عن الجيتسحتى نصلح هذا الدمار أولاً.

فنظر له روسغار باهتمام وأنصت له بأهمية وأجاب عليه باختصار: "لك هذا ثوركيل، لك هذا".

وسكن القوم باقي النهار من مشقة الليلة الفائتة المليئة بالفزع والارتجاف، وعند حلول الليل بدأ التوافد على قاعة الاحتفالات المشيدة بوسط القرية الملكية (لذلك نجت من الحرق) للاحتفال بالنصر والثناء على الأبطال بالمراسم المعهودة. فأحضر العمال براميل النبيذ وأخذوا يهيئون القاعة للاحتفال، وحضرت الجاريات عاريات ليتوددن للضيوف كعادتهن، ودخل الرجال القاعة يحملون كؤسهم يملؤون الأفق ضحكات. ثم أغلق باب القاعة بعد حضور الملك وكل ضيوفه.

ومن ثم شرب خمور بشراهة، ومعاشرة النساء بإباحية، وضحك ومسامرة وغناء.

وبعد قطع من الليل وقد أَرْضَى كل واحد منهم شهوته؛ قام بيوولف لأبيه الملك وهمس له في أذنه "قُمْ يا ملك السويد وامر بإزالة كل الدمار الذي أحدثه الغوغائيون بالقرى المنكوبة".

فقام روسغار وأمر بإزالة ذاك الدمار وبناء المساكن من جديد مع حلول نهار يوم جديد، وقد أنهى خطبته بكلمات رنانة وحركات تمثيلية ليستقطب قومه قائلاً: "قد هُزم الشر وانتهى ولن يعود بفضل قرار اتنا الحكيمة وبفضل صمودكم المعهود، معاً لن يهزمنا ش، بي وبكم نستطيع التغلب على كل عدو" ورفع كأسه عالياً واستطرد "اشربوا نخب الأبطال".

وبيوولف (فخر أبيه وبطلهم المغوار) جالس على كرسي فوق المنصة بجوار العرشكون الحفلة على شرفه ينظر لأبيه بطرف عينه باشمئزاز وعدم قبول. حاضر معهم بجسده فقط في هذا الاحتفال الصاخب، شاردأً وعيه وحزين شعوره على أخويه وعلى قريته وسوء الأوضاع وما آلت إليه أمور المُلْك. فلاحظه ويجليو فقام وتناول كأساً من النبيذ وجاء بها إليه، وقال له:

دعنا نشرب لذكراهم، لقد كانوا محاربين أبطالاً شجعاناً أرواحهم الطاهرة هيالتي حققت النصر. خُذ الكأس بيوولف واحتفل معنا.

فأجابه بيوولف بنبرة صوت اصطدمت بعوائق كثيرة داخل
حلقة وهي فى طريقها للخروج، وقال له:

احتفل أنت يا صديقى. سأذهب للساحل فهدوءه أصدق إلى
نفسين هذه القاعة المليئة بالأكاذيب.

وتركه بيوولف وخرج من القاعة، فانسحب وجليوف خلفه
مباشرة ليشاركه حزنه كما شاركه انتصاره، وذهبا معاً للساحل
مروراً بكل هذا الدمار المشهود بقريتهم. فتلفت بيوولف حوله
بنظرات متألّمة لأكوام الحطام وتأسف على حال قريته الملكية
وقومه البؤساء موجهاً حديثه لوجليوف، قائلاً: "أتتذكر تلك
الليلة ويجليوف حين كنا عالقين معاً بالأدغال؟ أتتذكر تلك
الوحوش؟ ليس وحوش البرية بأخطر على الإنسان من
الوحوش البشرية ويجليوف، فالوحش البشرى هو الأخطر
على الإطلاق. هذا العقل البشري مع هذه النفس الطامحة
الطامعة الزاحفة خلف كل جاه ومال وسلطان جعلاً من الطمع
البشريتين طائراً عملاقاً يقتل كل شيء ويحرق أي شيء بلا

رحمة ولا هودة، يقتل الأصالة ويحرق الجمال ولا يترك لنا
أي جميل مبدعاً وأفسده علينا".

أذن ويجليوفصاغية، وقلبه مؤمن، لكن عينه كانت زائغة بين
أكوام الحطام المتصاعد منها أدخنة متألئة تعكس ضوء القمر
مع إنبعاثها، وقد لاحظ أن ثوركلقد غادر القاعة خلفهم مع
مساعدته يتنقلان من خلف ركام لآخر يتبعانها، فتلصص بعينه
فملا محهما التي ترتسم وتتشكل مع تشكيلات الدخان، ثم
تعود وتتشوه مع كل هبة ريح خفيفة تتلاعب بالأدخنة؛ وأثناء ما
كان يتحدث بيوولف جذبه ويجليوف من ذراعه وتوارى به
جانباً ليكونا أكثر أماناً من هذه العيون المتربصة، وبنبرة خافتة
أكثر حذراً قاطعه وقال: "لقد اتخذت الآن بعض المنافسين
والأعداء يا ملك السويد المنتظر".

ففهم بيوولف مقصوده، فباغته والتفت بكامل جسده كاشفاً عن
نفسه لثوركيل ناظراً له بتحد، يشهد عليهم قمر مكتمل في ليلة
صاخبة، ويفصل بينهما ذاك الحطام المتناثر الذي يتصاعد منه
أدخنة تجعل ملامحهما غامضة وضائعة خلفه، ويتحد واضح

من بيوولف عينه في عين منافسه بنظرة حادة اخترقتك
الأدخنة، قال لويجليوف: "سأحسم هذا فيما بعد ويجليوف،
ثورك منافس قوي وليس بعدو، طالما كان محارباً قوياً
أحببت فيه هواته".

ومرت أيام وشهور استردت فيها القرية شكلها وهيئتها من جديد،
وكذلك كل القرى المنكوبة من بطش مجموعة
المتمردين. وجاء اليوم الذي انتظره ثورك واستجمع فيه
شجاعته وأتباعها الكثيرين ودخل على الملك في مجلسه بالقاعة
ساعة ظهيرة، ليعلن اعتراضاً رسمياً على سياسة الملك
وقراراته التي أودت بهم إلى هذا التمرد الذي كاد أن
يفتك بالسويد. ولكن روسغار فطن لنية ثوركيل وما يدور بعقله

مبكراً من مجرد نظراته فور أن دخل المجلس بهذه الملامح
المتهمّة مع أتباعه المدججين بالسلاح على غير العادة.

ودهأ وهو مكره هو علمه الجيد بشخص ثورك لأسغه بأن يبادر
بالحديث ويخطب في الجميع كملك فاستتب لذلك واقفاً ليلفت
أنظارهم أولاً وينصتوا إليه ثانياً، ثم أخذ يتحرك نحو الأمير
بيوولف الحاضر بالمجلس، ثم أمسك ذراعه ورفعها عالياً،
وبصوت مسموع قال: "أيها المحاربون. لقد تنازلت عن قيادة
الجيتس، وخلفت مكاني هذا البطل الذي أنقذ السويد من
المتمردين، ابني بيوولف. فقد أثبت أنه بطل حقيقي ويستحق
هذا بجدارة، وأنا أرى كملك أنه الأحق بين الجميع بقيادة
الجيتس الفترة القادمة كما قادهم في المعركة. ومن منكم يرى
لنفسه أحقية قيادة محاربي الجيتس، فعليه فقط أن يواجه هذا
البطل ويتغلب عليه أولاً.. من منكم يريد هذا؟ فمن يريد هذا
المنصب عليه أن يعلن التحدي الآن ويثبت ذلك كما أثبتته بُني في
معركة حقيقة".

ماكر مثل وولفغار. فقد ورّثه وولفغار وراءه بحيلة. وهو الآن يفعل الشيء نفسه لابنه، يستخدم حيلة أخرى يعلم مداها جيداً، بأن داعب طموح ثوركل الطامع في قيادة الجيتس الذي تخطى الأربعين عاماً بعدة سنوات بتلك الكلمات الرنانة، واستفزه ليعلن تحدياً واضح أمام بيوولف ابن العشرين عاماً. وإن قبل ثوركيل بالتحدي سيكون قد وقع على عاتقه الأنمواجهة بيوولف الشاب. وستكون المواجهة صعبة عليه حتماً، كما ستكون على بيوولف أيضاً. فكما أن بيوولف شاب يتمتع بكامل قوته ونشاطه وحماسه، كما أن ثوركل محارب قوي لا يستهان به يتفوق على بيوولف بفارق الخبرة.

وبالفعل انخدع ثوركل ووقع في حيلة روسغار، وقام وأعلن التحدي وقال بصوت أجش:

– أنا ثوركيل العظيم، أعلن تحدي بيوولف أمام الجميع، والمنتصر له أحقية قيادة الجيتس.

فابتسم الملك تلك الابتسامة الماكرة التي يتمتع بها، وابتعد
عن بيوولف قليلاً ليقف في مكان يراه فيه الجميع وأعلن كيفية
التحدي ومكان وزمان المنافسة مفاجئاً الجميع بقوله:

– ستتباريان جنباً إلى جنب في سباق للسباحة متواصل عبر
البحر المفتوح، من شاطئ (بريكيا) إلى الجانب الآخر لخليج
(فنلندا) عند إكمال القمر، وهذا يعطيكما عشرين يوماً
للاستعداد، ويعطينا الوقت الكافي لدعوة الملوك والنبلاء
ليحضروا هذا الحدث الهام، فهذا شيء لا بد التفاخر به. والفائز
منكما هو من يصمد للنهاية ويصل أولاً. وسيتوج الفائز قائداً
للجيتس بمراسم لم يسبق لها مثيل في القطر الإسكندنافي.. هل
توافق ثورك؟ – هل توافق بُني؟ .

فتفاجأ ثوركيل لكن لم يسعه إلا أن يجيب بـ "نعم" تخرج من فمه
قلقة ومترددة وهو ينظر لبيوولف فيتحد يغلفه الخوف. ثم تبعه
بيوولف بنفس النظرة الحادة وبالإيماء برأسه دون أن يتكلم إشارة
بقبول التحدي.

وفى اليوم التالي أرسل روسغار رُسله لرؤساء القبائل والنبلاء بالسويد، وكذلك بعث برسول لحليفه الملك العجوز إكلوف ملك المملكة الملونة ليحضر هو وحاشيته هذه المنافسه الهامة التى ستستمر فاعليتها حوالي خمسة أيام من السباحة المتواصلة عبر البحر المفتوح.

وانتشر الخبر بين القبائل بالدول الإسكندنافية (السويد والدنمارك والنرويج) حتى وصل إلى قاتل إخوته بالنرويج، حين دخل عليه قائد جيشه "نورمان" بالخبر وهو على عرش مُلكه كما يحب أن يجلس دائماً في عنجهيته وكبريائه المعهود وهو يعبت بأصابعه كعاداته السيئة التي لا يستطيع التخلي عنها كطفل، فقال له قاتل إخوته فور دخوله "هات ما عندك".

فأجابه نورمان بحماس الذي يحمل خبراً يستحق عليه جائزة وهو يتقدم نحوه، وقال:

- هناك حدث هام سيدي الملك يحدث بالسويد وأرى أنك ستهتم له وربما تكافئني عليه؛ فلقد تنحى الملك روسغار عن قيادة محاربي الجيتس وقد أجرى على هذه القيادة منافسة، والرابح فيها يفوز بقيادة الجيتس، وأظن أن الفائز سيكون له قوة كافية تزيد من قوة وهيبة هذه المجموعة المقاتلة.

فبدأ الخبر هاما بالنسبة لقاتل إخوته، وأثار بعضاً من اهتمامه، فترك عبثيته وسأله بأهمية: "وما حمله على ذلك؟ بالتأكيد خشي على ملكه من شيء ما، لذلك ضحى بقيادة الجيتس"، واستطرد يسأل نورمان مرة أخرى "ومن المتنافسون بهذا التحدي؟".

ثوركيل مساعد روسغار سينافس ابن روسغار الأصغر بيوولف ابن العشرين عاماً.

نعم نعم، ثورك لالعظيم. أنا أعرف ثور كل جيداً، رجل قوي لا يستهان به، يستطيع أن يجمع الرجال حوله بسهولة، لذلك له أتباع أكثر يستمدون قوتهم من شجاعته وحبه للتحدي، وهذا مكن قوته. وبالكاد هذا ما يهدد ملك روسغار. أما بيولف هذا فلم أسمع به قط، ربما هو أبله بقبضة حديدية مثل أبيه.

— لا يا سيدي ليس كما تعتقد، هو من قاد المعركة ضد المتمردين على القرية الملكية منذ أشهر، وقد حقق النصر في هذه المعركة، لذلك يدعون أنه بطلهم الجديد الذي لا يقهر.

وإن كان، فهو ابن روسغار الأبله. وما هي المنافسة؟ أقتال حتى الموت؟.

لا، هي أصعب من ذلك، حتى أنه من المحتمل أن لا يفوز أحد ويظل الملك روسغار محتفظاً بهذا المنصب. المنافسة هي السباحة المتواصلة عبر البحر المفتوح من شاطئ بيريكاً إلى خليج فنلندا، والفائز من يصل أولاً.

فاندesh قاتل إخوته من دهاء روسغاروقام من مقام عرشه وأخذ يسرح بباله قليلاً وتمشى يميناً ويساراً يفكر بشيء ما، ثم تكلم حين اكتمل تفكيره وقال لنورمان: "إسمع يا نورمان، لقد قررت أن أشكل مجموعة مقاتلة مثل مجموعة الجيتسهذه، تكون هي الأقوى على الإطلاق في الشمال الأسكندنافي، وسأسميها مجموعة (الفولينكز المقدسة) وستكون أنت قائدها".

ففرح نورمان بهذا المنصب الجديد بالإضافة لقيادة الجيش العام. ووجدتها مكافأة مرضية، فما أفضل من أن يقود جيشاً مقدساً يجعل منه المنصب ذا شأن مقدس وثني هام عند الرعية يهابوه هيبة الآلهة. فأخفى ابتسامته وفرحه وقال:

كما ترى سيدي، سنكون الأقوى بفضل كونك الملك. ولكن ثم هناك أيضاً تحب أن تعرفه.

تكلم.

– إكلوف يا سيدي، جاءته دعوة من روسغار لحضور هذه المنافسة، وسيغادر مملكته بعد أيام مع كبار رجاله، لعلك تهتم لذلك.

فاهتم لذلك وبرقت عينه، لكنه استشاط غضباً دون مبرر وصرخ في نورمانو قال له: "إياك وأن تنطق اسم أبي دون تعظيم، اسمه الملك إكلوف، ولا تتحدث عن الملوك إلا وتعظم شأنهم وترفع مكانتهم". ثم هداً قليلاً وبضمير معدوم وقلب ميت، استطرد قائلاً: "وجهز الجيش لنهاجم مملكة أبي يوم المنافسة".

فكما يقولون حقاً؛ إن لم تستحي فافعل ما شئت. يغضب لعدم تعظيم شأن أبيه، ثم يأمر بتحريك الجيوش لاحتلال بلاده والتنكيل به. هو يعرف البرتوكولات جيداً، ولكنه شقيغادر لا يستطيع ولا يُطيق تمثيل دور البر والإخلاص طويلاً، يسقط القناع عن وجهه سريعاً لتتضح حقيقة ملامحه المشوهة وحقد الدفين.

ووصل الملك إكلوف أرض السويد قبل يومين من المنافسة ليشهد الترتيبات ويستمتع بتجهيزات ما قبل السباق. وما أن لبث يوماً واحداً إلا وجاءته أنباء بتحرك جيش قاتل إخوته نحو مملكته الملعونة مما جعله يعود أدراجه إليها ليقود الدفاع.

بالتأكيد غياب مثل هذا الملك عن المنافسة حضوره كان سيعطيها مزيداً من الأهمية؛ أثرفي نفس روسغار العاشق للتباهي والتفاخر، وقلل من حماس المتنافسين قليلاً، لكنه لن يؤثر على أهميتها لدى الجميع.

وويجليو فالصديق المخلص يراقب الأحداث جيداً ويقرأها سياسياً كما يجب. وسرعان ما احتوى المشهد وحلله وخرج بمعطيات وتوقع نتائج. فأخذ بيوولف من ذراعه في صمت واختلى به على ضفاف النهر الذي شهد الكثير من هذه الخلوات

الحميمية بينهم ليبيدي له انطباعه ويصارحه بتوقعاته وتخوفاته،
فبادره وقال:

- بيوولف هناك أمر هام لابد أن نتحدث بشأنه.

فأجلسه بيوولف وجلس بجواره وقال له:

- تكلم ويجاليوف، مم تخشى؟ أرى أنك قلق من شيء ما.

-أنت تعلم بشأن رحيل الملك إكلوف.

- ومن بالسويد لا يعلم. قل ما عندك.

أرى مغادرة الملك بشكل مختلف عن الجميع. قاتل إخوته لا
يكل أبداً من محاولة الهجوم على مملكة أبيه ليسلب الملك منه،
ويقوي من جيشه وهجماته في كل مرة لهذا الغرض. ويزداد
قوة كل يوم عن سابقه، حتى أنها ستسقط ذات يوم وهذا ما لم
يسمح به إكلوف.

- وما شأننا في ذلك أيها القلق؟

شأننا أن هناك تحالفا بيننا وبينه، غير أننا مدينون له
بمشاركته معنا في الحرب على القراصنة السلاف منذ زمن،

وقد ساندنا بكل ما يملك بتلك الحرب وحقق النصر معنا، وهذا ما سيجعله يوماً ما يطلب النجدة منا بقلب قوي وعين بارقة لنشاركه في هذه الحرب للقضاء على قاتل إخوته.

فتحفر بيوولف وأخذ يستمع بشغف.

واستطرد ويجليوف حديثه بنبرة أكثر صدقا وجدية لما يظنه خطر مستقبلي عليهم "...وليس هناك قوة أكبر من الجيتس في أسكندنافيا ليطالب إكلوف منها المدد، غير أنه كما سمعت من الرسول القادم للملك أن قاتل إخوته يهاجم بشراسة هذه المرة من خلال مجموعته الجديدة (الفولينكز) المقدسة، ولن يجد إكلوف من يقف أمامها ويتصدى لها خيرا من الجيتس. وبفوزك في المنافسة بالقيادة سيتوجب علينا النفي من السويد إلى مملكته الملعونة لخوض حرب شرسة مع عدو مجنون بالحرب، له قوة ضاربة تفوق قدرتنا".

فظل بيوولف صامتا برهة ليستوعب ما قاله ويجليوف. وتغير وجهه ثم نظر له وسأله: "أتحتني على الهزيمة ويجليوف؟ هل

هذا ما قصدت؟ أنت تعلم أنني لا أخشى المواجهة، بل أسعى إليها وأنا في إستعداد دائم لها. مواجهة واحدة أسعى إليها بقلب قوي تكفيني شر مئات المواجهات التي تسعى إلي لتنال مني".
فنظر ويجليوف تحت قدميه وصمت، فلقد فهم بيولف مقصوده ورفض الاقتراح، وليس من كلمات حاضرة لديه يستطيع بها التسلل لقلب بيولف ليغير معتقده.

ثم في أثناء صمتها شعر بيولف باستياء ويجليوف فخفض له الجناح، وقال له بلطف "صديقي ويجليوف، أنت تعي ما أتحدث عنه، المواجهة مع ثوركل غداً باكراً، وهو فارس لا يستهان به، فدعني أواجهه بشرف والقدر سيقدر".

فاستسلم ويجليوف لمبادئ بيولف وقال له باختصار وهو يشيح بوجهه عنه: "كما تريد".

وأشرق صباح يوم المنافسة والكل موجود وحاضر، حتى الشمس الشمالية الشحيحة حاضرة اليوم بكامل قرصها، حاضر شعاعها محمل بالطاقة والإشراق بكمال نشاطه، ليست مختبئة خلف غيوم السماء الرمادية كعادتها، شاهدة هي الأخرى على هذا الحدث ولا تريد أن تفوته، إلى أن يحل محلها البدر الساطع كحارس أمين يرافقهم ليلاً إلى إشراقة جديدة.

أعداد غفيرة، وسفن وقوارب حاضرة تكاد تختفي صفحة المياه أسفلها؛ ترافق البطلين لتشاهد المنافسة عن قرب، ولا سيما أبوه الملك روسغارفي أكثر السفن رفاهية وجمالاً. والصديق المخلص ويجليوف أيضاً اتخذ لنفسه قارباً متواضعاً، ليشاهد بيوولف عن قرب ويوجه له الإرشادات أثناء المنافسة، يريده أن يربح ويخشى عليه أيضاً من تبعات ذلك.

ثم تحاذا المتباريان على الشاطئ في مواجهة البحر المفتوح، وبكل ما يحتويه سيخوضونه. ليعبروا من خلاله إلى الجهة الأخرى تعبيراً عن قوة لا نهائية يمتلكها الفائز.. وبدأ السباق بإشارة من الملك روسغار انطلقا معها المتباريان نحو مجدهم

كما يدّعون، يسبحون جنباً إلى جنببتكافؤ مهارة. هذا في البداية فقط، فالمسافة طويلة والسباحة ستكون لعدة أيام متواصلة، والتحدي سيزداد صعوبة بعد مرور اليوم الأول، والقادر من سيصمد .. وكل فريق على متن قواربه يقف ناحية بطله ويشجعه. بيوولف يتقدم تارة ويتأخر تارة يتلاعب بخصمه ويوفر قواه للمرحلة النهائية، يشق مياه الخليج بذراعية بسهولة وانسيابية متناهية كأنه آلهة. أما ثوركيلقوي ولكنه ثقيل يستخدم قواه دفعة واحدة ليُجاري بيوولفو ليثبت أنه قادر .. ومرت ساعات طويلة من ضرب المياه بالأذرع بدا خلالها عليهما التعب والإرهاق، فدعا كل فريق بطله ليتعلق بقارب مساعده ليسترى بعض الوقت ويتناولوا بضع لقيمات وشربة ماء تعينهما على تكملة المنافسة المضنية. حتى انتهى اليوم الأول من الإشراف إلى الإشراف منافسة شريفة، وكذلك الثاني على مثيله سباحة مستمرة في البحر المفتوح، وأوشك النهار الثالث على الانتهاء وهم في وسط المسافة تماماً بين بريكا والخليج الفنلندي .. بدا الجو صافياً في البداية لكنه مع

حلول الليل تغير، ورياح قوية تصحبها صفير تلاعبت بالسفن، وبرودة وزمهرير اجتاحت البقعة تنبئ عن ليلة صاخبة حتماً ستمر عليهم وهم في قلب البحر. فذهب الرجال للملك ليأمر بتوقف السباق لحين تحسن الطقس أو العودة، فأشار لهم باستمرار المنافسة قائلاً لهم بسخرية وضحكات واثقة: "مجرد طقس سيء لا أكثر هاهاهاهههه".

فامتثل الرجال لأمره بالاستمرار تحت وطأة هذا الجو القاسي. كانوا عنيدون؛ فعاندت "الطبيعة" فأثار البرق سماءهم ممزجاً بصفير الرياح، والأمواج ارتفعت شيئاً فشيئاً حتى ملئت القوارب وقلب بعضها، والملك مُصر. فلم يكن سوء الجو مقنعاً له كفاية بأن يغير قراره بتوقف المنافسة، معتقداً في نفسه أن بيوولف قادر أن يتحمل هذا الجو على عكس ثوركيل، فقال مبرراً قراره لهم ..

– إن هذه المنطقة من الخليج عادة ما تكون مضطربة والأمواج عاتية منذ كانت معركة القراصنة، فقد وقعت

المعركة في المنطقة عينها، وهي نفس المنطقة التي لفظ فيها
بيوولف أولى أنفاسه على هذه الدنيا في طقس مشابه.

وأخذ يسرد لهم قصصه الكاذبة ويتحدث لهم عن أمجاده
الزائفة من سفينته الفارهة يختبيء من الأمطار ويلتف بالفرو
من البرودة ولا يأبه لأحد، ويستطرد محدثاً رفقاءه باستساغة
..

أتذكر هذا المكان جيداً حين اصطدمنا بالقراصنة السلاف
وحطمتنا جماجمهم وعظامهم في معركة مازال يُغني بمجدها
من (الجزر العالية إلى فنلاند وروس وكيف)، ومن حينها
وهذه المنطقة لا تهدأ وت.... .."، لم يستغ البحر الغاضب
حكاياته فقاطع حديثهم إذن وفاجأه بموجة عاتية أطاحت
بقاربه وقوارب أتباعه معه (فهو صنيعتهم وهم
صُنعه) وانقطعت الأنفاس غرقاً، وغضب البحر أكثر من ذي
قبل، وكأن شيئاً استفزه وزاد جنونه. وأصبحوا ما بين موج
كالجبال يدور من فعل العواصف يحطم كل ما في قلبه
وأمطار غزيرة ورياح. وجاءت مع عاصفة الشيطان هذه (كما

يطلقون عليها) الحيتان الضخمة وقرش البحر (العشرات) تدمر
وتفتك بهم كما لو لم تكن راضية عن وجودهم في هذا
المكان. جاءت لتزيد من هيجان البحر وتزيد الأمر صعوبة
عليهم في النجاة، تضرب القوارب بأذيالها وتُسقط من عليها
وتتغذى عليهم بجوع وشراسة. فلم يعد قارب على حاله. الكل
يصارع الغرق فضلاً عن مصارعة الحيتان وقروش البحر
للخلاص من أفكاكها الفتاكة. حتى قارب الملك باغته حوت
ضخم بذيله أطاح بكل من عليه غرقاً بالبحر. فحاول الملك
النجاة والتشبث بلوح خشبيلبقي رأسه خارج الماء يلفظ
أنفاسهم معتمداً على نفسهدون خدم أو مساعدين، فالكلمشغول
بنفسه .. فاكتسى سطح الماء في لحظات بالحُمرة من كثرة
الدماء البشرية التي أريقَت والكثير من الضحايا الذين لم
يحالفهم الحظ في النجاة.. وظل الحال هكذا قطعاً من الليل إلى
أن هداً الجو فجأة وعاد كما كان.

فاستعدلوا قواربهم وصعدوا على متنها من جديد (من بقي
منهم حياً) وأنقذوا الملك من غرق محتوم. بعد أن ضاع من

ضاع في رحم هذا البحر ونجا من نجا. وأول ما اهتم له الملك هو البحث عن ابنه الوحيد بيوولف .. ولقد نجا ثوركلو يستعد لاستكمال السباق في وجود بيوولف أو في غير وجوده، لا يكثرث لأي صفات نبيلة أو أخلاق فروسية، هدفه يملؤه حتى لو سلك له طريقاً أعوج. هكذا يقتترف على نفسه عاراً يظل يلزمه حتى الممات.

وأرسل الملك القوارب في كل اتجاه ل يبحثوا عن الناجين وعن بطلهم بيوولف، ولكن دون أثر له، وظل هذا لساعات إلى أن فقد الجميع الأمل في نجاته وفقد الملك مع هذا الأمل ابنه الثالث والأخير للأبد. فلم يجدوا مع حلول النهار إلا بقعة من الدماء متسعة باتساع بصرهم، دماء من أكلتهم وحوش البحر وكانوا ضحية وقربانا لهذا السباق المميت لمجرد الفوز بمنصب. يعاتبون أنفسهم ويعزونها بكلمات لا قيمة لها ولن تستعيد الضائعين من ظلمات أفعالهم.

فأخذ أحدهم يردد وهو جالس بقاربه يضع كفيه على رأسه "البطل المنتظر فقد إلى الأبد .. البطل المنتظر فقد إلى

الأبد" ، وأردف آخر "لقد أصبح في خبر كان، بطل من الأساطير، ماتت أسطورته معه وقبل أن تبدأ"، وثالث ينعي "فقدت السويد الرجل الذي اختارته الأقدار ليكون بطلنا الجديد صاحب المبادئ التي كانت ستعطي وطننا القيمة والكرامة والهيبة التي فقدناها مع موت وولفغار، الرجل الذي أتى ليعطينا الأمل من جديد في صناعة الأمجاد بمبادئ أكثر أخلاقاً ونبلاً وفروسية".

ووجليوف الذي أضناه التعب من البحث عن صديقه، شعر بفقدان ذاته مع فقدان صديقه، فلقد ارتبطت أهدافهما وروحاهما معاً، لذلك لم يدخر مجهوداً في البحث عن ذاته المفقودة مع صديقه الضائع. حتى جاء للملك بملابسه المبتلة ليخبره بفشلهم في إيجاده، فسمعه من خلف ظهره يعاتب نفسه في خلوته على فقدان بيوولف ويقول منكسراً "فقدته وفقدتُ معه كل شيء جميل كنت أعيش من أجله، فقدتُ فلذة كبدي وأمان مملكتي، فقدتُ مصدر فخري بين رعايتي. أصبحت وحيداً بلا سند أو وريث، أصبحت من بعده بلا هدف أو

أهمية". وظل يلوم نفسه ويعاتبها على ما اقترفه وأوقع فيه ابنه الوحيد واستطرد "أنا الذى قتله، أنا من ألقى به بين أفكاك وحوش البحر بهذا النزال الوحشى". فاثارت هذه الكلمات ويجليوف ولم يتحمل أن يقف صامتاً، فقال له: "أنت لست مسؤولاً فقط عن هذا، بل أنت من يستحق هذا المصير بدلاً منه، بلاهتك تسببت فى موت ولديك الكبيرينوالآن ألقيت بابنك الأخير في الظلمات وكأنك تريد هذا. قريباً جداً ستضيع ملك ومجد عائلة وولفار العظيم بتلك البلاهة، أستغرب أنك مستمر حتى الآن، فيا له من حظ".

فالتفت له روسغار بتلك العين المنكسرة ولم يستطع الرد عليه واكتفى فقط بإنهاء المنافسة. ولكن بالنسبة لثوركالذي جاءه خبر إنهاء المنافسة هيهات أن يقبل إلا باستكمال السباق ولو منفرداً إلى خليج فنلندا ليحقق حلمه في قيادة الجيتس. فأتى للملك ورفض هذا بشدة قائلاً له:

— أيها الملك، لقد كان شرطك للفوز الصمود ومن يصل أولاً، وجميعنا يعلم بشأن وحوش البحر وخطر البحر المفتوح،

فلماذا التراجع الآن؟!، وما يدرينا فلعل بيوولف نجا وفي طريقه للفوز. (يقول هذا وهو يعلم في قرارة نفسه إنه من المستحيل نجا بيوولف).

فأجابه الملك بضعف وانكسار لم يستشعره من قبل، حتى أثناء هجوم المتمردين لم يكن وصل إلى هذه الحالة من التلاشي وضيق الصدر، فقال:

– كلانا يعلم أنه لم ينج ثوركيل العظيم، وأنت تصمم على استكمال السباق وكأنك لا تعبال بفقدانه ولم تلتفت إلى أني فقدت أبنائي الثلاثة في أقل من عام. أنت تريد هذا لإرضاء غرورك وحسب.

ويجليوف أيضاً غير راض عن غرور ثوكيل وتصميمه على استكمال السباق. فحاول معه بطريقته الخاصة فقال له:

– انظر حولك ثورك! انظر إلى بقعة الدماء من حولنا، الفوز بالسباق سيتطلب منك السباحة في بحر من الدماء، أهذا ما

تريده! أهذا ما سعت إليه! الخوض فيدماء قومك سيجعل عرشك ملعونا ثورك وستر اق البحور منها في عهدك .

و ثورك هادئ ويسمعهما، ثم أجاب عليهما بثقة لقوة موقفه، ولأنه يمتلك الكلمات المناسبة فقال لهما:

– بالنسبة لقولك ويجليوف: ليس كما تدعي أن بقعة الدماء هذه إشارة من الإله أن عهدي ستر اق فيه الدماء، إنه مجرد طقس سيئ جلب معه وحوش البحر كما قال الملك من قبل ..ورداً على قولك أيها الملك روسغار: فغرورك أنت هو من بدأ هذه المنافسة، ولا بد أن تكتملاً لأنولو بغروري كما تدعي.

وبعد صمت قاتل من (روسغار وثوركيل وويجليوف) استطرد ثورك لمحدثاً الملك يكاد يأمره "الآن أريدك أن تأمر باستكمال السباق".

فوجد روسغار نفسه منهزماً أمام ثورك لالعظيم وعليه أن يستجيب له. فقال له وهو يشيح بوجهه عنه: "لك هذا ثورك،

ولكن اعلم أنه سيأتيك نفس المصير يوماً ما، وستضيع روحك
في الجحيم المظلم حين يضيع جسدك في المحيط".

وتوج ثورك لعل على عرش الجيتستاني أكبر منصب ذو قوة بعد
ملك السويد، وذلك بعد استكمال السباق منفرداً. نزال ليس هناك
فيه من خاسر سوى الفائز نفسه! إعتقاد خاطئ هذا الذي جعله
يظن أنه بالقمة وهو حقيقة في القاع، ينظر للناس من أعلى بينما
هم لا يرونه هناك. فالأدنياء ليس لهم قمة.

وأتباعه يطوفون بالطرقات يهللون له ويصفقون على دروعهم
احتفاءً به. كثيرون هم. لهم قائد، لكنهم بلا قمة.. أقاموا له حفل
تنصيب صاحب كتلك الليلة الصاخبة التي جاءت فيها وحوش
البحر وباركت له انتصاره بلون الدم؛ دعوا له كل القبائل
ليكون مميزاً وضخماً كما وعدهم روسغار.

ومع الأيام ساءت الأمور على روسغار حتى المنتهى؛ بساط الملك يُسحب من تحت قدميه شيئاً فشيئاً، والأنظار كلها تتجه نحو منافسه القوي ثوركيل، ولم يتبق له سوى السقوط المدوي له ولعائلة وولفغار. فشل جديد يضيفه إلى سجل فشله الحافل.

وجاء انفصال ويجليوف عن الجيتس بعد أيام من تتويج ثوركيل بديها ومنطقياً اعتراضاً على استكمال السباق ونتيجته، وعلى هذه الأحداث الغير اعتيادية. وحزناً على رفيق دربه.

زهد في الشراب والنساء. حتى الصيد والقتال اللذان كانا يريد أن يحقق مجده من خلالهما أصبحا بلا قيمة الآن دون مبادئ كالتى كان يحملها بيوولف ويعتقها. انفصل بتلك السهولة لأن الجيد في مجموعة الجيتس هو الاختيار، الاختيار فى الانضمام إليها أو الخروج منها، وبكل حرية مطلقة. وهذا ما جعل الجيتس ناجحة حتى الآن. وقد استخدم ويجليوف تلك الميزة لينفصل عنها وهي تحت قيادة ثوركيل.

ومرت أيام وما قد توقعه ويجليوف قد حدث، ووصل رسول الملك إكلوف إلى السويد، يبارك لثوركل تنصيبه للقيادة على لسان الملك، ويطلب من الملك روسغار المدد بجيش الجيتس المقدس لمحاربة وكسر شوكة مجموعة الفولينكز الدموية التابعة لقاتل إخوته.

وكون ويجليوف سيسيا بارعا بالنسبة للشمالينوله نظرة مستقبلية ثاقبة بخلافهم؛ توقعاته لم تخب، ومبادرته بالانفصال عن الجيتس جاءت بوقتها، وسعاداته بأن ثوركيل سيبتعد عن السويد مع أتباعه بالكامل طغت على سعادته بأنه كان على حق، لكنها لم تكن بمدى سعادة الملك نفسه بابتعاد هذا الكبوس الذيطالما لاحقه .

وجمع روسغار كل رجاله ومساعديه على خلفية رسالة الملك إكلوف التي جاء بها الرسول، وبالطبع معهم قائد الجيتس الجديد ثوركيل العظيم، ليتشاوروا بالأمر. وانتهوا إلى ضرورة مساندة إكلوف، فقال لهم الملك: "سنرسل مجموعة الجيتس بكامل عددهم الأربعمئة محارب بقيادة ثوركل، على رأس جيش

آخر مكون من ستمائة آخرين، ليصبح مجموع المقاتلين ألفاً،
لمساندة جيش إكلوفأمام الفولينكز".

فاجتمع بعد ذلك ثوركيل بأتباعه وقال لهم:

– تجهزوا للسفر إلى المملكة الملعونة لنشارك في الحرب ضد
قاتل إخوته ومجموعته الفولينكز.

فتفاجؤوا بقراره وأنه متحمس، فقال له مساعده:

– وكيف تقبل بهذه السهولة! إنها حرب إبادة بالمملكة الملعونة
وستكون مجزرة في حال مشاركتنا.

– وكيف لا نقبل ونحن الجيتس وأنا ثوركيل العظيم! ، هذا أول
اختبار حقيقي لما سعيناً إليه، ولا بد أن نقبل.

– ونترك السويد بهذه السهولة لروسغار يرتع فيها دون
منافس؟ أنا لا أقبل.

– ليس بهذه السهولة كما تقول، وستقبل، لأنالدافع الوحيد لنا هو
صناعة المجد الذي يسعى إليه الجميع بالشمال، لنكون مؤهلين
بعد العودة للمنافسة على كرسي العرش بأحقية.

فأقنعهم ثوركيل بأهمية المشاركة في هذه الحرب ولم يسعهم سوى موافقته ومرافقته.

واستغرق الإعداد لتجهيز الجيش بالسفن اللازمة وجميع أسلحتهم التي لا تفارقهم في صيد أو قتال عدة أيام. وقبل المغادرة بيوم اجتمع الملك روسغار بثوركيل منفردين، ليكلفه بمهمتين أساسيتين: لحفظ ماء وجه السويد وهيبتها بإسكندنافيا في هذه المعارك الضارية. فقال له روسغار: "اعمل على هدفين حين تطأ أرضهم: لتعود منتصراً: الأول صد الهجوم عن المملكة الملعونة سداً لذين في رقبة السويديين للشعب الدنماركي حين حاربوا معنا ضد القراصنة الروسفي أعظم ملحمة بحرية انتصر فيها الفايكنج والتي خلدها التاريخ عبر العصور، فنحن لمننس فضلهم في النصر وأريد أن أهديهم نصراً مثله. والثاني كسر شوكة مجموعة الفولينكز إلى الأبد، خوفاً من هجومها ذات يوم على السويد، وأيضاً تأكيداً على أن الجيتسمجموعة مقاتلة هي الأقوى ولا تقهر". فعاهده ثوركيل على أن لا يعود إلا بنصر عظيم تتغنى به السويد وتحتفل به، أكثر ما تخلده

المملكة ملعونة وتمجده .. وفيأول نهار اليوم التاليقاد ثوركيل هؤلاء العمالقة الألفالى المملكة الملعونة لنصرة شعبها بأكثر من مائة سفينة.

ووصلت الأخبار لقاتل إخوته فور وصول الجيتس بقيادة ثوركيل واتخاذهم بعض التدابير الدفاعية على الحدود والشاطئ. فتسلل لنفسه يأس بفعل مشاركتهم، وخاصة أنه يعلم قوة ثوركيل وعنادهوهو وادته في التخطيط ، فالمملكة تستعصيه عليه بدونهم؛ فكيف وهم في صدارة الدفاع عنها؟ خاصة وأن ثوركيل العظيم هو قائدهم، ومشاركته تعطى المملكة الملعونة أفضلية عليه.

أما ويجليو فبعد أن نجا من هذا النفي للمملكة الملعونة بانفصاله المبكر عن الجيتس، اعتاد الجلوس كل يوم على ساحل البحر كما كان يجلس مع صديق دربه بيوولف، ليسترجع ذكريات المرافقة أثناء صيد الوحوش والذئاب، ويتذكر هذا القلب الذيل يخشى ولا يهاب، ويتأسف على مصيره فيقول في صمت مخاطب

ضميره: "ضاع البطل هدرأ في ظلمات البحر، أو ربما انتهى به الحال إلى بطونا إحدى هذه الوحوش البحرية العملاقة".

يتعجب كيف لبطل كهذا أرسلته الآلهة ورافقته كل هذه السنين أن يكون مصيره الضياع دون أقيمة أو حتى وداع؟ يسأل نفسه: "هل هذا الضياع ممكن؟! ونحن في أمس الحاجة لبطل يجمع شمل القبائل والبلاد من شتات منتظر!".

يصاحب الطبيعة ويتأملها وتتأمله، يحدثها وتحديثه، ينظر لها وتتنظر إليه، يريد أن يقدم لها شيئاً ولكنه فقد اليد التي تعاونه والقلب الذي يقوده. فقايضها وقال موجهاً الحديث إليها "ماذا لو أعدتلي بطلي وبطلك! ماذا لو ظهر لي الآن جلياً لحماً ودماً! ماذا عساي أن أقدم لك من مجد هدية استجابة لندائي!".

وطال به مناجاة الطبيعة حتى بدافي الأفق شراع يقترب يولد من رحم الأمواج، يعلو سفينة يظهر تفصيلها شيئاً فشيئاً على صفحة المياه كلما اقتربت، لها بریق مختلف عن السفن المعتادة. استغرب لها ويجليوف وقام يغوص بقدميه المياه ينتظرها حتى

ترسو، فنادرا ما تبحر سفينة وحيدة مجتازة الخليج دون مصاحبة أسطول، فهذا يعرضها لخطر القرصنة، والمعتاد أن السفن المتاجرة تسير فى أسطول ضخيمى بعضها بعضاً.

فانتظرها حتى رست ليستعلم أخبارها، وإذ به شابٌ ضخم يقفز عن ظهرها ويتقدم نحوه بخطى ثابتة، شعره مسدول على كتفيه تشع الشمس من خلفه كهالة من نور لرجل مختار أو ملاك تجسد فيهيئة بشر مكتمل البنية. وعندما اقترب وراها وجيليوفأخذهاالذهول ولم يحرك ساكناً وتوقفت أعضاؤه عن الحركة وعقله عن التفكير، فاقترب الشابأكثر وملامحه اتضحتأكثر مع اقترابه، وأخذ يحدث وجيليوف نفسه كمجنون"من هذا؟ يشبه بيولف، أم هي روحه أتت لتودعني؟".

فاقترب الشاب أكثر فأكثر وقد اتضحت معالم بشريته وتفاصيل وجهه واحتضن وجيليوفالذيظل على نفس حالة الذهول والدهشة، فقال لهالشاب "مالك تقف هكذا ألم تفتقدني؟!".

والصدمة جعلت ويجليوف يفقد الحركة والنطق. فهذا شيء
عادة لا يحدث؛ أن يعود شخص ما من الموت.

فأخذ الشاب يحاول أن يحركه كي يعيد إليه وعيه ليفيق من هذه
الصدمة. ولم يجد في نهاية الأمر سبيل إلا بلكمة قوية باغته بها
أسقطتها أرضاً وأعادته له وعيه من جديد. فقام منها ويجليوف
أكثر إندهاشاً ولكنه أكثر وعياً، وبدأ يتحدث وتتسارع منه
الأسئلة كالمجنون "أعادتكالآلهة من الجحيم!، أم أنك لم تمت؟
أم يُخيل لي أنه أنت؟ أنت؟ أنت؟".

فقاطعه الشاب وقال له:

- ويجليوف صديقي استرخ فأنا بيوولف، أنا حي،
حفظتني الآلهة لأعود ونصنع مجدنا معاً.

- أنت حي بيوولف!، كيف؟! ، كيف نجوت من العاصفة ومن
وحوش البحر؟

- كفاك تساؤلاً ويجليوف! اهدأ فقط أنا سأقص عليك ما حدث.

فوضع بيوولف (القادم من السحيق) يده على كتف ويجليوف وجلسا على الشاطئ كالأيام الخالية يتأملان البحر، فصمتا قليلاً وأخذ بيوولف يتذكر ما حدث ليسرد القصة كاملة فشرد قليلاً ثم استرسل في السرد وقال: "عندما هبت علينا تلك العاصفة الهوجاء ومعها جاءت وحوش البحر، قذفنا أحدهم بذيله في الهواء، فتلاعبت بي الرياح وسقطت بعيداً عن الجمع، ولكني للأسف سقطت بين مزيد من الوحوش، ولم يسعني الهرب منهم، فكانت تحيطني من كل جانب. وحاولت جاهداً أن لا أثير استفزازهم حتى لا يروني، ولكن رأني اثنان منهم وجداني فريسة سهلة فتسارعا مع بعضهما من أجل افتراسي وهم يتقدمان نحوي غوصاً وقفزاً، فتذكرت سكينتي هذا الصديق الأول لي، طالما كان وفيّاً مثلك ويجليوف، فأخرجته وقفزت على ظهر أحدهما عندما اقترب مني وطعنته عدة طعنات فأسقطني عنه وذهب عني، وتلاه الآخروها جمنى بحشية أكثر، فعُصت لي من فوق، وطعنته بأحشائه وأحدثت له قطعاً عميقاً خرجت أحشؤها كلها منه،

فتسارعت عليه الوحوش لتأكله، وأثناء ذلك أصابوني بأذيالهم ولم يلتفتوا لي؛ كنت صغيراً جداً بالنسبة للفريسة التي يتصارعون عليها، وكان ذلك خطؤهم الوحيد، فأنا بيوولف قاهر الوحوش. وأثناء ما كانوا مشغولين عني قطعت لحومهم بسكيني واحداً تلو الآخر، إلى أن انتهوا منها. ومرة أخرى انتبهوا لي وأصبحت أنا فريستهم. فهاجموا بشراسة من ألم الجروح التي أصبتهم بها وظللت أتصدى لهم أقتل وأقطع حتى أصابتني الجروح من أذيالها وأنهكت، فطعنت سكيني بظهر أحدهم وهو يمر بجانبى وتمسكت جيداً لعله يقذفنى بعيداً عنهم وأنجو من هجماتهم. فأخذني وظل يسبح ويبتعد بوحشية من أثر ألم الخنجر المغروس بظهره يحاول التخلص منه ومنى؛ فلم يعتد الوحش حمل رجل على ظهره كالبعير. ثم باغتني وغاص بي في أعماق البحر لعلها فرصته الأخيرة ليتخلص مني في الأعماق السحيقة المظلمة التي جاء منها...".

"...ثم وفجأة انقطعت أنفاسي ولم أر شيئاً مطلقاً سوى الظلام، أحاط بي كوحش جائع لم أستطع التغلب عليه رغم كل

مقاومتي، وأحسست وقتها فقط بضعفي؛ لأنني لا أملك السلاح الذي أقاوم به نور النهار؛ نفتقده جميعاً بالشمالوننتظره طويلاً، لكنه وفي النهاية يأتي، يأتي لأننيأؤمن به، شحيح لكنه فعال إن جاء في الوقت المناسب.النور والظلامكلاهما بيد الطبيعةوالقدر يتلاعبا بهما كيفما يشاءان مع تلك البشرية الحمقاء. فالنور سلاح الطبيعة والظلام عقاب القدر، وإن لم نؤمن بقوة النور أكلتنا وحوش الظلام..."

"...وبقيت على هذا الحاليا صديقيمستسلماً فاقدالوعيحتى رأيت النور الذي كنت أؤمن به دوماً يشع من حولي،فاستيقظت على ضوءه لأجد نفسي بأحد شواطئ فنلندا مُلقى على ظهري والشمس ساطعة فوق رأسي وقد لفظتني الأمواج من رحم البحر إلى الشاطئ..."

"...ظللت عدة أيام على الشاطئ وحدي لا أعرف إلى أين أتجه،أكل ما أجده من الهوام وأشرب من مياه الأمطار، أقاوم إلى أنيجدني مار أو ساكن قرب الساحل.وذات نهار رأيت هذه السفينة ترسو بالشاطئ علمسافة قريبةاجتزتها

بسهولة. فاستقبلني طاقمها وقدم لي الطعام والشراب وأرادوا أن يسمعوا قصتي، فرويت لهم ما حدث وكيف نجوت من العاصفة ومن وحوش البحر. فكانوا يعلمون بشأن المنافسة بيني وبين ثوركل ويعلمون خبر ضياعي بعاصفة الشيطان، وعندما رويت لهم ما حدث تعهدوا لي بأن يقلوني إلى السويد، وتعهدت لهم في المقابل بالذهب والجواهر.. هذه القصة كاملة ويجليوف منذ فقدتموني".

فاحتضنه ويجليوف بشدة، وقام به ورفع يده أمام طاقم السفينة وهتف "بيوولف، بيوولف، بطل الأبطال أنقذته الآلهة من أجلنا، بل من أجل السويد كلها".

ثم أخبره ويجليوف بموقف ثوركيل في السباق بعد فقدانه، وأنه صمم على إكمال السباق منفرداً ليحظى بقيادة الجيتس، وحكى له احتفاله الصاخب مع أتباعه بالقيادة، ثم استطرد وقال له "أتعرف بيوولف! أنا سعيد جداً بعدم فوزك بالقيادة".

— أعلم أنك سعيد ويجليوف بسبب تخوفاتك القديمة.

- أنت تتذكر جيداً حين حدثتك عن مخاوفي تجاه المملكة
الملعونة قبل المنافسة!؛ فقد تحققت كل مخاوفي، وقد غادر
ثوركل على رأس جيش قوامه ألف رجل إليها بعد استغاثة
الملك إكلوف منذ أيام قليلة.

كنتأريد أن ألقاهلأبارك له هذا الفوز الرخيص وتخليه عن
النبل في المنافسة، كنت أريد أن أخبره أنني قد وصلت للشاطئ
الفنلندي أولاً، نهار ليلة العاصفة، ولكن بلا شاهد.

فضحك منه ويجليوف وقال له ساخراً: "ومن يبالينبل
والمنافسة الشريفة غيرك - هيا نذهب لأبيك، بالكاد سيموت
فرحاً لرؤيتك".

فذهبا معاً إلى القرية، وقد أصاب القومالذهول عندما رأوه حياً.
فتخطاهم بيوولف ودخل على أبيه غرفته فوجده مُلقى على
فراشه نائماًعلى وجهه من فرط السكر كالمعتاد، وظل
يوقظه، فيُقيم روسغار رأسه وبعين نصف مفتوحةتوبغم منبعج
يهذيبحروف متبعثرة ثم يعاود النوم مرة أخرى.حتى صرخ

فيه بيوولف. فقام مفزوعاً، وقفز من سريره عندما وجد
بيوولف أمامه وتوارى في ركن الغرفة كالأطفال، وما هذا إلا
عندما طمأنه ويجليوف وبدأ يحكي له القصة وهو منطو بالركن
كطفل، يسمع من ويجليوف ثم يلقي نظره كل حين إلى بيوولف
مع حكي ويجليوف حتناطمأن تماماً، ثم قام فجأة وأزاح
ويجليوف من أمامه بكفه المبسوط كاد يُسقطه أرضاً واحتضن
بيوولف وأخذ يكيويشكر الآلهة أنها استجابت له وأعادت له
ابنه الوحيد من الظلمات ليعاود التباهي به وبأمجاده من جديد.
فقال له روسغار:

– بُني، البس أبهى ثيابك كي نخرج إلى الناس ونحتفي بك،
طالما أحببت هذا هاهاهاها.

ثم أخذاً ينتقيان أبهى الثياب وخرجا معاً على الناس في تباه أكثر
مما كان عليه روسغار قبلاً. ورفع يد بيوولف أمام العامة
وقدّمه لهم على أنه بطل فريد من صنّع الآلهة، فقال لهم: "حيوا
معي بطلكم، بطل الأبطال الذيقهر السديم وعاد من

السحيق، بطلكم الذي لا يقهر، حيوا معيسيف الجيتس والملك
المنتظر بيووولف".

فهل له عامة الناس أكثر من نبلائهم، وأخذوا يهتفون
باسمه؛ فهم أكثر من فرحوا بعوده، فطالما كان لهم حائط صد
بينهم وبين شرور الأرض دون أن يخشى ودون مقابل.

ورغم كل هذه الحفاوة لم ينسب بيوولف الوفاءبعهده لطاقم السفينة
وقدم لهم الذهب والجواهر، واختاروا أن يبقوا معه في السويد
وأن يكونوا من رجاله بعد ما رأوا شعبيته وبطولته بين قومه.

وروسغار هو الآخر لم يبخل عليهم بعطاياه وأغدق عليهم
وعلى شعب مملكته في احتفال هائل بنجاة ابنه وللمرة الثانية.

الكل يأخذ حظه بالشمال طالما استمروا فيالسعي وراء ما
يريدون؛ ثوركيل قائد للجيتس كما أراد، وبيوولف ازداد
بطولة وأسطورية ومجدا كما سعى، أما الملك روسغار فقد عاد
له ابنه كما تمنى، وحالفه الحظ في ترحال ثوركيل العظيم مع

أتباعه الذين شعروا بالشجاعة فجأة وانضموا للجيتس، هدية من القدر للملك الأبله.

وراقب روسغار الأيام والشهور التي تمر على السويد دون جيش، ولاحظ كثرة الأتباع والمؤيدين حول بيوولف، فانتهازها فرصة بأن يقوي موقفه أكثر أمام القبائل بأن يصنع مجموعة جيتس أخرى لحماية السويد ويكون بيوولف قائدها. فانتظر ليلة منحلة من لياليهم المفعمة بالجنس والنبذ وقام وكأس النبيذ بيده وقال: "طالما طالبت الحرب هناك بالمملكة الملعونة، وإلى أن تعود كتيبة المحاربين منها؛ أمر أنا الملك روسغار ملك السويد بأن تنشأ مجموعة جيتس جديدة لحماية السويد" فقام الرجال وصرخوا وهللوا احتفاء بقراره، ثم استطرد وقال: "وهذا ابني بيوولف أعينه قائداً عليها". فهل الرجال أكثر وصفقوا وأخذوا يقبلون الفتيات بعنف وبضحكات مُجلجلة ترحيباً بالقرار.

فكانت حُجة جيدة وحيلة بارعة من رجل ماهر .. وتم تنصيب بيوولف سريعاً في حفل ضخم وسط هتاف وقبول من

الناس لحبهم شجاعة بيوولف وبطولته وثقتهم في قدرته رغم صغر سنه، وثقتهم في مبادئه الفريدة بالنسبة لهم، ولاهتمامه بشؤون العامة والرعاة والمزارعين والبسطاء منهم وحمايتهم دون مقابل أو تكاسل، حتى أنه أصبح في الآونة الأخيرة أكثر شهرة من أبيه الملك أو جده البطل صاحب الأمجاد .. فتجمعوا حوله ووضعوا بعنقه أكاليل الورد وزينوه بأسنان الفرائس وباركوه بطلاء الحرب؛ وأهداه أحد الحدادين درعا صدرياً قد صنعه له على الخصوص منقوشاً عليه منظر الذئب الذي اتخذته بيوولف رمزاً له.

أصبح الآن ذا قوة ومنصب، وقلب لا يمتلك مثله الكثير من الناس، ويافعاً كفاية ليرتدي درع الأبطال ويحمل جميع أسلحتهم التي تكون بحوزتهم في الصيد والقتال. ولكنه ما زال يكتفي فقط بسكينة، ذاك الرفيق القديم الذي صحبه منذ البداية، وسيف كبير عملاق، هو سيف جده وولفغار أهداه إليها أبو ه خلال التنصيب .. مارس عمله باهتمام وجدية وحرفية أكثر من أي قائد آخر. جاب السويد بأكملها ونشر فيها الأمان

من وحوش البرية ومنأي متمردين جدد، ووفر المتطلبات
الأمنية للقبائل وفض المنازعات بينهم .. هكذا كان هو
وصديقه ويجليوف.

وعلى صعيد المملكة الملعوننة ثوركل حظاً وفيراً بعد
السنة الأولى له هناك. مات إكلوف العجوز بدون أي وريث
للعرش، وهذا ما أثار ذعر النبلاء ورجال الملك الراحل، خشية
أن يصل الخبر إلى قاتل إخوته وتكون ذريعة إضافية له بأن
يأتي طالباً حقه في الملك خلفاً لأبيه .. وأخذ ثوركل يراقب
الأحداث بعد موت إكلوف ولم يعجبه أن يقف موقف المتفرج
كما العامة، فأعلن على الملأ بكل خبث (لحاجة في نفسه) وبنية
غير معلومة، أنه أنهى مهمته في المملكة على أكمل وجه وأن
دوره انتهى بموت الملك وعليه العودة بجيشه إلى السويد.

فانتشر الخبر كالبرق بربروع المملكة بنية الجيتس في التخلي عنهم والعودة أدراجهم، مما أثار ذعر النبلاء أكثر وزاد موقفهم سوءاً. فاجتمعوا وبادر كبيرهم وقال لهم: "بالأمس يموت الملك إكلوف، واليوم يتخلى عنا الجيتس، أي لعنة تُحيط بنا !، أي ذنب اقترفته أيدينا لهذا!، وأي سبيل يخرجنا من لعنتنا دون الخروج من الوطن! وكيف الخروج من الوطن إن كان الوطن نفسه ملعونا وتحيط به اللعنات من كل جانب!".

فسأل أحدهم "وهل فعلاً سيغادر ثورك كل العظيم؟".

فأجابه آخر وقال له: "الخبر مؤكد لقد قال لي ثوركيل بنفسه أنهم سيغادرون غداً صباحاً".

فقال كبير النبلاء "سأستدعيها الآن لنقطع الشك باليقين".

فقال أحدهم "لكن بالفعل الأخبار تملأ المملكة".

فقال كبير النبلاء: "نسمع منه".

فأرسل حارسه ليستدعي ثوركيل بقاعتهم الملعونة (التي تمثل جزءاً هاماً من لعنة موطنهم) ليسمعوا منه، فأتاهم وتقدم

نحوهم بثقة وتبخر، فهو صاحب يد عليا عليهم ويريد أن يساومهم بها، فبادرهم قائلاً:

– أيها النبلاء الكرام، ما سمعتموه صحيح، فأنا وجيشي قدما
أرواحنا نيابة عنكم ولمدة عام كامل ضد قاتل إخوته، وبموت
الملك إكلوف العظيم قد أتممنا مهمتنا وانتهى عملنا هنا.
فقال له كبيرهم وهو الأذكى:

– أيها المحارب ثوركيل العظيم، أنت تعلم أن قاتل إخوته
لا زال موجوداً وخطره داهم وانتقامه قاس، وبتخليكم عنا اليوم
ستكون المملكة في قبضته بعد أيام، وستضيع كل تضحياتكم
التي قدمتموها منذ عام هباء".

فأجابه ثوركيل بتهكم:

– وماذا عساي أن أفعل أيها النبيل لجبار مثل قاتل إخوتهذي
نفوذ واسع!، يختبئ داخل قلعته البعيدة، ويبعث بأسطول جرار
كل حين ليحرق كل ما يقع أمام رمي بصره وتحت حوافر

خيوله. لابد ليوأن أعود لموطنييوماً ما، وها قد جاء اليوم لنعو

فصمت النبيل قليلاً وأخذ يعبث بلحيته ثم قال له:

- ثورك العظيم، هل تقبل أن تبقى برجالك معنا حامياً
للبلاد؛ بأن تكون ملكاً للمملكة خلفاً للراحل إكلوف؟ إن قبلت
فسنبايعك الآن أنا ومجلس الشورى وسنعلنك ملكاً أمام العامة
اليوم . ما قولك؟

فلقد قرأ في عينه حب المناصب والسلطة، واستشف من
كلامه أنه يبحث عن موطن له ولرجاله يكون هو فيه ملكاً
عليهم، والسويد تحقق له هذه الفرصة إن عاد لها مع رجاله.
فاختبر تلك الغريزة فيه وداعبها، لينظر إن كانت رؤيته في
محلها أم لا!، وليجبره على المكوث بالمملكة وحمايتها.

فلمعت عينا ثوركيل وارتعشت يداه القوية. فقد نال أكثر مما
تمناه بهذا العرض المغري، وليس هناك أكثر من كونه يُنصب
ملكاً على المملكة الشهية التي يطمع فيها الجميع .. كانت نيته

فقط أن ينال مزيداً من العطايا لا أكثر، ولكنه تفاجأ بالعرض السخي، والمفاجئة وهوادته جعلته يتريث الموافقة، فطلب من مجلس النبلاء الحاضر أن يمهله بعض الوقت ليشاور رجاله. يعلم جيداً أن قوته الحقيقية في رجاله وأتباعه، وهم من يمنحونه البطولة والمجد، ومشورتهم تجعل من ملكه أكثر قوة وحماية، فإن هم قبلوا العرض، قبل.

فأتاهم بسعادة وانتشاء وجمعهم على ضفاف بحيرة (أريسو) بعيداً عن العامة، وسألهم وهو في غنى عن الإجابة "ما رأيكم بهذه المملكة؟ وماذا تعني لكم؟".

فأجابه بعضهم، فقط ليعرفوا ما وراء السؤال "هي مملكة غنية وشهية وهي مطمع عند الكثيرين ولذلك أصبحت ملعونة لكثرة طامعها".

فأكمل ثوركيل لهم الإجابة وقال:

- ونحن هنا لحمايتها من طامعها، فنحن أكثر عرضة للأذى من أهلها. فما رأيكم لو أصبحنا حُماتها وملوكها أيضاً؟ هكذا عرض علي مجلس النبلاء لنبقى هنا.

فلمعت أعين الرجال كما لمعت عينا ثوركيل حينتفاجأبالعرض الشهيمن النبلاء. ورحب الرجالبقبول المنصب الأعلى في المملكة الملعوننة، وفرحوا كون قائدهم صار ملكاً، كجائزة على صبرهم وتضحياتهم لمدة عام كامل يدافعون عن شعب ليس شعبهم، في حرب ليس لهم فيها ناقة ولا جمل.

فصار ملكاً بين ليلة وضحاها، لكن طمعه أعماه وأفقده الإحساسبطعم المساومة السيئ ورائحتهاالقذرة. فقد ساومشعباً ضعيفاً وهددبالتخلي عنهم رغم حاجتهم له .. شعب أحمق، هذه الحاجة هي ما جعلته يساوم وجعلتهم يتنازلون، هذه الحاجة جعلته يساوم ويحصل على ما أراد وأكثر مما أراد، وبسهولة. وجعلتهم يتنازلون عن حقهم في الاختيار وعن أئمن ما يملكون فيملكتموببساطة.

هذا الشعب أكثر طموحه هو الأمن والأمان، هذا الشعب طالما ذاق الأسى والروع والرعب إما من كثرة الحروب الوحشية التي خاضها أو من الوحوش المتربصة له في ظلام الطمع. تلاحق مملكته لعنات كثيرة، وآخر هذه اللعنات هي لعنة ثور كيل العظيم، الذي بيده الأمن والأمان كما شبه لهم، هو الأمثل في هذه المرحلة ليحقق لهم ذلك كما يرون. لذلك تنازلوا وأعطوه مُلك الدنمارك على طبق من ذهب.

"مرض ملك السويد مرض الموت"... بهذه الكلمات أخبروا بيوولف الذي كان بأسفاره داخل المملكة السويدية خبر مرض أبيه. وقد كان اعتاد السفر لأسابيع ليليبياحتياجات القبائل ويخفف من حدة التذمر على سياسات أبيه المتبعة. فكان يتنقل من قرية إلى قرية ومن أدغال لأخرى هرباً من سخافة مجالسه المنحلة.

وقد جاءه الخبر واستقبله ببرود أعصاب وهو عند قرية قريبة من الحدود الشمالية كان قد ذهب إليها عندما اشتكى سكانها من وحش عملاق يسمونه "جريندال"، واشتهر هذا العملاق باقتحام القرى ومهاجمتها ليلاً والقتل بوحشية، فاستغاث أهلها ببيوولف الذي لبي لهم نداء الغوث، ولكن منعه من إتمام المهمة خبر مرض أبيه، فعاد أدراجه إلى القرية الملكية وقد وجد أباه الذي صار عجوزاً وأصبحت أيامه في هذه الحياة معدودة؛ يصارع الموت.

لقيه وجلس أمامه ليواسيه. فصارحه روسغار، وصارح نفسه أيضاً قائلاً: "لقد سعدت برؤيتك قبل رحيلي بيوولف، وأريد أن أوصيك فاسمعني: بيوولف، أنت لست تابعاً لشيء، فكن كذلك دائماً. بخلافي، كنت مريضاً بالسلطة والمُلك، ولم أشف منه، وها أنا أموت به، لقد لزماني هذا المرض منذ الصغر حتى تملكني، فلم أحقق بطولة ولم أصنع مجداً، كالذي صنعه جدك وولfgar لنفسه، الذي تحدى كل شيء، حتى المجد نفسه الذي نسعى إليه جميعاً بالشمال؛ قد تحداه وضحي بنفسه ليحقق

نصراً للسويد. وأنت لست ابني بقدر أنك حفيد وولفغار، فلا تكن مريضاً بشيء مثلي، ولا تجعل شيئاً يملكك، واصنع مجدك بنفسك كجدك، فلن تنفك أمجاده إن لم تسع لتحقق مجدك الخاص كما سعى".

لم يهذرو سغار للمرة الأولى في حياته بكلمات هزيلة كالمعتادة التي يتبعها ضحكات ساخرة دوماً، إنما كلمات واضحة صادقة تخرج من قلب استفاق على الأم الموت بعد أن فات الأوان "أن لا مجد له ولا بطولة" هكذا يعترف بوضوح وللمرة الأولى. أنه خسر. وبهذا الاعتراف قد خسر معه من صدقه واتباعه وسلم له أذنه. وما كل الأحاديث والقصص التي كان يتغنى بها في مجالسه أمام أتباعه إلا كذب زائف لم يساو شيئاً أمام لحظة صدق في مرض موته، ولحظة الصدق نفسها هي الأخرى لا تساوي شئ شيئاً حين حضرت مع زفرة الموت.. للأسف الكل يعي ويتوب في نهاية الطريق، فما الفائدة! ، ولو استطاع أحدهم الإدراك أن خطواته الأولى تتجه به نحو

الحافة، لما سقط، ولما سقطت معه آلاف الذرات من التراب
الملتصقة بنعله.

وأصبح بيوولفهو الحاكم الفعلي للمملكة في مرض أبيه، ينظر
فيشؤون المملكة الكبير منها والصغير باسم الملك، وبطولته
منعت أصحاب الوسوس من تحديه خاصة وأن الملك لم يزل
على قيد الحياة. وعندما اشتد المرض على الملك، تطلب الأمر
وضعه في العزل بعيداً عن الناس حتى يلقي حتفه وحده بخيمة
العزلة التي يتخذونها للميؤوس من شفائهم.

للحافة طرق عدة، وهي للمرضى أو العميان لا تخلوا منهم،
ولا من ذرات التراب الملتصقة بنعالهم وتسقط معهم في نهاية
الطريق، وطريق الحافة الآن خال ويحتاج لعابر جديد. الملك
هو الحافة. وطريقه الطمع. كقبس نار يجتذب الجراد. وذرات
التراب هم الأتباع أصحاب الغفلة أو الأطماع .. وقد داعب
مرض الملك الشديد الأطماع للعديد من العائلات الكبيرة
بالقرى، وبدأ التنافس يظهر جلياً والأطماع تطفوا على السطح،
ويُفصح كل قادر عن نيته في المنافسة. ومجموعات من القبائل

حاولت أن تظهر نفسها ليعي بيوولف أنه مؤقت حتى رحيل الملك، وأنه ليس الوحيد الذي يملك استحقاق الخلافة لمجرد أنه ابن الملك أو أنه قائد مقاتلي الجيتس المقدس.. هم لهم أحقية التنافس، لكن ماذا لديهم يمنحونه لشعبهم غير الحافة؟! ، الأجدر هو من يصنع من الحافة قمة وليس سقوطاً، وليس بينهم من له قمة سوى بيوولف الذي صنع دوراً علوياً لقصر جده المبني من لبنات المجد والفخر والانتصار.

بعضهم يمتلك الأمجاد، وآخرون فقراء المجد والتحدي، ولكن لم يمنعهم ذلك من محاولة التنافس هم أيضاً، فربما يحظون بتلك الفرصة الذهبية التي يحصل عليها الجبناء دائماً دون غيرهم. ومن بينهم لواء الجبناء كان "المحارب هيثولف"، ابن عم بيوولف. هو وذرات تراب نعله (أقصد أتباعه) هم من فرضوا سطوتهم على كل المجموعات وبرزوا وانتشروا بشكل غير عادي وغير مسبوق، فكانت هذه هي المنافسة الحقيقية التي قلق منها ويجليوف، وحذر منها بيوولف ذات مرافقة له يوماً ما بالأدغال يتربصان لدب وحشي مسعور فرض سطوته

بالمكان، قال له ويجليوفحينها "بيوولف، هيثولف هذا أراه يشبه أباك كثيراً في خداع العقول، سيمحو كل بطولاتك من ذاكرة القبائل وسيشيع أمجاداً زائفة عن نفسه يخدع بها القوم ويؤثر عليهم بها.. وسيتأثرون".

– ويجليوف، أترى هذا الدب المسعور هناك؟ هو يشعر بنا، ويعلم أن ثم من يتربص له، لكنه بخلافنا، غير مستعد.

– أنا أحدثك عن هيثولف الآن، وليس عن هذا الدب المسعور.

– وأنا كذلك أتحدث عنه. فليفل هيثولف ما يشاء – فالمنافسة لا تُحسم بالادعاءات الزائفة، فلا بد له من مواجهة حقيقية تثبت ادعاءات عن أمجاده هذه، وتثبت استعداده الجيد للملك والمنافسة، وأنه يستطيع ويستحق. فلا داعي للقلق ويجليوف، ودع القدر يقرر كما فعل من قبل.

– فقط احترس منه، إنه مخادع، وهذا مكن قوته، ولديه حيلة.

– إن كنا متساوين في الحيل، فالأكثر استعداداً يربح ويجليوف كما قلت لك.

ومن داخل قصر النرويج الملكي؛ قد مل انفارث الهزائم المتتالية التي لحقت بجيشه على أعتاب موطنه، وخاصة بعد أن علم بموت أبيه أصبح يريد لها أكثر وبشكل وحشي. واختلاط شعوره بالحزن عليه مع حنينه للالتقاء به، لم يثته عن طمعه في غزو موطنه. مرض عضال، حُمى الرغبة؛ تسكن جسده وليس لها دواء ولا منها شفاء سوى تلك الحافة والسقوط منها. حتى فكرة الفولينكز التي صنعها على أمل أن تُلون حلمه بألوان زاهية كما رسمه، والتي تُقاتل بواز عوثي؛ لم تفلح كما أفلحت مجموعة الجيتس التي أثبتت نفسها جيداً. فلقد صُنعت الجيتس من أجل هدف نبيل (حماية الأوطان) وليس اجتياحها، ولا أكثر نبلا من هذا الهدف، لذلك سقوطها لن يكون سريعاً.

وأصبح فشل الغزو كل مرة يقلقه، وكاد التفكير فيه يقتله، فكان لابد له من خطة محكمة أكثر وضوحاً لأهدافها من تلك الغوغائية والاعتماد على الكثرة وحسب، وهذا سيستغرق منه بعض الوقت ليعيد ترتيب صفوفه وتشكيل خطته. لكنه أجّل كل هذا إلى ما بعد عودته من إنجلترا، التي أبحر إليها ليلتقي الملك الجديد لها وليؤكد على وثيقة التحالف بينه وبين الإنجليز، ويستغل اللقاء به ويطلب الدعم المطلوب منه كما تنص الوثيقة في بند (اتفاق الدفاع المشترك)، ليطوق المملكة الملعوننة ويخضعها بمحاولة حصار قوية، وذلك بعد المحاولات الفاشلة التي خاضها بمفرده. فهو يريد حصاراً كاملاً (لموطنه الأول) هذه المرة خالياً من الأخطاء، ليس لمجرد الغزو كما كان من قبل، بل وليسترد إرث أبيه الذي نهبه النبلاء، وأعطوه لذلك السويدي الذي يُدعى ثوركيل للعظيم. وهذا الذي جعله أكثر جنوناً ووحشية ورغبة.

لكن إمبراطور الغدر قد وقع فريسة للغدر بعد أن رفض الإفرنج تنفيذ عهدهم معه، كون إمبراطوريته اتسعت بما يشكل خطراً

عليهم جهة الشمال الشرقي، وكانت هذه هي الخطوة الأولى من الإفرنج لإسقاطه وإلغاء التحالف واتفاق الدفاع المشترك معه، بعد أن حققوا مرادهم منه.. وكان قد كرس جيشه كله لهم في حروبهم ضد الإسبان كجزء من اتفاق الوثيقة التي التزم بها من جانبه. قوى جبهتهم وانتصر لهم مقابل أن يدعموه في العودة إلى موطنه. ولكن الإفرنج لا ينسون ثأرهم أبداً، وسبق أن غدر بهم، والآن حان وقت أخذ الثأر. فبددوا جزءا كبيرا من جيشه في حروبهم مع الأسبان واستغلوه في النصر، وبدد هوفي حلمه الواهي باقي قوته .. وأن يبدد كل قواه وإمكاناته واحدة تلو الأخرى لمجرد حلم واحد؛ عبث، سيقضي عليه عاجلاً أم آجلاً .. يبدأ الأمر بأن يتركها أصدقائه، ويغدر به آخرون كان يظنهم أصدقاء، ومن ثم يتكالب عليه أعداؤه بعد أن صار فقير القوة والقدرات والأذرع.

فاستشاط غضباً وغادر إلى النرويج مباشرة بعد تلك الصدمة ليرى ما يتسنى له فعله تجاه هذا الغدر، وترك مساعده نورمان خلفه بعدما أمره بالبقاء لفترة باسكتلاندا ليزود نقاط الحراسة

هناك على الحدود مع الإنجليز خشية أن يحاولوا استردادها من جديد بعد هذا النقد للتحالف ..فمكث نورمان عدة أيام إضافية قبل أن يعود إلى النرويج، لم يكن يحتاجها كلها لإنجاز مهمته، لكن الأمر غير ملحوظ ولن يحاسبه أحد إنتأخر عدة أيام في العودة خلف سيده.وقد زود نقاط الحراسة هناك بالفعل ولكنه غيّر ها أيضاً، واستبدل الجنود الفايكينج بآخرين إنجليز وتراجع بأغلب القوات من اسكتلاندا إلى قواعدها بآيرلاندا وترك اسكتلاندا لهم. قد سلمها بهدوء ودون ضجيج للإنجليز، وحتى دون علم الاسكتلنديين أنفسهم بأن الجلاذ قد تغير .. قد خان سيده، كما فعل سيده من قبلوخان سيده.فولأوه الأول كان للإنجليز، وجعلوه يحظى بثقة قاتل إخوته كبيتثني يتسنى له أن ينفذ مخططهم بدقة وارياحية.

فعلا للإنجليز هذا لتجنب حرب مع قاتل إخوته بعد أن فقدوا أغلب جنودهم وقواتهم فى آخر معاركهم مع الإسبان جعلتهم مقلمين الأظافر لا يستطيعون الهجوم أو الدفاع، لكنهم استبدلوا المواجهات بالتحالفات الغادرة والسيطرة على الشعوب دون

قتال، بلسان مرن، ولاذع أيضاً كالأفعى. وقد تأمر نورمان معهم على قاتل إخوته مقابل أن يُعطى مُلك النرويج وثيقة بينه وبين ملك إنجلترا الجديد "شارلمان"، بخطة طويلة الأمد قد وضعهاها معاً لإسقاطه.

لم يدر ما يُحاك له، يظنه نقد للتحالف ليس إلا. وقد ضاقت به الأرض بما رحبت وتخبّطت قراراته على إثر ذلك، وظل طول رحلة الإبحار إلى النرويج يفكر في حلول تساعد في الانتقام من الإفرنج واجتياح بلادهم لرد اعتباره.. طعم الغدر مُر وقد تذوق كأسه للمرة الأولى، وكان لا يظن أن هذا اليوم آت. لم يكن يعلم أن كما تدين تدان!، وما زال لا يعلم، يكابر، وكونه طاغية حليفاً للشيطان يتمادى، وما يعده الشيطان إلا غروراً.

وكونه ليس ذكياً كفاية والصدمة ستجعله يتصرف بحماقة؛ هذا ما جعل "شارلمان" (ملك إنجلترا الجديد الداهية) يتلاعب بمعنوياته وحماقته التي ستجعله يوماً ما يقضي على نفسه بنفسه.

فأربكوه بصدمة نقد التحالف حتى لا يرى أمامه ويعود
أدراجه، إلى أن يتم نورمان مهمته بتسليمهم إسكتلاندا، ويقوم
بمسحها بالكامل من جنود الفايكنج.

وهكذا يجيدون همفن التلاعب بالشؤون المعنوية وبنفسيات
المنافسين جيداً لتساعدهم تلك الطريقة فيتحصيل انتصار
نظيف بلا خسائر الاحتكاك والمواجهات الحتمية المعتادة، والتي
أصبحت من حتميات الحروب ومسلّماتها.

لا عيب في أن ينصروا وطنهم بشتى الطرق، وأن ينزعوا من
الضعف قوة ويخلقوا من الهزيمة نصراً، ويستردوا أرضهم
ونفوذهم بما يملكون وما لا يملكون من إمكانات وأوراق لعب
سياسية وعسكرية شتى. صحيح أن إسكتلاندا ليست وطن
الإنجليز أو الفايكنج، لكنها خط دفاع متقدم
لكليهما، وشعبها رضي بأن يكون تابعا للأقوى، وأن تكون
أرضهم أرض صراع القوى الكبرى، القوى التيلا تبااليهم ولا
تهتم فقط إلا بأن يبقوا الصراع بعيداً عن أوطانهم، وها هو

الصراع بين الأقوياء على وطن الإسكتلنديين جار، بلا إرادة من شعبها في تحديد مصائرهم ولا تدخل طالما لم يريدوا ذلك.

وبعد وصوله النرويج بدأ أولى حماقاته إزاء هذا الغدر الإنجليزى، وعقد اجتماعا عاجلا موسعا مع كل رجاله ومساعديه ليطلعهم على مستجدات الأمور وإعلان الحرب على الإنجليز.

فقال له أحدهم "شيء غريب ! ومن كان يتوقع هذا! أن الإفرنج بعد تحالف عدة سنوات مجبرون على مهادنتنا يغدرون بنا غير مباشرين لقوتنا العسكرية التي تفوقهما ضعافا، هناك سر". فأجابه أحدهم "لديهم ما يركنون إليه دائماً (القوة الناعمة) كالأفعى تماماً. وتكفيهم تلك القوة الناعمة لضرب أي قوة عسكرية. فبنعومتها تزحف وتخرق كل العوائق التي لا يخرقها الجنود ولا تقدر عليها الفيلق المدرعة، قوة تفوق أي قوة أخرى بجلدها الناعم الذي ينساب كالسائل بين الأصابع".

لكن قاتل إخوته رغم كل هذا القهر الذي أصابه من الإفرنج، لم يتخلل لحظة عن حلمه الوحيد باحتلال مملكة أبيه الملعونة، فاقترح على المجلس أن يدخل إنجلترا من الباب الخلفي لها، وقال لهم "سنجتاح أرضهم ولكن عبر (جرمانيا ثم هولندا فبلجيكا) عبوراً بمملكة أبي الراحل".

فما زالت هي حلمه الأكبر الذي يسيطر عليه، يحاول تحقيقه بشتى الطرق وبكل الإمكانيات المتاحة وغير المتاحة، حتى تحول هذا الحلم إلى كابوس جاثم على صدره لا يستيقظ منه أبداً. وقد ترك أباه بداخله جرحاً غائراً يسمى الانتقام لا يلتئم أبداً.

وكانت لهذه الخطة وهذا الطريق الذي سيسلكه فائدتان بالنسبة له، تخدم وتحقق أهدافه الشيطانية كلها: من جهة يدخل المملكة الملعونة كما يحلم، ومن جهة أخرى يضلل الإفرنج كونه طريقاً غير متوقع لهمسيجعله يحتل معظم أوروبا ويقوي نفوذه قبل أن يصل لهم.. وللأسف الشيطان يمل الحماقات، ويجد لنفسه موطناً جديداً تحت قبة إنجلترا، وكاد قاتل إخوته يهدد عرشه

هناك بحماقاته. فكان لابد التخلص منه بطريقة يجيدها الشيطان جيداً، وهى (التآمر)، طريقة ناجحة ومضمونة للشياطين وحلفائهم، وسهلة.

ولم يدرك قاتل إخوته أنه صنع لنفسه فخاً جيداً يناسب نهايته، ويحقق الانتقام لكل من غدر بهم وتآمر عليهم. فليس هناك من صدف، نعم، إنها دائرة مغلقة من الأقدار المتشابكة، نصنعها بأنفسنا بما يسمى (الاختيار) وتلكهى الأمانة التى حملها الإنسان عن جهل، وهى التيتحدد الأهداف وترسم النهايات.. وعندما يحشد طاغية ما كل ما يملك، فهو على وشك النهاية، مهما طالت. ولم يترك قاتل إخوته سفينة ما أو رجلاً أو حتى طفلاً يستطيع حمل عدة الحرب، إلا وجهزه ودربه وأعدّه جيداً ليتحمل غزواً طويلاً يجتاح به أوروبا بأكملها. ولم يكن واثقاً تماماً من النتائج، لكنه مُصرّ، وهذا ما يسمى (الحماقة). أنيفعل الشيء نفسه الذى أثبت فشله بالطريقة نفسها لعله ينجح! حماقة، وهو حتماً إصرار على الفشل.

وجاءت الأخبار الليلية كالعادة للملك ثوركل بغزو مملكتهم
قبل قاتل إخوته بجيش ليس له مثيل بتاريخ اسكندنافيا. سفن
عالية ضعف ما كانت من قبل، تحمل رجالاً ضعف الأعداد
السابقة، يتقدمهم الفولينكز بأعلام ورايات قبائل الجزء الشمالي
من القطر الإسكندنافي بكامل أعدادهم والمعروفون بقوتهم
..أجسام عملاقة تُساق لتُسفك دماؤها على أعتاب الأوطان.
رجال كُثر يتركون وراءهم الأرامل واليتامى والتكالى بلا
رحمة أو اشتياق، دليل على جبروت وقسوة وكراهية تملأ
القلوب وتعمي العيون.

ولكن ثم هناك جزء جميل في هذا العالم يتغافل عنه الأشقياء
ويتعمى عنه الطغاة، ليجعلوا منه غير موجود، جزء جميل لا
يراه إلا صاحب إنسانية تهيمن على غرائزه ومعتقداته وتتمكن
منه، وتنضح من وعاء قلبه وتفور عنه؛ هذا الذي يرى العالم

ملك إله، بينما هو مستخلف ليبقيه كما أراد الإله، صالح لعيش الكل فيه سواسية، الكل فيه له الحق والإرادة والحرية، له حق الأمن والأمان بلا تضحيات أو اثمان .

وفاق الأمر تخيل ثوركيل واستعداداته عندما سمع الأخبار. كان يجدر به الإهتمام قليلاً والتفكير في مستقبل مملكته المهددة باللعنات، كان يجدر به أن يقوم بما جاء من أجله، لكنها سطوة المُلْك أعمته حتى وقع فريسة تغافلته، شغلته التجارة البحرية عبر البلاد هو ورجاله الذين خصص لهم أجزاء شاسعة وربوعاً واسعة للرعى والتجارة .. مملكة شهية هي مطمع الكثيرين وقعت في يده بكل خيراتها على طبق من ذهب دون عناء، فوقع في لعنة هذا الطبق المذهَّب الذي فتن الكثيرين قبله ممن وقعوا في شركه، وأعمى عينه كما أعمى أعينهم حتى سقطوا من الحافة.

وعندما فاق الأمر تخيله؛ أفاقمن غفلته وهو على حافة الهاوية. هاوية الحروب الموت والدمو المحتوم، وبدون أي استعدادات. لا يملك شيئاً في مواجهتهم سوى عنجهية المُلْك الزائفة، فلولا انشغاله

عن واجبه لما ساءت عليه الأمور هكذا ..وقد جاءه رسول أجنبي، إفرنجيليس من اسكندنافيا، وأشار عليه بأن يلجأ إلى مملكة السويد ويطلب منهم الدعم (رغم أنه في يوم ما كان هو الدعم)، فلم يسعه إلا أن يسمع النصيحة (التي لم تكن نصيحة بقدر ما كانت جزءا من المخطط الكبير لقبة انجلترا). فأرسل رسوله يطلب النجدة من الأمير بيوولفالذي يقوم بشؤون المملكة في مرض أبيه.

وكما تجري العادة بالسويد، يتجمعون بقاعة الاحتفالات الخاصة بهم كل ليلة، ولكن كرسي العرش مازال فارغاً بلا ملك، فيانتظار البطل الجديد الذي ملاء هذا الفراغ .. بيوولف وأتباعه حاضرون، وهيثوولف وأتباعه أيضاً ليسوا غائبين عن القاعة حين جاء الرسول وألقى التحية ومَثَلَ بين أيدي بيوولفوجثا على ركبتيه وأحنى عنقه له واستأذنه في أن يعرض عليه رسالة الملك ثوركيل، فأذن له بيوولف وهو يتكئ على حافة كرسي العرش يتهياً لسمع رسالة منافسه، فقال الرسول "الملك ثوركيل يرسل تحياته لقائد جيتس السويد

الأمير بيوولفالعظيم.الملك ثوركيلنيابة عن شعبنا يطلب العون والمدد منك سيديلصد خطر داهم جاء ليخرب الديار ويقتل الرجال ويسبي النساء ويتخذ أوطاننا مرتعاً له".

وبشكل بديهي سأله أحدهم"وما هذا الخطر الداهم؟ - أهو وحش من الأساطير! - أم بشري جاء طامعاً!".

فاستطرد الرسول وأجابه: "مازال خطر قاتل إخوته قائماً يا سيدي ويزداد شراسة ووحشية في كل مرة يأتي فيها غازياً، وهذه الكرّة غير كل مرة؛ جاء بجيش جرار ليغزو به أوروبا بأكملها بداية من المملكة الملعونة".

فساد الصمت بالقاعة، يتساءلون في أذهانهم "كيف لثوركيل أن يطلب المدد رغم وجوده هناك لهذه المهمة". وطال الصمت حين طال تفكير بيوولف أيساعد ثوركيل أم لا.فضميره يأبى أن يتغاضى عن استغاثة شعب، والمنطق أيضاً يرفض أن ترسل السويدجيشين إلى المملكة الملعونة في حين تبقى هي بلا جيش يحميها.فقام من اتكأتهالتي طالتوتقدم نحو الرسول

وأقامه ورفع عنقه وقال له "أبلغ سيدك ثوركيل وشعب مملكتكم أنيأت".

ففرح الرسول بقبول بيوولف الدعوة رغم ذهول من بالقاعة. فرح كون بطل لم يهزم قط والنصر حليفه دائماً سيساعد مملكتهم، فقال ممتناً له "شكراً لك سيدي الأمير، لم يشك الملك ثوركيل لحظة في قبولك دعوتها لنجدة شعب مملكتنا". وعلى الفور أرسل الرسول مساعداً له بالبشرى لثوركيل فيما بقيه ليرشد المدد إلى الطريق الآمن.

وبعضهم مازال فاغراً فاه، متسائلين "كيف ترسل السويد كامل رجالها مرتين لحماية مملكة أخرى؟! وكيف لبيوولف وهو على وشك أن ينصب عليها ملكاً يغادرها؟".

وفي نفس الليلة مات روسغاردونما حزن من بيوولف عليه، فمرضه الذي طال وعزلته بخيمة المرض جعلته أمراً بسيطاً لم ينزعج له أحد، فأمر بيوولف بالتجهيز لمراسم الحرق التي تستغرق أياماً عدة وأجل سفرها إلى المملكة الملعونة لحين

إتمامها، وبالطبع سيعطي هذا التأخير افضلية لقاتل إخوته للتقدم بجيشه.

أما هيثولف فيستسيغ الأحداث. فالقدر جاء ليبعد بيوولف عنه دون أي عناء أو مواجهة، وجاءت له المملكة على نفس الطبق المذهب الذي يفتن الغافلين.

وثمة هناك دائماً من يراقب عن كثب ولا يرضى بحكم القدر الذيجاء قاسياً جداً هذه المرة؛ فاخترى ويجليو فبنفسه حيث اتخذ لنفسه مكاناً على الشاطئ لبحث عن حيلة يُعيد بها الأوضاع المعقدة (التي وضع بيوولف نفسه فيها) إلى نصابها من جديد، وقال لنفسه "الآن بيوولف متورط في سد دين أبيه الذي أصبح في عداد الموتى، وهيثولف هو الأقرب للعرش. معادلة صعبة، وهذا العنيد بيوولف يزيد لها صعوبة، لا يفعل الأشياء إلا بالطريقة الشاقة والخيار الأصعب، ويجد في ذلك سبيلها للنجاح والمجد". هكذا يفكر ويجليو؛ يضع يده على المعضلة ثم يبحث لها عن الحل، والمعضلة هنا هو بيوولف نفسه، فأقناعه ليس سهلاً. وليس هناك مخرج أو حيلة، فقط

فرصة أخيرة جاء تبخاطره لعلها تنجح. فانطلق إلى قاعة الاحتفال سريعاً حيث بيوولف هناك وهمس له في أذنه وقال له "ألا يجب عليك استشارة (الأم)، هذه عقيدة قومك ويجب ألا تتعدها حتى لا تغضب علينا الآلهة. الآلهة وحدها هي التي تقرر المصائر بيوولف، والأم هي رسول الآلهة، ينطقون على لسانها، ويجب أن تسمع رأيهم في ذلك الأمر الهام".

فنظر له بيوولف فياقتناع تام بما قاله، ثم أجابه "إذاً أعلن الأمر فوراً وأسر عفي طلب حضور (الأم)".

فقام ويجليوف مُعلنًا أمام الجميع بصوته الأجلج "أيها القوم أمر الأمير بيوولف باستشارة (الأم إيلا) لنعرف رأي الآلهة في مغادرة مقاتلي الجيتس السويد، وتركها بلا جيش يحميها للمرة الثانية، فهذا قرار لا يمكن أن نتخذه منفردين دون الآلهة".

وبعد لحظات قليلة أحضر ويجليوف (الأم) ودخل بجوارها، فلما التفت المرأة العجوز معمرة منذ زمن وولفار ومعها مساعدتها الفتاة الشابة التي ستحمل الرسالة من بعدها (رسالة

الآلهة الوثنية)، تحمل لها سُرّة بها بعض العظام التي تعلم من خلالها أخبار الآلهة بعد نثرها بالتراب عدة مرات .. وعندما دخلت القاعة أزاحت أيديوجليوف التي كانت تتكى عليها ثم تقدمت نحو بيوولفي غموضوهي تُحدّق فيملاح وجهه، وهو يحدّق بها كذلك بتلك الملاح الحادة المعروفة عنه، حتى اقتربت منه وأخذت تدور حوله تتفحص عضلات راعيها المشدودة وتمرر يدها التيملاًها الزمان بالشقوق عليها، وأخذت تقول له بصوت فحيح العرافات "بيوولف الرضيع دائم الصراخ والغضب، ألم تكفي تكف بعد؟" - ثم استرسلت في الحديث والقوم واقفون بأعين بارقة وآذان صاغية، وقالت "إلى متى ستظل في ضلالك أيها الملك". هنا أصابت القشعريرة جلد هيثولف ودبت البرودة في عظامه لسماعه تلقب بيوولف بالملك. ثم استرسلت تلك الجمل المبهمة دون مقاطعة أحد لها قائلة "قاتل إخوته هو أقل مشاكلك، فهو ابن من أبناء الشيطان المنتشرين في بقاع الأرض، أما إبليسهم الأعظم؛ فهو قدرك وأنت قدره" ثم صمتت.

فسألها ويجليوف "فهل من شيء آخر؟".

فجلست على الأرض وتناولت سُرتها من جاريته ونثرت تلك العظام على التراب بطريقتها المميزة لتبحث فيها عن طلسمات روحانية لا يمكن أن تراها إلا من خلال ذاك الطقسالوثني، ثم قالت بأسلوب الساحرات "أرى بشريا مثلك بيوولف لا يخشى شيء شيناً، يقبعبيبيبيداولكن حجمه يزداد ونفوذه يتسع، أنت أمامه كطفل. أتمنى أن تصمد أمامه حين تُساق إليه أيها اليافع".

فقاطعها بيوولف بغضب معتاد وقال "ومن هذا؟ أياً من كان! أنا لا أخشى مواجهته".

فقالت "لا بيوولف، هو ليس كما تعتقد، هو مثلك تماماً لا يخشى المواجهة، ولكن الفرق بينكما أنه يعرف سيده جيداً ولا يعصاه".

— ومن سيده هذا؟ — فأنا ليس لي سيد، أنا السيد".

فلم تعرّها لأماهتماماً ولا لحديثه الغاضب، ثم جمعت تلك العظام في ذاك المنديل وقامت بمساعدة جاريتهاوزحفت بقدميها الشائخة نحو الباب مباشرة، ثم التفتت له قبل أن تتخطى عتبة وقالت "ستقابل سيده يوماً ما، كما سنمثل أمامه جميعاً رغماً عنا، وإلى أن يحين هذا اليوم اخش على نفسك من نفسك بيوولف ولا تُكابر"، فغادرت القاعة بنفس الغموض الذي جاءت به وقد عم الصمت القاعة، فهمس بيوولف ليجليوف قائلاً:

— لقد زادت من حيرتك أليس كذلك؟

فأجابه ويجليوف:

— ولكنها لقبتك بالملك كما سمعت، هذا هو المهم، إذاً سنمكث.

— ألم تسمع أيضاً أنها قالت إن قاتل إخوته أقل مشاكل، إذاً هناك مواجهة حتمية معه وسأنتصر بها، يعني سنغادر.

— أنت دائماً ميال للمواجهة أيها المغامر، وأعلم أنيلن أستطيع تغيير قناعتك. فمتى تريد المغادرة؟

- بعد مراسم الحرق لأبيوتنصيب هيثولف ملكاً سنغادر مع الرسول إلى المملكة الملعونة.

- ولكن التأخير سيعطي أفضلية لإنفارت الذييتقدم الآن لمحاصرة المملكة !!

- ستعيب علينا القبائل إن غادرنا قبل المراسيم، وستلاحقنا اللعنات. الانتظار حتميويجليوف.

فقام بيوولف وصرخ بحماسفي المقاتلين الحاضرينبالقاعة ليخاطب غريزتهم في القتال وقال "لقد قررت أنا بيوولف ابن وولفغار قائد مقاتلي الجيتس نجدة الملك ثوركيل وشعب المملكة الملعونة من غزو قاتل إخوته". فقرر أن يعمل بنصيحة أبيه بأن يكون ابن وولفغار، قوي مثله وحذر ومنتبه، يصنع لنفسه أمجاداً حقيقية وليست زائفة. وهذا ما فعله وقد نحى اسم أبيه ونسب نفسه لجده مباشرة ..فقام ويجليوف وبايعة قائلاً: "وأنا ويجليوفابن كروزر، قررت الذهاب مع قائدلينجدة هذا الشعب البائس من لعنته". ثم توالى المقاتلون واحداً تلو

الآخر بالمبايعة وذكروا أسماءهم لتخليدها بذاكرة الأمجاد وهم يتزاحمون على القاعة لنصرة شعب بئس، إلى أن وصل العدد إلى أربعمائة، وهو المرجو للذهاب في حراسة الآلهة.

يحترمون طقوسهم الوثنية، وبرغم أنها قمة الجاهلية والانحلال، إلا أنها تحظى بقمة الانضباط، لا يتعدون حدودها، ولا يخالفون رأي آلهتهم، ومن يتعداها يأثم، وليس له عقاب إلا القتل بإحدى الطرق الكثيرة التي يجعلونها عقاباً لكل ذنب.

وتمر الأيام العشرة يوماً بعد آخر نحو مراسيم الحرق والتنصيب (حرق الملك الراحل، وتنصيب الملك الجديد) واقترب معها يوم ذهاب الأربعمائة محارب صوب المملكة ملعونة. وفي الأثناء تجهز المحاربون بالعدة والعتاد وودعوا نساءهم كما في أعرافهم العابقة بالجنس والنبيذ، وقاموا بارتياح الآلهة بساحة القرابين لنحر بعض الذبائح لها لتباركهم أثناء القتال، وأخذوا يتباهون أمام العامة في تلك الأيام كونهم الأبطال المختارين.

وبعد ليلة مليئة بالمشاعر حُرق الملك على متن قاربها الملكي الفاخر مع أجمل جواريه التي حُرقت حية بقهرهم الوثني وطقوسهم الجاهلية، ودوناً إنسانية أو احترام لحق الحياة، حرقوها معه وكأنه ربها الذي يمتلك روحها حياً وميتاً.

وفي نهار اليوم التالي أقاموا مراسم التنصيب لهيثولف. فانتظره بيوولف حتى وُضعت التاج الملكي على رأسه وجلس على عرشه ثم أخذ جيشه وغادر. فتخلف عنه ويجليوف قليلاً، ووقف بوسط القاعة يتأمل العرش الملكي الضائع، وليس لأنه يقف وسط أتباع هيثولف وهم يهللون له ويرمون بعضهم بأكوام النبذ أنه يشعر بهم، كل شيء بطيء أمام عينه كأنه لا يحدث، وكأنه شبح لا يراهم ولا يرونه. وقف بتعال أمام العرش ينظر له بطرف عينه نظرة كالسهم انطلقت من منصة كتفه الأيمن اخترقت كل هذه الأكواب المتطايرة إلى العرش ثم قال في نفسه "سنعود لك يوماً ما ملوكاً" ثم غادر القاعة وامتطى فرسه إلى الشاطئ.. عندهو يأبى قرار القدر، لكنه مثابر لا يستسلم أبداً، ودائماً لديه عودة.

وصل بيوولفشاطى جزيرة (أولند) الذي ترسو عليه سفنهم الحربية ليستقلها مع رجالهنحو المملكة الملعوننة بكل تصميم،ليريهم ما يمكنه أن يفعللتحديد مصير المنطقة الأسكندنافية، وتخليصها من أنياب الطاغية (قاتل إخوته). وقد احتشد العامة هناك ليودعوه، للمرة الأولى التي يغادر فيها السويد ويتركهم.

وبعد رحلة بحرية شاقة يضربهم الموج ويقاوموه، ويعيقهم تارة وتارة يخترقوه؛ وصلوا بثلاثين سفينة إلى الشاطى الأمالذي دلهم عليه الرسول. منطقة بعيدة عن أعين حصار النرويجيون الذين قد وصلوا وحاصروا الشاطى أثناء انتظار بيوولف مراسيم الحرق والتنصيب .. وعندما علم ثوركيل بوصولهمخرج لاستقبالهم على أعتاب قصره المتواضع احتفاء بهم، فالتواضع لهم قرار ليسله بديل رغم ثقله عليه، فقد اكتسب مؤخراً بعض السياسة لتحقيق ما يريد، وأصبح التلون والتظاهر من أدواتهكسياسيله أطماع .. فتح له ذراعيه ليحتضنه، فتباطأ بيوولف، فتقدم له ثوركيل واحتضنه بقوة

قائلاً "بيوولف أيها البطل، مرحباً بك في مملكتي، علمت أنك لن تخذلني وستلبي الدعوة، هذه شيم الأبطال، وأنت كذلك. لقد مر وقت طويل على آخر لقاء بيننا منذ كنا نتبارى بالخليج. من السرور نجاتك ورؤيتك مرة أخرى أيها البطل، سأدعك الآن تستريح لكي نستمع لقصة نجاتك من وحوش البحر ليلاً بقاعة الاحتفال التي شيدتها هنا بمملكتي".

فذهب بيوولف ورجاله لقاعات الضيوف ليرتاحوا بها من عناء البحر، ثم أرسل لهم الملك ليلاً للحضور بقاعة الاحتفال التي أنشأها بالمملكة على غرار قاعة الاحتفال الشهيرة بالسويد.. غيرة مَرَضِيَّة أصابته منذ زمن، كان يرى الملوك ويحلم أنه هناك على عرش ما مثلهم، يصنع ما يصنعون، ويمشي كما يمشون ويتكلم مثلما يتكلمون. يتعالى مثلهم. يبطش بمن يريد وقتما يريد، ويرحم أحدهم أحياناً ليرى في نفسه إلهاً يمتلك الثواب والعقاب.وها قد أنشأ القاعة كووولفغار. لكنه المرض في أشده ليس إلا ..وقد دعاهم ليحتفل بهم على طريقتهم. فرحب بهم مرة أخرى أمام الجميع وأجلسهم أمامه

وقدم لهم الشراب المميز الذي تشتهر به المملكة، ثم طلب من بيوولف قص حكاية نجاته من وحوش البحر، مستطرداً حديثه "...فجميع يتوق لسماعها منك أيها البطل، لقد وصلتنا روايات كثيرة، وأنت وحدك تعرف الحقيقة".

فحكى لهم بيوولف قصته ولم يزد عليها كذباً كأبيه، واستفد ثوركيل العجوز عندما قال في نهاية قصته "...هكذا أنقذتني آلهة وهكذا فُزت بالمنافسة، ولكن بلا شاهد". فما زال يكنّ لثوركيل بعض الضغينة منذ أن علم أنه أصر على تكملة السباق رغم ضياعه في العاصفة.

فغضب ثوركيل لكنه اصطنع الهدوء وتكلم كملك بثقة وكبرياء زائفين:

– لقد تحقق حلمك يا بُني وحلم أبيك في قيادتك للجيتس، كما تحقق حلمي كذلك في قيادتها. أما أنا فأصبحت ملكاً، فانتظر دورك في الملك مغلق الفم دون ثرثرة.

فأجابه بيوولف بغضب نابع من داخله ظاهراً في نبرته:

- أتعلم أيها الملك! كنت على وشك التتويج ملكاً على السويد،
لولا دعوتك.

تقصد أنني مدين لك؟ ههههه لا، تعلم أنني سدت دين أبيك عنه،
وعنك في غيابك، وجئت إلى هذا المنفى كي يحتفظ بمُلك
السويد كما هو. نحن متعادلان الآن.

فصمت بيوولفيكتم غيظه وهو ينظر لثوركيلبطرف عينه التي
تفوق في حدتها عيون الذئب، وعندما شعر ثوركيل بغيظه
تبع حديثه بضحكات ساخرة واستطرد:

- هههههه أنت كما تركتك أيها البطل، لم تتغير، ستظل حاد
الطباع وساخطاً من الواقع. انظر حولك ولا تُكابرو تقبل
الأمرو تعامل معه بلطف، وانتظر حتى تتح لك فرصة ملائمة،
أنصحك لا تهدرها حين تأتي إليك، أما الآن فأنت هنا لسد دين
أبيكلي.

فقاطعه بيوولف متهكماً ..

- علمت أنك سبحت في بحر من الدماء ثوركيل، كي تفوز وتحقق حلمك وهدفك، هل هذه هي الفرصة الملائمة التي عنها تحدث! فلو أُتيحت لي مثل هذه الفرصة الدنيئة لترفعت عنها كي لا أحقق حلمي على دماء قومي ويصبح عاراً ليس الحلم أكثر أهمية من الطريق المؤدي إليه، فلا بد وأن يكون الطريق أكثر طهراً ونقاءً ولي غارقاً بالدماء.

فضحك ثوركيل وقام بالتصفيق ساخراً من بيولف وقال له:

هاهاههه لن تفلح معي هذه الحيلة أيها الولد، ولن تؤثر كلماتك علي، فسبق وقد فعل أبوك معي ولم ينجح.

- عرشك ملعون ثوركيل، وقد جئت لأزيل اللعنة عنه. وسأنتصر على قاتل إخوتك ولكن ليس من أجلك، بل من أجل البشرية التي تقف مكتوفة الأيدي معصوبة العينين لا ترى إلا الظلام. أرسلتني لآلهة لأتخلص من قاتل إخوتك لأبد، هكذا قالت لي (الأم) وبهذا بشرتني وكذلك أصنع مجدي.

عرشي الملعون هذا كما تدعي مهدد الآن وعلى وشك السقوط، وأنت جئت لتحميننا. كم معك من المحاربين لهذا؟ - أربعمائة أليس كذلك! عندما أتيت إلى هنا عوضاً عن أبيكجئت ومعى ألف مقاتل لنجدة إكلوف. أربأناك لا تقوى على قيادة جيش حقيقياًها الولد.

فاغتاط بيوولف فقام وقفز على المنصة، ثم اعتلى بقدميه العرش والتفت للناس وهم متعجبون من تلك الجرأة. وأخذ يخطب فيهم وفي الملكالذي يقفحذاء حذائهمقال:

- أربعمائة محارب هم قلة، ولكنهم ليسوا بقلة إن كانوا واثقين ومصممين، واثقين من قدرتهم على مواجهة هذا الشر الجم ومصممين على النصر. أربعمائةمحارب فقط تحت قيادة بطل فذ له مبادئ سامية في المواجهة هم ليسوا بقلة، هم كثرة بقائدهم وثقتهموتصميمهم.والجيش الحقيقي هو من يقوده بطل حقيقي، له أمجاد حقيقية وليست مزعومة.

فأخذ ثوركيل يصفقٌ مستهزئاً ومستهتراً بخطبته وأدار له ظهره وقال له: "حقاً حقاً بيوولف، دعك من خطبك الرنانة الآن. وانزل عن عرشي وقل لي، ماذا بشأن الحصار؟ فجيئسيخوض معارك بأسلة على الحدود الآنلوقف هذا الاحتلال، فهل لديك خطة بشأنه؟

فنزل بيوولف عن العرش وتقدم نحو رجاله ليقف في وسطهم وجلس الملك على عرشه الذي ارتسم عليه غبار حذاء بيوولف، وتحدثا معاً عن قوام جيش قاتل إخوته الذي يتألف من ثلاثمائة سفينة من السفن الإفرنجية العالية تحمل نحو سبعة آلاف مقاتل، مقابل مائة سفينة فقط لهم وقد تحطم بعضها في مواجهات سابقة بالإضافة إلى السفن الثلاثين لبيوولف .. وأخذوا يقترحون خططا لمواجهة هذا الأسطول الضخم. فهي المرة الأولى التي يهاجم فيها قاتل إخوته بهذا الكم من السفن وكأنه حصد كل ما لديه لهذه الحرب.

فأخذ بيوولف يفكر ولم يهدر فرصة المشهد المقلوب كونهم العدد الأقل، ومحاصرين داخل مملكة ملعونة. فكما أن الحرب

فناء مع احتمالية النصر،التخاذل فناء مطلق،ولا بديل عن الحرب والمواجهة كأمل،وهو يعشق المواجهة.فالمشهد ليس مقلوباً، بل هو المعتاد والمعروف عن تصارع الحق مع الباطل، فاستخدم غريزة البقاء عند الدنماركيين وثوركيل لجعل قوى الصراع متوازنة عند المواجهة.فشرد قليلاً وأخذ يفكر في ما قاله ثوركيل عن قاتل إخوته "أنه حصد ما لديه"، ثم صعد على المنصة مجدداً وانخفض على أذنهوهمس لهليدور بينهما حوار خافت لا يسمعه أحد غيرهما.

فسأله بيوولف:

— من يقود جيش قاتل إخوته؟

فأجابه:

— إنه نورمان قائد جيوشه.

— وقاتل إخوته أين هو من هذا الحصار؟

— هو لا يغادر قصره عندما يكون في حالة حرب، ليكون بمأمن تحسباً إذا ما انكسر جيشه.

فنظر بيوولف لويجليوف وشرد بخاطر هقليلاً ثم قال له "اتبعنى ويجليوف أريدك معي". وخرجا معاً من القاعة وذهبا بعيداً عن أعين القوم على ضفاف بحيرة (أريسو) الشهيرة، تلك التي ألقى فيها قاتل إخوته رأس أخويه منذ زمن. وقد ساقهما القدر إليها حيث نفس المكان الشاهد على الجريمة سيشهد العقاب، ومازالت رأساهما قابعتين بالأسفل تحمل أذنين، ليسمع بها القدر وينتقم بالنيابة عنهما. فسأله ويجليوف "ما الأمر؟".

فأجابه بيوولف بعد صمت طال فيتأمل وجهه المرتسم على صفحة الماء، تنعكس نظرتة من الماء إلى السماء عبر وجهه المرتسم كحلم جميل ثم قال "ماذا ترى أيها الصديق في هذا الموقف السيء؟".

فأجابه:

أرى أن وراء سؤالك هذا خطة مجنونة تريد أن تنتحر بها، وتحتاج دافعاً. قل ما عندك أيها المجنون المجازف.

هو ليس انتحار ويجليوف، إن هذا القاتل لأخويه مجنون،
ولابد من خطة مجنونة أيضاً كينستطيع التغلب عليه.سنعود
للسويد مرة أخرى، تلكهي الخطة كاملة.
وماذا عن ثوركيل؟ .

سأطلبه لمقابلة سرية بيني وبينه في الصباح قبل المغادرة
لأطلعاه على الأمر وسيتفهم.

فجمع ويجليوف المحاربين بعد شروق الشمس الشحيحة بالشمال
لصباح يومهم الثاني بالمملكة الملعوننة ليقوموا بتحضير السفن
للمغادرة، فتعجبوا من القرار المفاجئ بالرحيل ولم يبرح أحد منهم
مكانه. فلم يكن من سماتهم الهروب من القتال، ولا سيما بيوولف
قائدهم. فصرخ فيهم ويجليوف وقال لهم بصوته الأجش "سنغادر
هذا النهار إلى السويد، هذه تعليمات الأمير بيوولف".

فاستأؤوا لما سموه تجابنا، فهي المهنة الوحيدة التي يُجيدونها
بحرفية (الحرب)، وينتظروا فرصة لتحقيق أمجادهم من

خلالها أو الموت دونها كالأبطال، ويعوضونها وقت السلم بالصيد.

ووجليوف يقف وسط الرجال يحاول إقناعهم بضرورة المغادرة، والرجال تأبى، فعم الساحة ثرثرة وضجيج، ولم يلتفت لهم بيوولف ولميحرك لهذا ساكنا، حتى خرج الملك ثوركيل علنا إثر هذا الضجيج بعدما سمع تلك الثرثرة عن مغادرة الجيتس، فقلق كونه فعلها من قبل ليضغط على النبلاء ويحصل على مكاسب أكبر، فاتجه صوب بيوولف وسأله "أصحيح ما أسمع بيوولف؟".

فتقدم له بيوولف بخطوات بطيئة مترددة تكفي لأن تكون جوابا عن سؤاله، وأجابه "نعم صحيح. أريد أن أتحدث معك أيها الملك بهذا الشأن، أسمحلي؟".

فاختلى ثوركيل ببيوولف في غرفته الخاصة لبعض الوقت يتحدثان، ثم خرجا من الغرفة وقد ارتفعت الشمس في كبد السماء يد ثوركيل على كتف بيوولف كصديقين حميمين، ليعلن

ثوركىل على الناس بالساحة برضا وقبول منه غير متوقع، بتصميم بيوولف على المغادرة، مبرراً لهم "تخلى بيوولف عن الحرب لأنه لن يستطيع أن يواجه جيشاً جراراً بأربعمائة مقاتل غير مستعدين، وسبب مغادرته السريعة هو أن جيش قاتل إخوته علم بمشاركة الجيتس فى القتال، ولم يتوقع مغادرتهم بتلك السرعة، وهذا سيعطيهم الأمان وعدم الاشتباك أثناء مغادرة المملكة. فمن حق بيوولف الحفاظ على حياة رجاله، هذا قراره ولن يستطيع أحد إجباره على البقاء". الغريب أن ثوركيل لم يعنف بيوولف، ولم يستهزئ به ليقفل من شأنه أمام الناس كعادته السخيفة، بل اقتنع سريعاً وتعامل معه بلطف.

ثم اتجه بيوولف لويجليوف وقال له:

– اذهب واحصل على ملابس نرويجية تناسبك من أحد الأسرى لدى الملك.

فسأله ويجليوف "لما؟".

فأجابه:

— افعل ما أمرك به وحسب وستفهم لاحقاً.

وأخذ بيوولف أسطوله الصغير وغادر به المملكة. وابتعد عن الشاطئ الدنماركي وهو ينظر خلفه يتأمل أشعة ورايات قاتل إخوته تمتد على طول الساحل لشنحرب إبادة على شعب بائس كان هو أملهم. وظل يبتعد في أعينهم دون وداع، وابتعد معه أمل الانتصار على هذا الشر الأسود القادم كغيمة تحجب السماء والرجاء، التيبتلاشى بداخلها كل شيء كأن لم يكن. يفتقون بالشاطئ بائسين مكتوفياً لا يديفون انتظار هذا المحتوم الذي يتسلل إليهم مببطاً كلص محترف.

وجاء هو يجليو فوقف بجواره متمسكاً بالصاري، وسأله "ما بك أيها البطل؟". فسأله بيوولف بشكل فلسفي ولا ينتظر إجابة "متى ويجليو فينتهي الطواغيت وتكتسب الأرض حريتها الكاملة؟ فيتلاشى الجدار بين الحاكم والمحكوم؟".

سؤال لم يكن له إجابة عند ويجليو فظل لهصامتاً لفترة، يتأمل هو الآخر الأشعة على كثرتها تتحد وتجتمع للغزو والحرب

بالباطل والافتراء على شعب ضعيفلا يمتلك حيلة، سوى أن يموت بهدوء إما جوعاً بالحصار أو مقتولاً بالمقاومة، ثم أجاب على بيوولف بما يراه مناسباً لهذه التساؤلات وقال:

وأتظن نفسك بأرحم من الآلهة بيوولف!!.

فنظر له بيوولف بتعجب وقال له:

آلهة؟ أية آلهة! هل التي نعبدُها ونقدم لها القرابين تقصد، وهي لا تأبه لنا بالمرة ولا لهؤلاء المساكين!! .

فيما تشكك بيوولف؟! هذه آلهتنا وآلهة أجدادنا، أنت بطل الإله جيتس إله القوة، أنت البطل الأوحـد الذي انتصر على السديم برعاية الآلهة، أنسيت تلك الليلة؟!، أنت البطل الذي غاصت به وحوش البحر في الأعماق السحيقة المظلمة وأعادته الآلهة من رحم البحر المظلم إلى نور الشمس!!

كل هذه ادعاءات ندعيها ويجليوف لاحتياجنا لوجود إله نرجع إليه وقت الحاجة ونعلق عليه آمالنا. أرى الأمر الآن بشكل مختلف. الأمر ليس متعلقاً بالنجاة من السديم أو من أعماق

البحر، فأيا آلهة تقصد؟ نحن لنا آلهة، والفرنجان لهم إله، والروس كذلك يعبدون النار. أيا آلهة حق؟ وأيهم سينتصر على الآخرين إن تواجها معاً؟! .. أفكر فيما قالته الأم؛ أفكر في هذا السيد الذي سنمثل أمامه جميعاً يوماً ما.

— وإن كانت تعلم شيئاً بشأنه، فلماذا لم تخبرنا به؟!

— أعتقد لأنه لم يحن الوقت بعد لنعرف.

وصمتا ولم يجيبا عن تساؤلاتهما، يعلمان أن التماذي فيها ربما تغوص بهما في أعماق سحيقة كالتي غرق فيها بيوولف من قبلولن يستطيعا الخلاص منها وحدهما، وربما يحتاجون وقتها إلى ذاك الإله الحق ليمنحهم الخلاص.

ووصلوا إلى شاطئ جزيرة (أولند) التي قد انطلقوا منها أول مرة، في ترحاب من أهلهم وذويهم متعجب أن عادوا بتلك السرعة .. وفي اليوم التالي مباشرةً وبيوولف يشرح لهم سبب عودتهم السريعة بقاعة احتفالاتهم؛ اقتحم عليهم ويجليو فالقاعة حيث بيوولف جالس في حضور الملك الجديد هيثولف وبين رجاله

وأتباعه؛ وبصوت مرتفع يسمعه الجميع نادويجليوف"بيوولف، بيوولف، هناك وفد من القبائل الحدودية القريبة من النرويج جاء يشتكي وحوش الشمال العملاقة، تهاجمهم وتخطف أبناءهم ونساءهم، ويقولون أن الوحش (جريندال) قد ظهر مجدداً يدمر البيوت ويسفك الدماء. وعندما سمعوا بوصولك لم يترددوا في الغوث بك أيها البطل".

وبصوت مرتفع وكأنه يعتمد ذلك وبحركات تمثيلية بعض الشيء؛ وقف بيوولف ليُجيبه قائلاً "أخبرهم أن بيوولف لن يتوانعن نجدتهم كما هم لم يترددوا في الغوث به مرة أخرى، غداً نهاراً سنخوض أعماق هذه الأدغال لاصطياد هذا المسخ (جريندال) ولن نعود هذه المرة إلا برأسه. قل لهم إننا قادمون من أجلهم".

فنادى بيوولف في رجاله بقوة الأبطال "أيها الشماليون، هذا العملاق جريندال يتحدانا - يتحدى الجيتس، وأنا قبلت التحدي، من منكم معيلنأتي برأسه؟ أحتاج لثلاثة عشر بطلاً بعدد أشهر

السنة القمرية كي تباركنا الآلهة أثناء السير ليلاً بهذه الأحرار
الخطرة".

فصاح ويجليوف بصوته الخشنا لأجش "قبلت التحدي معك أيها
الأمير بيوولف".

ثم تبعه آخر وأعلن عن نفسه وقال "أنا الفارس ثور حامل
المطرقة الفارس الثالث". ثم قام آخر وقال "أنا هالر الصخرة
البطل الرابع". ثم خامس وقال "أنا رافنبيرد الطائر المحارب
الخامس". ثم سادس قام ليخلد اسمه فنادى به وقال "أنا بيورن
الدب صاحب الفأس الفارس السادس". وتلاه آخر "أنا الفارس
هيلمار المحارب السابع". ثم آخر وقال "أنا المحارب الثامن
برينجار حامل الدرع". ثم تبعه المحارب التاسع قام وأعلن
عن نفسه وقال "أنا هارجر". ثم أخوهالتوأم تبعه وقال "أنا
سكيلد الفارس العاشر". ثم الحادي عشر قام وقال "أنا سيفار
المنتصر". ثم قام طاعن من أبطال معركة القراصنة وكان مع
الأربعمئة الذين ذهبوا مع بيوولف للدنمارك وقال "أنا الفارس
راغنار لوثبروك، الفارس الثاني عشر، سأخوض مع سيدي

بيوولف الأدغال من أجل رأس جريندال، لعلها آخر الأمجاد التي أخذ بها ذكرى " فهمس ويجليوف لبيوولف وقال له "جيد جداً أن يصاحبنا راغنار فالجميع يخشى السديم وخاصة إن كانوا سيخوضوه من أجل هذا الشيطان المسخ (جريندال) وهذا البطل سيمنحهم الطمأنينة أثناء الرحلة، طالما تغنى أبوك بأمجاده في الملاحم السابقة وكان يقول أنه في المعركة بمائة رجل". فصاح ويجليوف باسمه ليخلده بذاكرة الحضور ويشعرهم بالثقة، فصاح الرجال خلفه فرحاً كون هذا البطل سينضم إليهم.

وكان المحارب الثالث عشر من اختيار الأم أيل التي استدعوها كي تضع به قوة سحرية تجعل نصرهم حتمياً رغم استحالاته . فهذه الرحلة ليست كمثيالاتها التي يذهبون إليها أول النهار ويعودوا آخره، هي أكثر مشقة ومجازفة، ويتحتم عليهم التوغل في العديد من الغابات المتتالية واجتياز الكثير من الأنهار السريعة التي تستغرق منهم شهراً كاملاً حتى بلوغ هذه المنطقة الموحشة عند الحد الجنوبي للنرويج، والتي لم

يجرى أحد على اجتيازها والخوض فيها من قبل، حيث يقبع الوحش جريندال والكثير من الوحوش والمسوخ والشياطين.

ومع إشراف جديدة كان بيوولف أولهم حضوراً واستعداداً وحماساً كعاداته التي لم تتغير. فحملوا كامل عدة صيدهم من أجل هذا الوحش العملاق ووحوش السديم التي تقطع الطريق إليه وحملوا أمتعتهم التي تكفيهم لهذه الرحلة الطويلة والتي ستستغرق شهراً كاملاً ثم انطلقوا صوب هدفهم (جريندال العملاق) سيد الوحوش، عملاق أحد القردة الضخمة التي تسكن الغابات (الغوريلا)، ولكنه يحمل عند الشمالين معاني الشر.

بالكاد ستمر عليهم أيام صعبة وليال أصعب، مروراً بهذه الأدغال حتى يصلوا إلى موقعه. وبالكاد سيخوضون الكثير من المعارك لم يكونوا يتمنون خوضها يوماً ما من أجل الحصول عليه. ولكن حب المجد دائماً هو الذي يقودهم للمخاطرة، وهذا الذئب البشري بيوولف، كونه قائداً مختلفاً وبطلاً شجاعاً له نظرة مختلفة في التعامل مع الأمور، يختار

الطريق الصعب ويخوضه بالطريقة الأصعب لبلوغ الهدف،
لكنه بهذا ينجح في الوصول كل مرة ويكون بالمقدمة.

وبدأت الرحلة انطلاقاً من مركز قريتهم الملكية بوداع
ومباركات نسائهم وأطفالهم؛ أحضان طويلة، وقبلات ساخنة،
ودموع فراق، حتى نادى فيهم ويجليوف بضرورة الذهاب
وقال لهم "هلموا"، فامتثل له الرجال على الفور وتباطأ
راغانر قليلاً ليحظى بحضن إضافي، فعاد إليه ويجليوف
وربت على كتفه وقال له "هيا أيها البطل فبدونك لن نغادر"
فنظر له راغانر بعينين مملوءتين الشوق وقال له "لا تبخل علي
بهذه اللحظات بُني، فهيتعني لي الكثير" فتراجع ويجليوف
خطوات وانتظره، فاحتضن راغانر زوجته برهة وهمس لها
قائلاً "لا تنتظريني حبيبتي، لعلها آخر الأمجاد، وهي خير لي
من خيمة العزلة. عندما يعودون برأس جريندال من دوني؛
اعلمي أنني ضحيت من أجلك، من أجلكم جميعاً. هكذا نحن
الشماليون نستسيغ التضحية من أجل المجد، فلا تحزني،
وخلدي ذكري وقولي راغانر مات كالأبطال وهو يصارع

جريندال العملاق"، فبكت، فشد عليها ذراعيه وجثا بها وأخذها
بيكيان حتى أتاه ويجليوف وأقامه على قدميه وقال له "هذا
يكفي".. وامتطى كل واحداً فيهم فرسه يتقدمهم بيوولف
وويجليوف، وبالمؤخرة راغنار يحمي ظهورهم كما يحب أن
يكون دائماً، وأخذوا يتوغلون بالغابة الأولى والأكثر أماناً، ثم
الواحدة تلو الأخرى، ويعبرون النهر تلو النهر في أسبوعهم الأول.
يسIRON بالنهار ويرتاحون بالليل، ويشعلون ناراً في وسطهم
للتدفئة، وأخرى حولهم لطرد الوحوش الليلية، حتى وصل بهم
التوغل إلى مناطق وعرة صعبة المجاز، ولكنهما اجتازوها
ببعض الإرشادات والتعاون. ومنها إلى نهر واسع شديد
الانحدار سريع الجريان وصلوا إليه ليلاً، فكان من الخطورة
اجتيازه في الظلام. فباتوا هناك على ضفافه ليلتهم ليتسنى لهم
اجتيازه بالنهار. وبينما هم جالسون سمعوا دبيب أقدام موصوتاما
يشبه الصهيل وسط الأشجار على الجانب الآخر من
النهر؛ فزاد من توترهم وحذرهم وأخذوا يتأهبون، فقال لهم
ويجليوف ليطمئنهم "ربما خيل برية، أو أحد الثيران التائهة

من القطيع، عموماً هو بالجانب الآخر ونستطيع النوم ها هنا بأمان" فأجابه أحدهم بأعين زائغة وقال "ربما!!".

فناموا ليلتهم بعمق من فرط مشقة الرحلة، ولكنه راغنا وحده بقي مستيقظاً؛ يستدعي ألطف ذكريات حياته ويسردها لنفسه بصوت خافت على ضفاف النهر ويبتسم له وكأنه يحدثه، إلى أن أشرق الصباح.

وانشقت أعينهم في الصباح على أول شعاع شحيح لشمس الشروق، قُرْمَزي، يدعو للتفاؤل والابتسام والنشاط، والأفكار النقية؛ يتسلل من بين أوراق الأشجار المتنوعة ما بين الصغر والضخامة إلى أن تلامس سجادة الطبيعة الخضراء الممتدة امتداد البصر فأضاءت وحيث وزهيت وغردت، وكذلك هم كونهم أصبحوا جزءاً منها، وأخذت الأفكار تتلاحق لعبور النهر إلى الجهة الأخرى؛

فقال المحارب الثالث عشر "ماذا لو أطلقنا سهماً مربوط بنهاية طرفه حبلًا بالجانب الآخر من النهر نحو شجرة قوية، ثم نربط

طرف الحبل من جهتنا بشجرة ونعبر خلاله؟". فأعجبت الفكرة ويجليوف فقام وفعلها على الفور كونه راميا جيدا، ونجحت الفكرة وأصاب السهم شجرة قوية. ولكن ما زال الحبل ضعيفاً من جهة السهم.

فاشار إليهم المحارب الثالث عشرو قال "ضروري أنيعبر أخفنا وزناً أولاً، كي يحافظ وزنه على الحبل دون أن ينفلت، ليحكم ربط الحبلويعبر البقية بأمان"، ثم أردف قائلاً "هي مخاطرة أعرف، ولكن أرجو أن يتفهم المختار فهو ليس أمرا شخصيا".

فاتجهت أنظار المحاربين كلهمإليه، وأخذوا يحدقون به. فصمت وتعرق ولم يفهم ما الخطأ فيما قال، فاستطرد تنساقط الكلمات من فيهوقال لهم "كما قلت لكم هو ليس أمر شخصي، أياً منا ممكن أن يكون الأخف وزناً، أحلف بالآلهة أنا لست أعلم من هو".

فقال له ويجليوف "نعلم أنك صادق وأنهلـيس أمرا شخصيا، وذلك لأنك أنت هو". فنظر لنفسه يتأكد من صحة كلام ويجليوف وأخذ يحدق بأجسامهم واحداً تلو الآخر يقارن جسده بأجسامهم بحسرة كلما نظر لأحدهم، وعندما انتهى قال لهم باستسلام "ما لكم تقفون أمامي هكذا!، أفسحوا لي الطريق".

وأخذ يستعد ويُحـمي عضلات قدمه وذراعيه ببعض القفزات والتصفيق بحمية ثم تعلق بالـحبل وأخذ يخطو خطواته الأولى عبر النهر والصخور المدببة التي تملأ مجراه (مُهمة قريبة من الفشل ولكن قُدر لها النجاح). ووصل سالماً للجانب الآخر ببعض جروح بسيطة فيقدمه بفعل إنزاله عن الصخور، ومن ثم أحكم ربط الحبل بالشجرة ليعبروا من خلاله واحداً تلو الآخر بكل رواكـبهم وأمتعتهم.

وبينما هم يعبرون واحداً تلو آخر تساقطت قطرات ندى وتشكل بعض ضباب فلم يبالوا واستمروا في العبور. فأمرت السماء واشتدت الريح إلى حد اقتلاع الأشجار الضعيفة من جذورها

وأخذ النهر يتسارع ويجرف كل ما هو أمامه بعنف، فقال
ويجليوف "أرى أن ننتظر حتى يعتدل الجو أيها الزعيم".

فقال له بيوولف:

- لا، لابد وأن نستمر في العبور، النهار قصير وليس من
الجيد انقسامنا هكذا على جانبيين النهر.كلتا الحالتينمجازفة،
والمجازفة بالتقدم خير منها بالانتظار .

فمرر بيوولف الرجال الباقين واحداً تلو آخر إلى أن بقي
هو وويجليوف وراغانار. فقال لهما بيوولف "راغانار أولاً ثم
أنت ويجليوف".والرياح تزداد عصفا وزمهيراً، والنهر
يزداد غضباً، والنهار أوشك على الانتهاء.

فقال لهما راغانار ..

- اسمع بيوولف، طالما كنت أسير بالمؤخرة لأحمي ظهوركم،
وسأبقى هكذا حتى النهاية.

فجذب ويجليوف بيوولف من يده ووضعه على الضفاف
في مواجهة الحبل وقال له "سنتقابل الجهة الأخرى أيها

البطل، مُر" ثم تركه وتراجع يتوارى من الرياح خلف شجرة قوية بجوار راغنار . فأخذ بيوولف يعبر النهر بكل أمتعته وفرسه يقاوم حتى وصل.

ويجليف وراغنار كانا يترقبان بيوولف وينتظران دورهما في العبور، فنظر راغنار لويجليف برهة إلى أن شعر به ويجليف فنظر له متعجباً وهو ينفخ في قبضتيه المتجمدتين ليستشعر بعض الدفء حتى قال له راغنار "شكراً لك".

فسأله ويجليف "على ماذا؟"

فأجابه راغنار:

– على اللحظات التي منحتها لي قبل المغادرة، كانت تعني لي الكثير. أتطلع إلى نهاية أمام جريندال تليق بي وبسجل أمجادي. لقد حاربت القراصنة مع وولفغار أكثر من مرة وانتصرنا بها كلها، حتى في المعركة النهائية كنت مع الجيتس، وكنت الفارس الثاني عشر أيضاً. لقد واجهت وحوشاً

كثيرة وذئابا ولم تترك موضعافي جسدي إلا وأصابته بمخالبتها
وانيابها، ولكنها لم تكن بحجم جريندال. وكنت أحتاج إلى هذه
اللحظات الدافئة لتهون الفراق الأبدي على الحبيب . إنما ما
أتسائل عنه ويجليوف: أنه لم يكن هناك وفد من قبائل الحدود
تشتكي جريندال، فلمن نحن ذاهبون؟

فنظر له ويجليوف وقال له "لقد أتى دورك في العبور،
هيا تقدم".

فقال له راغانار "ستكون أنت التالي بلا جدال، ولكن فقط
أخبرني".

ثم تمسك ويجليوف جيداً وقاوم، ومع سرعة المياه وشدة
ارتطامها بالصخور كاد يفقد حياته أثناء ذلك وسط المنحدرات
المائية والصخور المدببة والرياح القوية. واضطر أن يتخلى
عن بعض أمتعته غير المهمة وتركها تنجرف مع النهر لينجو
بنفسه وبفرسه الذي يعبر به، وأبقى على المهم من أغراضه،

وتلقاه الرجال على الجانب الآخر وشدوا على كتفه واحتفوا به. فمال بيولف علىأذنه وسأله:

– قل لي أنك لم تتخل عن أهم ما فيأغراضك؟

فابتسم له ويجليوف وقال له:

– وهل تشكأنى بهذا الغباء؟

فقال له:

– أحسنت.

وأخذوا يصيحون براغفار ليقفوا من عزيمته كونه بالجانب الآخر وحده .. وأثناء عبوره؛ علق بفرسه بقلب النهر الغاضب ولم يقوى على التقدم أو الصمود أمام هذه الرياح العاتية، ولم يسعه للنجاة بنفسه شيء سوى التخلي عن فرسهوتركهاتتجرف مع النهر بكل أمتعته. وحاول جاهداً التقدم خطوة بخطوة أملاً في الوصول إلى البر الآخر ولكن الصخور المدببة أعاقته وأصابته بجروح بالغة، وظل عالقاً مكانه، والرجال بالجانب الآخر يصيحون به ويدعونهم للتقدم. إلى أن اقتلعت الرياح

شجرة نبتت على الضفاف مائلة بدون جذور قوية تثبتها، ووجهتها نحوه بسرعة البرق. ولم يسعه شيء سوى النظر إليها بعين الاستسلام. هو يقترب منه وكأنه عمر كامليم.. هكذا تبدو لحظات النهاية؛ بطيئة، جميلة أيضاً. فتجسدت أمام زوجته وهي تمد ذراعها له لتحتضنه، فاستشعر ذاك الحزن الدافئ الذي حظي به دون الآخرين، وأخذ يبتسم لها بينما يقف بيوولف والرجال على الجانب الآخر من الضفاف مذهولين لما انتابه. وأخذ يمد إليها يده ليحتضنها كذلك، إلى أن اقتربت منه وكادت تلامسه فارتطمت به الشجرة وكسحته أمامها لئنهي معاناته ومعاناتهم وهم يشاهدون ذلك مكتوفي الأيدي للمرة الأولى لهم أمام غضب الطبيعة. فجن جنون ويجليوف وكاد يُلقي بنفسه في النهر لينقذه ولكنهم أمسكوا به ومنعوه، فاكتفى بأن جثا على ركبتيه بالضفاف وأخذ يردد "لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟".

للأسف لم تكن قوة البشر كافية يوماً ما لصد غضب الطبيعة، نحن بقلوبها وهي تحتوينا، فإن غضبت كنا

الضحية. تتجلى قوتها في كل شيء: البرية، البحر، الرياح،
السديم. في كل ما تتحكم به وتمتلك إرادته. أما البشر فخلق
عصي، يستعصي عليها استعباده، تحاول تقويضه فتقتله.

ضحاياها كثيرون، إما من عبث معها بالخطأ، أو من
تحداها. ولم يكن نهرها غاضبا ليُجتاز بتلك السهولة، وكان
تحديا واضحا منهم أن يتجاوزوه. فحذرتهم، وأمهلتهم حتى كاد
أخيرهم يعبر دون أن يدفعوا الثمن، ولكن بلا فائدة، كان هو
القربان الذي ابتلعتهم نالذاك التحدي.. وكأنها تعلن أن لا
شيء هنا بلا ثمن.. كان راغار هو الأضخم والأقوى، والأكبر
سناً وقلباً، كان وجوده مصدر اطمئنان ودفء، كان يحب السير
بالمؤخرة ليحمي ظهورهم كأب. وبعد أن تحدوها أفقدتهم
الطبيعة ذاك الظهر القوي والأب الحامي وتركتهم عراة بلا درع
خلفي يحمي ظهورهم.. هي تحدتهم وهم قبلوا التحدي، وعليهم أن
يتحملوا التبعات.

والتبعات كانت تفوق تحملهم، لاحقتهم بها، ولكنها
أخطأت في ذلك.

وجلسوا ليستريحوا من عناء العبور الذي ظل لساعات، ومع قليل من الحزن على راغانار وهميتدفؤون حول نار مشتعلة في وسطهم، وقد أوشكت الشمس الشحيحة على الغروب نبات عنه بشفق أحمر دامي يبتلع ذاك القرمزي الشحيح؛ سُمع من جديد هذا الدبيب وصوت الصهيل الذي قد سمعوه ليلة البارحة يحوم حولهم وسط الأشجار الكثيفة، ولم يمهلهم ليستريحوا. ظل يربكهم بصهيله ودبيب حوافره، حتى صارح بيوولف مخاوفه لويجليوف وقال له "لا أظن أن هذه تحركات حيوان بريشارد ويجليوف، ربما هو أحد الصيادين لا يرحب بوجودنا في هذه المنطقة ويتربص بنا، وإلا كان أظهر نفسه لنا".

فأجابه ويجليوف ..

بل وأخشى أن يكون هناك المزيد منهم بيوولف.

فكشف بيوولف عن خطته وبصوت منخفض مسموع فقط لرجالها قال لهم "ربما ننتظر النهار لمواجهته، لكن الآن أريدكم

أن تستقلوا الأشجار حتى نعرف ما نواجهه أولاً، واتركوا النار مشتعلة كما هي".

فكر رويجليوف أمر بيوولف لرجالها بأسلوب أكثر قوة وقال لهم "أظنكم سمعتم ما أمر به القائد بيوولف، أسرعوا".

فتحرك الرجال ليستقل كل منهم شجرة وتبعهم ويجليووف ثم بيوولف، منتظرين ظهور هذا الشيء الغامض طول الليل، ولم يظهر لهم حتى ناموا فوق أغصان الأشجار من التعب وإلى أن أشرقت شمس يومهم التالي، فاستيقظوا على صوت انزعاج خيولهم وارتفاع صهيلها لشيء ما يهاجمها، شيء ضخم، أكثر منها قوة وأكبر حجماً، جسمه على هيئة ثور، وحيد القرن في وسط جبهته تماماً، ورأسه أقرب لرأس الخيول في شكلها لكنه ليس من فصيلة الخيول، ولونه أبيض ناصع البياض.

فحاول ويجليووف أن يطلق عليه رمحه الذي لا يخيب أبداً من أعلى شجرته التي يستقلها، لكنه خاب هذه المرة واستقر بجذع شجرة عندما راو غه وحيد القرن، وهرب بعدما شعر بهم

ينزلون عن الأشجار من حوله واختفى بلمح البصر (ولم يكن هروبا بقدر ما كان استدراجا). وقد وقع بيوولف في فخه وأمر رجاله بأن يمتطيكلّ منهم فرسه ليطارده بأسلحتهم ولا يعودوا إلا برأسه.

وظلوا يهرولون خلفه إلى أن فر منهم واختفى وسط الأشجار كونه أسرع وأقوى من خيولهم، فبحثوا عنه يمينا ويسارا إلى أن باغتهم من الخلف وأخذ يضرب خيولهم بقرنه . ثم اختفى.

(وكشر السديم عن غضبهم مجدداً، ولم يكتف بأحدهم قربانا. تعطشه للمزيد جعله يأكلهم بشراهة. وطالما تمده الطبيعة بأنياب ومخالب وقرون فتاكة لن يتوانى عن استدراجهم. فغشي المكان الضباب ولا أمل لهم في ملاحقته هكذا).

توقفوا، وبينما هم يتحدثون باغتهم مرة أخرى، وتميز هبقرنها الطويل بوسط جبهته كالحرية جعله يصيب خيولهم من أول مرة وبقوة ترددهم جرحى ينازعون الموت

والرجال ما بين مصاب وهارب يتسلق الأشجار. واختفئانية
.. فاستتب، بيوولف شاهراً سيفيه وويجليوف بجواره شاهراً
حربته بعدما هربت خيلهما بين الأشجار، فلحقهما بيورن بفأسه
وثرور مع مطرقته ثم الفارس الثالث عشر بسيفه المعكوف
المميز عن باقي سيوف الشمال، وكذلك باقي الرجال واحداً تلو
آخر بسيوفهم وأسلحتهم، منتظرين عودة وحيد القرن ليواجهوه
من مكانهم؛ كونه يتغلب على خيولهم بهذه السرعة والقوة التي
لا يستطيعون مجاراتها .. لكنه اختفى بين الأشجار ولم يُسمع
له دبيب لفترة. فقال لهم بيوولف "شكلوا دائرة واجعلوا
دروعكم تتلاحم مع بعضها كحصن". وظلوا متأهبين على هذه
الحالة لفترة حتى ملوا، فتراخى رافنبيرد الطائر وخرج من
الدائرة وقال "لا بد من خطة، لن نظل عالقين هكذا بالضباب
حتى يباغتتنا" فتبعه برينجار الدرع وتقدم خلفه خطوات وقال
له "معك حق" وتبعهما هالر الصخرة وقال "كل هذا هراء".

فعنفهم بيوولف وقال لهم بصوت خافت "هذه هي
الخطة، عودوا مكانكم فأنا أشعر به".

وكونه أبيض ناصع البياض كان يحوم حولهم كشبح وسط الضباب ولم يشعروا به. كان يبحث عن ثغرة في حلقة الدروع التي شكلها بيوولف ليخترقهم. وبخروج الثلاثة محاربين رافنبيرد وبرينجار وهالر من الحلقة أعطوه الزخم فهاجم رافنبيرد وأصابه بضربة قوية على غرة أردته قتيلاً من فوره، ثم هاجم برينجار فتصدى له بدرعه الكبير المحصن بزوائد حديدية، لكنه لم يصمد أمامه واخترقه وحيد القرن بقرنه وأصاب برينجار في مقتل، ولم يسع هالر إلا أن يهاجمهم من الخلف بسيفه انتقاماً؛ لكنه تلقى ضربة من حافره قذفته بعيداً وأصابته بجروح بالغة جعلته ينزف حتى مات.. فتوجه إليهم بيوولف بصرخته الغاضبة والرجال من خلفه، ففرز وحيد القرن وفر بين الأشجار واختفى بلمح البصر.

فجمع بيوولف الرجال حوله وقال لهم "كونه يتمتع بسرعة وذكاء في المراوغة نادر عند هذه الحيوانات البرية؛ لا حيلة لنا في اصطاده. هرولنا خلفه مصممين، لكننا لم نفلح. ولقد جعلنا هدفًا، ولكننا لن نريد تحقيقه". فقاطعه

ويجليوفوتساءل "لماذا لا نريد تحقيقه؟ هل من خطة لديك أيها العبقري؟ أم سيظل يتلاعب بنا هكذا بقية النهار؟".

فأهمل بيوولف تساؤلاته واستطرد يأمر رجاله قائلاً "قوموا سريعاً بإحضار الخيول للنأخذ أمتعتنا ونغادر هذا المكان بأسرع ما يكون قبل عودة هذا الحيوان البري".

فنظر ويجليوف أرضاً، علم أنه أخطأ في مقاطعة قائده لذلك أهمل تساؤلاته. لكنه تباطأ في تنفيذ الأمر وكان من عادته أن يكرر أمر بيوولف للرجال بلهجة أقوى ليحمسهم. وتباطأ الرجال أيضاً وكانهم تخلوا جميعاً عن القائد. فسألهم حامل المطرقة ثور "كادت الشمس أن تغرب؛ هل سنسير في الظلام؟ وهل سنترك هذا الوحش يعيث بالبرية هكذا؟".

ثم تحدث ويجليوف وقال له "لقد قتل لتوه ثلاثة من رجالك بيوولف، ألم يستحقوا منا الانتقام لهم!".

فوضع بيوولف سيفه في غمده ونظر لهم باطمئنان وركز نظره بعين ويجليوف قليلاً ثم أجابه "ما قتلهم ويجليوف سوى

مخالفة أوامري؛ فلم تسعف رافنيبرد سرعته، ولم ينفع برينجار درعه، وهالر لم تكن تكفية قبضته القوية وساقاه الصلبتان ليقاتل هذا المخلوق الجهنمي وحده .. وأتساءل: هل كنت تستطيع الانتقام لراغنار ممن قتله! .. سنكتفي بحرقهم ويجليوف قبل أن يكلفنا الانتقام المزيد من الرجال، أتمانع في هذا!..".

ثم أرفوهو ينظر حوله يستكشف المكان وقد كسيه الضباب وقال "لم يكن وحيد القرن هذا هو هدفنا منذ البداية، ولا معركتنا الأساسية التي جننا من أجلها، فإن طاردناه وانتصرنا عليه، أنلنا بقوة نواجهها جرنال العملاق!!.. وإجابة على سؤالك ثور نعم سنسير ليلاً لنبقى آمنين".

فقال لهم ويجليوف "نفذوا أمر القائد". فانصاع له الرجال وأتموا مراسيم الحرق سريعاً بتلاوة تمتات على أرواحهم تلاها ويجليوف بعجالة ثم نثروا غبار أجسادهم بالنهر، وجمعوا أغراضهم وما تبقى لهم من الخيول وغادروا قبل

عودة وحيد القرن مرة أخربو قبل أن يفقدوا باقي خيولهم أمامه؛ والتي سيتناوبون عليها بقية الطريق.

ولم يظهر لهم وحش السديم ثانية أثناء مغادرتهم، وأخذوا يبتعدون عنه وعن هذه الأحرار الخطرة قدر المستطاع في طريقهم إلى شر أكثر قوة وأكبر حجماً (عرين الوحش نصف البشر يجربندال العملاق)، هذا الوحش الذي ينطلق من أدغال الأدغال ومن غابة لأخرى يعيث ويقتل ويهدد الأرواح ويهلك الحرث والنسل، يختفي لأعوام يظنه الناس أنه قد هلك، ثم يعاود الظهور مرة أخرى ليفاجيء القرى النائية وضعفاءها بشره وبطشه الغادر، فلا يعلمون أين كان؟ أو لماذا جاء؟

وأخذوا في التقدم منهكين، تسعة أبطال على سبعة جياذ. يتقدمهم بيوولف ووجليوف يسيران ببطء في المقدمة. مطئطئين رؤوسهم على أعناق خيولهم يختلسون بعض الراحة التي لم يحظوا بها منذ عبروا النهر. يبحثون عن بقعة أمنة تسعهم ليستريحوا من عناء الرحلة. يشعرون بالضياع كون كل هذه المساحات الخضراء والربوع الواسعة

تلفظهم، فلم يترك لهم السديم أملاً في الراحة ولو لسويغات قليلة يستعيدون فيها قواهم منذ أن عبروا النهر.

وهذا هو الخطأ الذي ارتكبه الطبيعة، أنها لم تمهلهم ليستريحوا، فهذا ما أعطاهم القوة للاستمرار، وأشغلهم عن الحزن على ضحاياهم.. ولو أعطتهم الطبيعة الوقت ليستشعروا الحزن لحظة، لكان هذا أطفأ حماسهم نحو الهدف.

ساعات طويلة من السير تمر، أجسامهم العملاقة متعبة، وعضلاتهم القوية متعبة، وجيادهم رخوة العنان يعرفون وجهتهم ولكن يحتاجون لقليل من الراحة ليستعيدوا قواهم وإلا ماتوا تعباً يشتاقون لقبس من نار يتدفؤون حوله مع غفوة، ولكن هيهات، تلفظهم الربوع ليتقدموا نحو هدفهم مرغمين .

ويجلىف:

الرجال متعبون بيولف، وأنا كدت أسقط عن فرسي. إن ظللنا هكذا سنهلك.

هذه البقعة غير آمنة ويجليوف، الراحة هنا تعني الموت، إن هاجمتنا إحدى الوحوش ونحن نيام لن نقوى على مقاومتها. عيون الوحوش هنا كثيرة ويقظة، فأبقي عينك مفتوحة وحذرة حتى نمُر. ألم تشعر بهم يسIRON معنا متخفين خلف هذه الشجيرات من حولنا؟!، ينتظرون لحظة اليأس التي فيها نضع أسلحتنا وأمتعتنا فيميلون علينا ميلة واحدة!.

والى متى المسير؟

سأمضي حتى تياأس الوحوش وتعود أدراكها، فإن شعروا أنهم ابتعدوا عن عرائنهم وأوكارهم سيخشون التقدم معنا ويعودون.

ههههه ومتى ستخشى أنت وتعود أيها المغامر!!.

حين أصل إلى ما خرجت من أجله، حينها سأفكر.

فطال بهم المسير يومين متتاليين كاد الرجال أن يهلكوا فيهما، إلى أن شعر بيوولف بالأمان ففجأهم قائلاً "ألم تشتاقوا للراحة! أرى أن هذه البقعة آمنة، سنمكث هنا حتى نستعيد قوانا".

فتساقط الرجال عن خيولهم مستلقين على الأرض من فرط
التعب ترتسم على شفاههم ابتسامة، ثم جلسوا يتبادلون أطراف
الحديث ويتسامرون بقصصهم الغرامية والبطولية في
الحروب حول نار كانوا يحلمون بدفئها منذ عبروا النهر، فقال
هارجر يسامر توأمه سكيلد:

— لقد قتلت نحو ألفبريري في حرب المتمردين، كان بيوولف
يهجم بالجيتس ويعود يختبئ خلف الركام وأظل أنا هناك
أقاتلهم حتى طلع النهار، كنت أحاربهم بسيفين معاً، يلتف
حولي العشرة من الرجال فأقضي عليهم بضربة سيف واحدة.
فضحك سكيلد ورد عليه ساخراً:

— لقد حاصرنا البربر بألفي متمرّد تلك الليلة، قُتل النصف وفر
النصف، فمن قتلت أنا إذا كنت أنت قتلت الألف وحدك.
فأجابه ساخراً:

— ألسنت أنت الرجل الذيرأيتَه مستلقياً على قفاه من الرعب
خلف كوخ مشتعل هههههه.

كانت الراحة أملاً بعيد المنال، لكنها تحققت لهم مع الأمان عندما تمسكوا بالحذر والمثابرة وتعليمات القائد.

وعرضوا على الفارس الثالث عشر النبيذ ليشرب ويتسامر معهم فرفض رفضاً قاطعاً وقال لهم "إنه مُحرم في ديننا وقومنا". فطلبوا منه قص الحكايات عن بلاده وأسفاره، فاستجاب لهم وبدأ بالحديث. حينها ابتعد بيوولف عنهم قليلاً واستلقى على ظهره وأخذ يتأمل السماء، كان يستمع إليهم ويتسم معهم. فزحف إليه ويجليوف بعد أن استمتع بالقليل من الثثرة ليتحدث معه بجدية، وسأله "بيوولف العاشق للمواجهة والمجازفة، كاد يقتلني الفضول في معرفة سبب تركك وحيد القرن هذا خلفنا؟ لم يكن هذا عهدي بك، أنت عنيد - أكما قلت للرجال؟ أم لم تكن تعرف الحيلة التي بها تقتله؟".

فأجابه بيوولف بعد قليل من الصمت والابتسام وهو مستلق على ظهره يتأمل السماء وقد أنبت الشفق الأخضر فوق رأسه وقال له:

هو كما قلت للرجال ويجليوف، فلم أكذب عليهم، هذا الوحش البري لا يشكل خطراً على أهل القرى مثل الوحش جرنال الذي ينتقل من منطقة لأخرى يتغذى على البشر، غير أننا لن نعود من نفس الطريق كما تعلم، فلماذا أواجهه وأشتت قواي وأجازف بحياة رجالي دون جدوى!! أما بشأن قتله، فلا يوجد مخلوق إلا وله نقطة ضعف بمعرفتها تملكه أو تقتله، وقد عرفت نقطة ضعفه، إنه وحش عاشق للصيد، ويحب المراوغة في صيد فريسته، ويتلذذ بالتلاعب بها كما يتلاعب القط بالفأر، ولا يوجد شيء يثيره للصيد والظهور كما الخيول، أو أنه لم يجد غيرها لإشباع غريزته في الصيد، ونحن حققنا له ذلك بإحضار خيولنا إليه. أظن أن نصفه ثور ونصفه فرس برينتج من تزاوج غير شرعي بين الجنسين؛ خلف هذا المخلوق الجهنمي الذي يحمل قوة الثور وسرعة الفرس ويتفوق على الاثنين ببعض ذكاء في المراوغة ليسلحيوان مثله، وهو يحاول إثبات قوته والتمتع بها، وهذه هي نقطة ضعفه تماماً (غريزته في الصيد)، أستطيع أن

أستقطبه بها وأنفوق عليه بنصب شرك له يقع فيه خلال
محاولة بائسة منه لاصطياد أحد خيولنا (حيلة الاستقطاب).

أتعلم بيوولف؟، أفخر كثيراً بأني أحسنت اختيار صديق
وقائد، بطل يواجه الوحوش والطغاة ولا يهاب. يا له من
شرف في صداقتك بيوولف.

فأدار بيوولف له ظهره ليكمل نومه وقال له:

قل للرجال أننا سنكمل الرحلة غداً باكراً.

وقاموا مع أول خيط بلون الذهب لضوء الشروق بعدما
تعلموا درساً قاسيالن ينسوه أبداً عن اتباع تعليمات
القائد؛ وأخذوا يسيرون بقوة وحماس جديدين بعد أن استعادوا
طاقاتهم. لا يتوانون عن الثرثرة والضحك والشرب أثناء السير
من بعد المعاناة التي لاقوها، يتحدثون عن خرافات وأساطير
جريندال، الصحيح منها والمكذوب، فقال بيرون الدب صاحب
الفأس للآخرين:

- يقولون أنه: قبيح الوجه، له أنياب، عملاق بطول الأشجار العالية ويفوقها ارتفاعاً، جسمه مغطى بالشعر، وله أظافر وحوافر من الحديد، وذو عيين حمراوين، وحاسة شم قوية، وسمع حاد. يشبهك تماماً هارجر هههههههه.

فقال لهم الفارس الثالث عشر:

- جريندال هذا أوصافه كأوصاف قبيلتي ياجوج ومأجوج تماماً.

فسأله هارجر:

- ومن هما؟ ومن أين علمت بخبرهم؟

- هاتان القبيلتان لم يذكر خبرهم إلا في بلاد العرب، وأنا منهم، وأوصاف جريندال تنطبق تماماً على أوصاف هاتين القبيلتين كما سمعت، فهذا العملاق المسخ جريندالبالكاد هو أحد أبناء هاتين القبيلتين واستطاع أن يصل إليكم بشكل ما.

فأضاف سيفار:

- هو يسكن أرض الشمال منذمئات السنين ومن أجداد الأجداد، لكنه وحتى الآن لم يمت ولم يشخ ويزداد قوة وبطشا.

فقال اسكيلد:

- يقولون أنه يسكن بكهف عميق مظلم أسفل جبل بين سلسلة جبال شاهقة فلا يصل إليه أحد.

فتسائل ثور:

- وكيف نصل إليه نحن؟

فأجابه هيلمار:

- لا أعلم ولكن بالتأكيد بيوولف يعلم.

ومرت عليهم أيام من السير عبر غابات كثيفة وكثيرة، آمنة وغير آمنة. وأنهار عدة سريعة وخطرة. تعوقهم أحياناً هجمات دببة خائفة على دياسمها، أو ذئاب أقتربوا من أوكارها، يتغلبون عليهم ببعض الحكمة من بيوولف، إما بالحييلة أو الصيد. إلى أن وصلوا أخيراً إلى هدفهم مع غروب الشمس (الأحراش التي يسكنها جرنال القريبة من الحدود مع

النرويج). فأوقفهم ويجليوف ليتلوا الترانيم والطلاسم الوثنيه قبل دخول تلك الأحراش لتحفظهم الآلهة من شرورها وتنتصرهم على وحوشها فانصاعوا له وأخذوا يرددون خلفه وهي ترتعد أوصالهم وتزيغ أعينهم في كل اتجاه، ما عدا الفارس الثالث عشر لم يكن على وثنيته، ولكن أوصاله كانت ترتعد مثلهم.. ثم أخذوا يتوغلون ببطء وحذر خلف بيوولف ووجليوف ويبد كل واحد منهم شعلة يمسكها بيد، وبالأخرى سلاحه، ويرتدي كل منهم درعه الحديد كاملاً تأهباً إذا ما هاجم جريندال بشكل مفاجئ.

حتى وصلوا إلى مكان مناسب لهم واسع وفسيح خالي من الأشجار قليلاً يستطيعون أن ينصبوا خيمتهم فيه ويشعلوا نارهم حوله، فاقترح عليهم المحارب الثالث عشر أن ينصبوا الشراك حولهم بدلاً من إشعال النيران حتى لا يتفاجؤون بجريندال وهم نيام كونه عملاقاً.. واقترح عليهم نوبات الحراسة ليلاً كي يبقوا على استعداد دائم فقال لهم "نحن تسعة، سيستيقظ منا ثلاثة للحراسة وينام البقية ثلث الليل الأول. ثم يستيقظ ثلاثة آخرون

وينام البقية ثلث الليل الثاني، وبالمثل الثلث الأخير، وكذلك نتناوب كل ليلة". فأعجبت بيوولف الفكرة فأردف "أنا وويجليوف وأنت ستكون نوبتنا الثلث الأول، وثور وسيفار وهيلمار الثلث الثاني، وببيرون وهارجر وسكيلد الثلث الأخير".

فاستطرد المحارب الثالث عشر "وأيضاً يجب عليكم التوقف عن شرب النبيذ ليتسنى لكم قتال جريندالوأنتم بكامل وعيكم". فوافق بيوولف كونه ليس مدمناً للخمر مثلهم، ولكن الرجال كلهم اعترضوا بشدة، فقال له بيوولف "دع الرجال وشأنهم".

ومرت ليلتهم الأولى بسلام، وكذلك الثانية، ثم أخرى تلو أخرى بعد أخرى دون شيء، فقرر بيوولف أن يستفز جريندال للمجيء من هذا الكهف الذي يقبع فيه بالقرب كما تقول الأخبار، لأنه لا يريد أن يخسر أرض المعركة التي اختارها لنفسه كموقع مميز للمواجهة. فلجأ لإشعال نار عظيمة تلفت انتباهه، واستعان بالغناء بصوت عالي وإثارة الخيول لتسهل بصوت

مرتفعتجذبه. فلم تجلب له أي وحش بري ولا حتى الأليف منها. لا وجود لحياة بالمكان. وكأن جريندل يجلب الموت معه أينما حل.

فقرر بيوولف أن لا يضيع وقتاً أكثر مما فات ويذهب بنفسه للبحث عنه مع الإشراف، وتحدث إلى رجاله ليجمعهم مستعدين لرحلة شاقة بالجمال القريبة، وأسر قولاً لويجليوف وقال له "لقد أضعنا الكثير من الوقت ويجليوف، أفكر في أن أترك جريندال وراءنا، ونكمل إلى حيث وجهتنا الحقيقية".

فأجابه ويجليوف:

وما قلته للرجال لتوك، أكانت كذبة؟

لكن الكذبة الأولى لي ويجليوف، وسيتفهمون فيما بعد.

إن لم تصدقهم القول بيوولف ستصبح الكذبة الثانية وليست الأولى، فهل أصبحت تبني مجدك على الأكاذيب!!، أذكرك فقط.

البحث عن جريندال سيستغرق منا وقتاً طويلاً، ونحن لدينا موعد. ولا أريد أن يموت شعب بانس خلفي لمجرد البحث عن مجد بقتل جريندال.

لك ما تريد أيها البطل.

وخلدوا للنوم ليلتهم، ولم يقم أي منهم بالحراسة بعدما تأكدوا من أن جريندال ليس بهذه البقعة .. وبعد منتصف الليل انطفأت النار بلا سبب، فاستيقظ ثور بفعل البرد ليشعل ناراً جديدة، فسمع صوتاً أقدم تتقدم عبر الحطب والغاب وأغصان الأشجار الجافة التي وضعوها حولهم على مسافات لتكشف عن أي خطوات متقدمة نحوهم، فارتعب وأيقظ ويجليو فالذي قام مفزوعاً من نومه فأيقظ هو الآخر بيوول فالذي تعامل مع الأمر بهدوء أعصاب تعطي بعض الثقة والاطمئنان لمن حولهم ففتح عينه وهو مستلق كما هو على الأرض وأمرهم بارتداء دروعهم.

فأخذوا يتسارعون في ارتداء دروعهم بعدما صرخ فيهم ويجليوف بذاك الصوت الخشن يكرر ما أمر به بيوولف، وكان صوت الأقدام يعلو شيئاً فشيئاً مع اقترابه مختلط بصوت أنفاس مرتبكة ومُربكة، وكأنه وحشيتلمس الخطوات إليهم بحذر.

ثم قام بيوولف وارتدى لباس الحرب مثلهم، فسأله ويجليوف "بماذا تأمر الرجال بيوولف".

فقال لهم بصوت مطمئن:

اصطفوا جميعاً على شكل رأس حربة، وسأكون أنا بالمقدمة، أظنه جريندالشعر أننا افتقدناها فجاء لينهي الأمر.

فتقدمهم بيوولف ووضع يده في وسط خصره بثقة الأبطال دون سلاح وعن يمينه ويجليوف ممسكاً حربته، ثم هيلمار مشهراً سيفه ومن خلفه بيرون فأسه على كتفه ثم المحارب الثالث عشر بسيفه المعكوف خلفهم. وعن يساره ثور بمطرقته وهارجر وسكليد التوأمان خلفه ثم سيفار، جميعهم بسيوف

مستقيمة ضخمة مُشطبة من الجهتين؛ منتظرين ظهور جريندال المخفية ملامحه حتى الآن بالظلام. فأمر بيوولف سكيلد وكان أصغرهم سنأبأن يشعل ناراً بالحطب الجاف ليعيق تقدمه، فانتشرت النار بالحطب فى لحظات وشكلت حائطاً جهنمياً أمامهم، فقال لهم بيوولف "أيها الأبطال، هذه النار لن تعوق عدوكم، ولكنها ستُربكه. كونوا مُستعدين لمجيئها سخين أمامه ثابتين، ليدب الرعب بقلبه. واضربوه بقوة وتصدوا له بثقة، لتسري الرعدة بيده".

ثم تقدم جريندال عدة خطوات اخترق بها النار التي أمامه فبدأ لهم بطلتها الوحشية القبيحة وسط هذا الجحيم المشتعل تحت قدميه.. وكان كما تخيلوه: يفوقهم جسماً بأضعاف حجم أجسامهم القوية المنبسطة. مشوه الخلقة قبيح المنظر وكان تجتمع فيه قباحة ذنوب البشر. لكنه ليس بشرياً، أونصف بشري تقريباً، عار تماماً مثلهم. وبزوائد مخيفة كالتى على ظهر التماسيح، ولا يكسو جسمه شعر إلا القليل منه متناثر بأنحاء جسده.

وليس من الجان أيضاً، لكن وجهه كوجه الشياطين لا يوصف،
قباحة منظره تجعل الحوامل يُسقطن حملهن من هول قبحه.

فأربكته النار، ولكنها لم تعق تقدمه كما توقع بيوولف، وأخذ
يُحدق فيه بعينيه المستأذبة ونظراته الحادة يبحث فيه عن نقطة
ضعف ينتصر بها عليه. وظل جريندال واقفاً ينظر لهم عبر
ألسنة اللهب؛ يستعد كل منهم للآخر.. وويجليوف ترتعد
أوصاله كما الرجال ينتظر المحتوم، فوجه حديثه لبيوولف وقال
له "أنت بالمنتصف بيوولف نحن ننتظرك".

وبتلك الغرابة والجرأة التي يعرفونها عنه، خلع درع صدره
وأسقطه أرضاً بلا سبب معلوم، ثم درعا معصميه الوحد تلو
الآخر، ونظرات ويجليوف لم تنقطع عن دروعه وهي تسقط
تباعاً بذهول واندھاش، وأخذ يسأل نفسه "أجن هو؟"، وما زال
يجهل الرجال السبب. ثم أردف بيوولف خلع ملابسه قطعة
قطعة ليصبح بلا شيء يستره، كما ولدته أمه تماالماً، وكما
الوحش الذي أمامه.

وتصلبت أعين الرجال وخفقت قلوبهم كشراع قارب أمام هبة ريح عاتية، وخشوا أن يأمرهم بيوولف بمثل ما فعل، فقال له ويجليوف:

حقاً تفاجأت بيوولف، أهذا جوابك!! لا يعني أننا ننتظرك إنما سنفعل مثلك".

فأجابه بيوولف:

إن الوحش عار تماماً أمامي، وسنتواجه الليلة متعادلين. ألق عليه حربتك في مقتل ويجليوف ومُر الرجال يهجمون عليه من كل جانب.

ثم أردف يوجه حديثه لرجالهبصوت أعلى:

– اجعلوه يرتبك أيها المحاربون الشجعان ولا تتركوا له فرصة للتقدم.

فهاجمه الرجال والتفوا حول قدميه كما أمرهم بيوولف، وأخذوا يطعنونه بسيوفهم في قدمه وأسفل بطنه، كأقصى مكان يمكن أن تطاله ضرباتهم. ثم وجه ويجليوف حربته وملاً بها

يده وصوبها نحو قلبه؛ فأصابته ولكنها لم تخترق صدره.
فأخرجها جريندال وألقى بها أرضاً وأخذ يركل الرجال بقدمه.
وبيوولف ما زال يبحث عن نقطة ضعف وخطة. فصاح
بالرجال وقال لهم "لا تخشوه، ونظموا ضرباتكم لتكون مؤثرة
وقاتلة".

فأخذ ثور يركز على العظام ويذكها بمطرقتة، وبيرون أراد
إصابة يده بفأسه كلما انحنى ليمسك بهم، وباقي الرجال التفوا
حوله ووزعوا أنفسهم على كلتا القدمين كي لا يتمكن منهم
..ولكنهجماتهم المنظمة كما أربكته زادته غضباً وجنوناً وأخذ
يدور حول نفسه ليدهسهم بقدمه كالفرنار. ولكنهم كانوا
كالذباب؛ يتلقى الرجل منهم الركلة بقدم جريندال فيطير في
الهواء ويسقط مرتطماً بالأرض بجراح، ثم يعاود الهجوم ثانية
بلا ملل.

فأخذا التوأمان هارجر وسكيلد يشكلان ثنائيا في الهجوم
عليه ؛ فتشاورا سريعاً عن فكرة جاءت لسكيلد ثم جلبا حبلاً
من أمتعتهم وربط كل منهما طرفاً منه بجسده وأخذا يدوران

حول ساق جريندال بشكل عكسي ليعرقلاه ويُسيطر على تحركاته. ولكنه كان أقوى منهما واستطاع أن يحرر ساقيه ويسحقهما ومن ثم ركلهما بعيداً.

فاهتز الرجال وخفقت قلوبهم وتراجعوا قليلاً؛ فأمر بيوولفويجليوفوقال له "هاجم الوحش مع الرجالويجليوف وثبتهم، ولا تتراجع حتى أتمكن منه، لدي حيلة".

فأطاع ويجليوف الأمر في التو واللحظة وأشهر سيفه وصاح بالرجال وقال لهم "اثبتوا فلدينا فرصة، لقد جعلنا الوحش ينزف وسنجعله جثة هامة. معاً سنحققها" وأخذ يدور حوله ليراوغه ويشتت انتباهه ويطعنه بسيفه، بينما بيوولفيتسلق الأشجار بلا سيف ولا سكين وبارتفاع يفوقه؛ يقفز من شجرة لأخرى ليقترّب منه ومن ثم يتمكن من رأسه.

وعندما أتيحت له الفرصة قفز على ظهره ولف ذراعيه النحيلتين (بالنسبة لجريندال) حول عنقه، ليربكه ويشغله عن الرجال بالأسفل ليتمكنوا من إسقاطه. فأخذ يسعى جريندال

للتخلص منه بمحاولات بائسة أشغلته بالفعل. وبها أعطى
بيوولف لرجاله فرصة ذهبية تمكنوا فيها من طعنه طعنات
كثيرة أخذ يترنح على إثرها ويسقط. فقفز بيوولفن
ظهره لينجوا بنفسه حين شعر به يسقط وقبل أن يُسحق
تحتة فسقط جريندال وزلزلت الأرض من تحته فاستأسدوا عليه
من فورهم ليطعنوه بأكثر المناطق فتكاً به كعُنُقهورأسه حتى لا
يستعيد قوته وسيطرته ويستتب واقفاً ويمضي ركلاً فيهم من
جديد.. فبحث بيوولف بنظره وهو مُلقى على الأرض عن سلاح
ليكاتف رجاله، فوجد حربة ويجليوف بجواره، فتناولها وصعد
على صدر جريندال وغرسها بقلبه مباشرة فصرخ لها الوحش
صرخته الأخيرة التي اهتزت لها قلوبهم وفر بعضهم
منها. فتباطأت معهما مقاومته شيئاً فشيئاً حتى توقفت حركته تماماً
ومن ثم توقفت أنفاسه.

فرفع بيوولف رأسه وقبضتيه إلى السماء وصرخ هو الآخر
صرخة طويلة أمام صرخة الوحش تدل على المعاناة التي
لاقاها، وكأنه يرسلها للآلهة "أنا البطل الذي لا يقهر".

هدفوقرار، تخطيط مع تصميم، شجاعة وتضحيات، وأصدقاء
مخلصون؛ذاك هو الطريق، وتلك هي الطريقهالتيحقق النصر
على أكثر الوحوش بطشاً وشرأ، بأكثر الغابات هجراً
وعُزلة،وفي جناح ليل بهيم.

فاستلقوا على الأرض بجوار جريندالكانهم صرعى من
الإجهاد والمعاناة والجروح.فلم يصدقوا هذا الإنجاز الذي
أتموه وهذا المجد الذي سطره. ومرت سويعات ليلية طويلة
عليهم وهم مستلقون هكذا بلا وعي،تحرسهم الأقدار الرحيمة.
وفجأة قام بيوولف مفزوعاً وكأن القتال مازال جارياً، وتناول
سيفاً كان بجواره وأخذ يلوح به في كل اتجاه كمجنون يصارع
الهواء بفعل كابوس قد أيقظه، ولكنه مازال تحت
تأثيره،فاستيقظ الرجال على أثر ضوضاء جنونه، ولم يهدأ إلا
عندما قام ويجليوف وصاح فيه فانتبه وعاد لوعيه (فقد تخلص
من كابوس جريندال في واقعه ولكنه مازال يطارد أحلامه).

فألقي سيفه أرضاً واستلقى بجانبه فتجمع الرجال حوله
يلتقطون أنفاسهم،ثم قال له ثور "لقد أنجزناها معاً أيها البطل،

لقد انتهى أمر جريندال إلى الأبد، بفضلك قتلنا جريندال ولم يكن ليفعلها بشري غيرك بيوولف".

وبدوره ذكر هويجليوف بالقتلى قائلاً "لقد فقدنا هارجر وسكيلد، قتلوا كالأبطال أمام أكثر الوحوش شراً دون أن يهابوه أو يجبنوا أمامه".

فأجابه بيوولف بقلب صلب وعقل يقظ وأنفاس متقطعة بعض الشيء:

لا أحد يقطع كل هذه المسافة في سبيل هدفه ويعبر كل تلك الصعاب من أجله؛ إلا وله من الإرادة والتصميم والإيمان ما رافقه ليتحمل التضحيات المضيئة. لن تنساهم اللآلهة ويجليوف وستخلد ذكراهم الأغنيات. وسيذكر التاريخ أمجادهم وتضحياتهم لقتل وحش من أعماق جهنم. ثمن البطولة باهظ ولكن ثمرته خالدة، ناضجة دائماً ولا تتنن - كثمار الجنة. أعدوا لهم ناراً عظيمة لإرسال أجسادهم للعالم

الآخر، ليخبروا الآلهة أنهم قتلوا هذا المسخ وضحوا بأنفسهم من أجل أن تنعم البشرية بالأمان.

فأحضروا حطباً جافاً من الذي قد جمعه من قبل؛ وأعدوا ناراً على ضفاف أقرب نهر لهم وأحرقوهم ببساطة لم تكن بمستوى قتل جريندال العملاق. وأشرق الصبح من ثم نثروا تراب أجسادهم بالنهر، ووقفوا على ضفافه يتمتمون بالترانيم المعتادة كما فعلوا مع (رافنبيرد وبرينجار وهالر)، وبعدها تحدث لهم بيوولف ليخفف من حدة حزنهم على فراق أصدقائهم بدرج الرحلة الطويلة، فقال لهم:

اشربوا من أجلهم النبيذ، وتغنوا بأمجادهم البطولية التي عهدناها منهم، ورتلوا عليهم ترانيم الحياة الأخرى.

فاسترعى ذلك أنتباه الفارس الثالث عشر فقال لهم متسائلاً:

— أوما إذا كنت مت أمام جريندال أو وحيد القرن لكنتم أحرقتموني وشربتم من أجلي النبيذ؟

فأخذوا يضحكون بملء فيه ثم أجابه بيرون:

رجالهما ليجلبوهم إلى هذه الأعراس الخطرة، وكان ذاك الوحش هو الطعم لذلك). فجلس بيولف في ظل شجرة قريبة منهم ودعاهم إليه، ثم قال لهم "تريدون أن تعرفوا طريق العودة، أليس كذلك!!"، ليس لنا من عودة الآن حتى نتم ما جئنا من أجله انطلاقاً من المملكة الملعونة إلى السويدفها، ليس من عودة قبل أن ننهي مهمتنا".

فقام ثور من مقامه وأخذ يصرخ ويشير بذراعه ويقول:
لكننا أتمنا بالفعل ما أخبرتنا بهبتلك القاعة، أم أنك تريد أن
نقطع رأس هذا الجريندال ونعود بها إلى السويد!!.

فلم يستسغوي جليوف اللهجة التي تحدث بها ثور لبيولف،
فقام له وعنفه وقال له:

- لا تقاطع قائدك وهو يتحدث، وأظهر قليلاً من الاحترام في حديثك.

فأشار له بيولف وقال له:

– دعه يتحدث ويجليوف لا بأس. فلا مزيد من الأكاذيب بعد الآن. اجلس ثور.

ثم نظر بيوولف للرجالواستطرد قائلاً:

– دائماً ما إن نصل لأهدافنا؛ يكون هناك هدف إضافي لا ندركه إلا حين نصل. وليس رأس جريندالهي التي جننا من أجلها أيها المحاربون العظماء، بل رأس أخرى، أكثر شراً وقبحاً في طلّتها البائسة من طلة الوحوش، هي نفس الرأس التي ذهبنا من أجلها للمملكة الملعونة، هيرأس قاتل إخوته. هذا القاتل هو أكثر شراً وبطشاً من جريندال المسخ الجهمي، هو أكثر شراً وبطشاً وقبحاً من كل الوحوشالتي نعرفها، لقد قتل وحرق وشرّد الكثير والكثير، وأكثر بكثير من جريندال. نحن أمام رأس ليس لها إلا عظماء أمثالكم، لا يهابون الطغاة، ويطاردونهم واحداً تلو آخر أينما كانوا، حتى لا يكونفي البلاد مسكين أو ضعيف مُهدد بالقتل والتشريد.. عندما ذهبنا للمملكة الملعونة؛ علمت من ثوركيل أن قاتل إخوته لا يخوض الحروب بنفسه، بل يقبع في قصره المهيب وسط حرسه

ويرسل قائد جيوشه نورمان. ونحن جننا هنا من أجله وليس من أجل جريندال، ولكني اتخذت جريندال ستاراً لأصل إلا هنا من أكثر الطرق التي لا يتوقع أحد أن تأتي منها ودون أي شكوك لأتم مهمتي التي وكلتني الأم بها .. هذه كانت خطتي للنيل من قاتل إخوته كما اتفقت مع ثوركيل، وقصدت أن تظل الخطة سرّاً وأن لا يُشاع الأمر، وأن يظهر خروجنا من المملكة وكأننا هربنا من الحرب؛ كي لا يصل الخبر لقاتل إخوته ويحتاط منا. هذا هو الأمر كله.. فهل تعبروا معي هذه الأنهار الضيقة للنيل من هذا القاتل؟ فما زال هناك الكثير منها ولن أستطيع عبورها بدونكم. ذلك كي يعيش أبناؤنا في مأمن من شره إلى الأبد.. في النهاية من يريد العودة منكم فلن أمنعه، ومن يريد أن يعبر معي إليه؛ فليعلن عن نفسه الآن.

فصمتوا قليلاً بعضهم ينظر أرضاً وبعضهم يعبث بأعواد حطب، وويجليوف لم يتحدث ووضع نظره بالأرض، فهو يقف موقف بيوولف، والجميع يعلم ذلك، فلا يحتاج لأن يعلن عن نفسه هذه المرة. فكسر بيرون الصمت السائد وتساءل:

- إذا لم يكن هناك وفد من قبل الحدود الشمالية يشتكي، أليس كذلك ؟

فأجابه ويجليوف بعدما أوما برأسه:

- نعم كذلك.

- ومن كان يعلم هذا ؟

- بيوولف وضع الخطة وأخبرني بها ثم اتفق عليها مع ثورك، وراغنار.

فتعجب بيوولف وسأله:

- أوكا كان يعلم راغنار بالأمر ؟!

- نعم بيوولف كان يعلم.

- كيف ؟

- أنا أخبرته عندما عبرتم إلى الجانب الآخر من النهر الذي ألقى فيه حتفه، كان يشعر بشيء غامض وكان يعلم أنه ليس هناك من وفد يشتكي جريندال، ولكنه فقط شعر أن هناك

خطبا ما جللا، فأراد أن ينهي حياته بعمل يشرف سجل
أمجاده، فاستحلفنيبالآلهة أن أخبره.. لماذا تنتظر إلي بيوولف!
استحلفنيبالآلهة!.

فقال ثور غاضباً:

– الآن الكل يأتي بما في جُعبته ونحن عالقون بهذه الأحرار،
أهناك من أحد آخر لديه سر ما بشأن هذه الرحلة؟

فقالهم المحارب الثالث عشر:

– أيها الرجال، كوننا لا نعلم بالخطئة منذ البداية؛ هذا ما جعلنا
أحياء حتى الآن. وكوننا جزءاً من الخطئة؛ هذا يجعلنا نصمم
على نجاحها. نحن اخترنا المجيء إلى هنا بإرادتنا دون إرغام،
ونعلم بالخطر منذ البداية، وقد مات أصدقاؤنا عن رضا منا
ومنهم ولم نتذم، هذا لأننا كنا مستعدين لذلك، وكنا نعلم أن
التضحيات أمر حتمي. أنا أثق في بيوولف ولن أتخلي عنه ..
غير أن وحيد القرن ينتظرنا بطريق العودة وهو يتوق لملاقاتنا
مرة أخرى، وأنا لست كذلك.

أقنعهم. فتثقتة فيبيوولف جعلته يتحدث بصدق يُعيد لهم
ثقتهم فيبيوولفمن جديد.

الكذب شيء سييء؛ لكنهم معتادون عليه.. ولكونه صدر من
مصدر ثقتهم؛ هذا ما جعلهم يستأوون.. ومجرد مبرر جيد؛ كان
كافيا ليعيد لهم الثقة من جديد.. فهذا القلب الفريد
لبيوولف؛ والذي يخالط شجاعته الإنسانية، جعل منه بطلا
حقيقيا بالنسبة لهم، فريدا من نوعه، عذره مقبول. ذنبه مغفور
.. فأثنوا عليه. وأثنى هو عليهما أيضاً بكلمات رقيقة يجيد بعضاً
منها كاعتذار.

ثم قرروا قبل مغادرة المكان أن يوثقوا جريندالبالحبال ويسحبوه
إلى النهر القريب الذي نثروا فيه غبار جسد أصدقائهم التوأمين
هارجر وسكيلد، ويربطوه بشجرة هناك على الضفاف ليراه
المارة عبر النهر، وتكون رؤيته خير إعلان عن قتله. ومن ثم
يستأنفوا مسيرهم بالأحراش ويتوغلوا صوب قاتل إخوته كما
الخطّة.

فالطريق إليه غير ممهد، قم مرتفعة تتحطم في صعودها قواهم، وسهول منخفضة تتساقطع نزولها إرادتهم. يحتاجون من وقت لآخر الدافع الذي يُعيد لهم إيمانهم بالمهمة الجديدة. وكونهم عظماء سبعة؛ كلهم حماس، كوعاء مملوء تفيض حوافه إرادة وتصميماً؛ الغابات الكثيفة اجتازوها، والأنهار السريعة نجحوا في عبورها، بعد قرارات كثيرة بالاستسلام والتراجع أمام كل تحد جديد. ولكنهم استطاعوا كونهم معاً، وكما قال لهم بيوولف من قبل "هناك الكثير من الصعاب ولا أستطيع عبورها بدونكم".

وبعد معاناة الرقص مع الذئاب بالبرية واللعب مع الوحوش بالأحراش لأسابيع، وصلوا أخيراً الحدود النرويجية، ومنها إلى المدينة الملكية.

مدينة حقيقية قد ولدت من رحم إنجلترا بقلب النرويج، حيث القصر الملكي الذي بناه قاتل إخوته.. آية في التصميم والبناء، أسطورة في الزينة والزخرفة، وروعة في الهندسة. لم يكن الفايكنج ولا إسكندنافيا بكاملها تعرف مثل هذه الحضارة أو

المدنيّة التي نقلها إليهم قاتل إخوته. ولم يكن لأحد غيره مثل هذا الملك المتسعمن قبل.. حضارة. ورواج في التجارة. أموال ونقود قد صُكت، بديلاً حضارياً عن المقايضة التي لازالت بالسويد والدنمارك مستمرة. عاصمة أوروبية جديدة نبتت بأرض غير أرضها، وفي جو غير مهيب لها، لكنها نبتت بفضلها وطمعه. فالهدف يستحق.

صنع من نفسه أسطورة. بل إلهاء، يحكم بيد من حديد، ليس لحكمه راد. يتحكم بالرعية والقبائل كعبيد. قاسفي الثواب كالعقاب. الجميع فزع طول الوقت من فرماتها المفاجئة المتفنة في الظلم والقهر؛ تارة فرمان بتمويل الجيش إجباري، كأن نقوداً لم تصك، وآخر التجنيد إلزامي، كسجن كبير يأوي العبيد. وما بين الإلزام والإجبار شعب يُسحق، ومدنيّة زائفة تُزرع داخل وطن فتُهلكه ببطء.

وحتى الآن لم يظهر بيوولف نفسه للعامة بعد، وما زال هو ورجاله مختفين عن الأنظار بالأدغال القريبة. فأخرج ويجليوف من أغراضه ملابس نرويجية ليرتديها، قد أخفاها

عنهم طول الطريق لعدم إثارة تساؤلات. ثم نظر لبيوولف وقال له "ما زالت بحالة جيدة كما قلت لك". فسأله ثور متقلب المزاج وقال له بتهكم "ماذا ستفعل؟ ولماذا تتخفى بملابسهم؟ وكيف سنفتح القصر، ومتى؟" فلم يجبه ويجليوف وذهب دون أن يدروا إلى أين (فما زال هناك شيء من الغموض بالنسبة للمحاربين لم يفهموه بعد، ولم يفصح عنه بيوولف).

فأعاد طرح الأسئلة على بيوولف، فقال له ولهم "استعدوا وحسب".

فأخذوا ينظرون لبعضهما البعض بنظرات حائرة، لأنهم لم ينالوا إجابات شافية، وقد ملوا كل هذا الغموض بالرحلة والمفاجئة تلو الأخرى، فقال له ثور "نحن مستعدون". ثم صمت.

وبعد فترة وجيزة عاد ويجليوف وبشر بيوولف وقال له "كل شيء كما أعدنا له، وغداً صباحاً هو الأنسب لاقتحام القصر".

فقال له ثور "حسناً، قد علمنا إجابة تساؤل؛ وهو موعد الاقتحام. يبقى مبهماً فيأذها ننا كيف يحدث هذا؟ كيف لك أن تقتحم هذه القلعة المحصنة بسبعة رجال فقط بيوولف؟. أريد إجابة".

فصمت بيوولف طويلاً حتى فقد ثور أعصابه كالمعتاد وكرر سؤاله بشكل أعنف، فنظر لهما ويجليوف وتتحى جانباً، تاركاً الإجابات لبيوولف، فنظر إليه بيوولف وأجابه بنبرته الصادقة الواثقة الدافئة وقاله "سأطرق الباب".

فاحمر وجه ثور وشعر باستهزاء بيوولف، فقال له بنبرة منكسرة مهذبه بعض الشيء:

أتَهْزَأُ بي بيوولف!! هناك مئات من الرجال يحرسون القصر، كيف ستتخطاهم؟.

فأعاد بيوولف عليه الإجابة وقال له:

قلت لك سأطرق الباب.

فصمتوا حيث لم يجدوا بدامن الانتظار ليوم غد، فهم في موقف يجبرهم على الانصياع والانتظار .. وباتوا ليلتهم دون

إشعال نار للتدفئة حرصاً من بيوولف لعدم الكشف عن مكان
تواجدهم حتى غد.

وقبل عدة أيام كان قد قاد ثوركيل هجوماً شرساً غير متوقع
على أسطول النرويجي حشد له قرابة شهر منذ أن غادرهم
بيوولف .. وقد انتظر أول ساعة بالصباح حيث الضباب
المتكاثف على صفحة المياه وخرج بسفنه التي تخترق المياه
كالسهم المارق وظل يقترب منهم دون ضجيج حتى
باغتهم، فتفاجأ الأسطول النرويجي بقيادة نورمان بالدنماركيين
يحاصرونهم فدارت بينهم معارك لا يُرى منها شيء أو يُسمع
فيها صوت غير صرير السيوف بفعل الضباب المتكاثف الذي
جعلهم كأشباح تتصارع في قطر من أقطار الجن والشياطين.

وبعد الساعات الأولى ومع تفوق الدنماركيين أرسل نورمان رسوله على الفور لقاتل إخوته ليمدهم بالرجال والعتاد ليستطيعوا التصدي لهذا الهجوم المباغت الذي أعطى أولوية للدنماركيين. فحشد قاتل إخوته له كل إمكانيات القصر وكل رجال النرويج وأرسلهم إليه.

واستطاع أن يصمد النرويجيون ليومين متتاليين؛ لكنهم تكبدوا أيضاً خسائر فادحة، فعنصر المفاجأة يكون الأقوى دائماً، والدانماركيونهم الأفضل في المباغته باسكندنافيا بفضل الوندال، ولمتغالنرويجيين كثرتهم شيئاً سوى الصمود.. وكان على ثوركيل أن ينهي الأمر باليوم الثالث لأن قواته لن تصمد إن طال الحرب يوماً آخر وسيضطر للتراجع؛ فهاجم بقوة كمحارب جيتس وقائد لهم. وصحيح أنه لم يعد بتلك القوة التي كانت له في شبابه، لكنه قاتل بضراوة وأصيب عدة إلى أن حصل على مواجهة حقيقية مع نورمان، وخطته كانت تعتمد على هذا ليتفرق جيش نورمان إذا ما قُتل. فبادره ثوركيل بضربات قوية موجهة من أعلى على رأسه تصدها نورمان

بدرعه وتراجع لها خطوات إلى الخلف حتى اصطدم ظهره بجانب السفينة. وظل على هذا المنوال يتصدى للضربات الغاضبة من ثوركيل حتى تسنى له استجماع تركيزه وفاجأ ثوركيل بضربة سيف من خلف درعه أودت بحياة على الفور، ليسقط ثوركيل عن ظهر السفينة غارقاً في بقعة واسعة من الدماء كالتي سبح فيها يوم الخليج ليحقق حلمه. فتاه جثمانه بين القتلى الطافين على صفحة المياه الحمراء، واختلطت دماؤه بدمائهم، فلا فرق بين ملك ومملوك وخصم بعد الموت، الكل سواسية.

وموته لم يؤثر على مجريات الحرب. استبسل الرجال واستمروا في التقدم لأنهم لم يعلموا بالخبر بسبب الضباب العادم للرؤيا وحتى خسر نورمان أغلب قواته وسفنه، فقرر الهرب عندما شعر بالهزيمة، ولو كان صمد لكان انتصر. وسيطر الدانماركيون على القتال بفضل الضباب الذي أعطاهم عنصر المفاجأة وأهدى لهم نصراً.

كون الحرب تنشب بين طرفين متصارعين يحمل كلاً منهما نصف النصر ونصف الهزيمة؛ إلا أن أحدهما يهدى الآخر نصيبه من النصر بفعلة حمقاء، ويحصل بالتالي على كامل الهزيمة. والحرب لا تعرف الحماسة، والنصر حليف الأذكاء، والهروب أغبى هذه الحماقات، وهروب الجنود النرويج ونورمان أمام الدنماركيين جعل النصر أسهل لهم .. وقد اختار نورمان وبعض حرسه هولندا وجهة آمنة قريبة للهرب إلى حلفائه الإنجليز خوفاً من العودة لقاتل إخوته بهزيمة كهذه دمر فيها أسطوله بالكامل.

وأشرق الشمس الشحيحة ليوم شتوي قارس بشمال الشمال على بيوولف ورجاله الست. وهيدائماً شحيحة كشمس العدل والقصاص - لا تشرق ولا ينجلي نورها إلا لحامل لوائها لتتير

له طريق النصر والتمكين، كما ترمي بظل غيومها البارد وعواصفه الثلجية على كل طاغية خُذع بأمانى شيطانه وظن أن شمس له لن تخبو عنه يوماً ولن تغيب، لتفاجئه بيوم لم يكن له في الحساب ولم يكن يظنه آت.. ولكنّهات للقصاص المحتوم. واليوم هو الأشدّ برداً وبروداً على قاتل إخوته، تماماً كالليلة التي غدر فيها بأخويه. هذا النهار قارس وقاس مثلها، ولكنّشّان ما بين الجريمة والقصاص.

اليوم سيشعر بنفس المصير الذي كتبه على أخويه يوماً ما، والذي خبأ له القدر مثله منذ سنوات، ليستشعر قساوته. وليس في ليلة ظلماء كليلته، بل في نهار مُشرق قصاصاً يشهده الجميع انتقاماً على ما اقترفته يده القذرة.

فارتدى بيوولفدرعه المميز لقائد الجيتس وذئب السويد كما يقولون عنه، وأمر رجاله بارتداء دروع الحرب كذلك مُدججين بكامل أسلحتهم، ثم قادهم صوب القصر المهيب كالذي يمتلك مثله كل طاغية وفاجر. ومشوا وسط العامة يعلنون عن أنفسهم وعن نيتهم بتلك الثقة التي تعلو جباههم (فلا مزيد من

الاختباء) يلبسون ملابسهم السويدية البدائية وعليها دروع الحرب المميزة للجيتس. ورغم أن الناس سمعوا بأسطورته فقط ولم يروه قط؛ عرفوه من ذاك الدرع المميز لقائد الجيتس المنقوش عليه منظر الذئب الذي اتخذته بيوولف رمزاً له.

فنتبعه بعضهم إلى القصر ليروا ما هو فاعل. ولم يكن القصر بعيداً عنهم بقدر المسافة التي قطعوها لأسابيع منذ بداية انطلاقهم، لكنها كانت الخطوات الأصعب. فكلما تقلصت المسافة بين المنتقمين والطاغية زادت المهمة خطورة.

إلى أن وصلوا إل السأء أءواب قعر قائل إءوته. فءءاءأ بهم ءرس القعر أءامهم بءلك الملبس الءى ءعلن عن هوئءهم وعن نئة اقءءام القعر .. وءلك المفاءأة هئ نصف الءطة الءى اعءمد علئها بئوولف فئ معركءه معهم(فما عسى ءنوءاً بلهاء لا ففقهون شئ شئاً سوى ءنفئذ ءعلئماء ىءلقونها من ءئن لآخر أن ففعلوا بءلك المفاءأة). فءصرفوا بؑرئزءهم الءى ءوقعها بئوولف وأءرجها ضمن ءطءه أن أشهروا سئوفهم باءءئاءئة وهاءمه بعضهم، وآءر البعض الآخر ءراسة الباب. فسأله

ويجليوف "أنشكل رأس الحربة كما فعلنا أمام جريندال؟" فأجابه بيوولف ونظراته تتجه إلى خصومهم وقال له "لا". بل اصنعوا دائرة كما فعلنا أمام وحيد القرن، وليحم بعضكم ظهر بعض، واجعلوا دروعكم تتلاحم لتشكل حصنا صغيرا نقاتل من داخله". فالتف الحرس حولهم، فتعامل معهم بيوولف بضربات سيف غاضبة وحاسمة خلفتها تلك المعاناة التي لقيها في الطريق، جعلته يتعامل معهم ومع أي معوق له يحول بينه وبين هدفه بتلك الغضبة الحاسمة، ورجاله كذلك لم يكونوا أقل غضباً. ودارت معركة صغيرة على أعتاب باب الطاغية لميدر بها. الرابح فيها هو الأكثر استعداداً وتنظيماً.

وعندما انتهوا منهم تقدم بيوولف نحو الباب، حيث الجنود الواقفون أمامه لا يبدون أي مظهر للعنف. فتخطاه ويجليوف وتقدم نحو الجنود حيث أفسحوا له المجال ليتواجه مع باب قصر الطاغية ويفتحه بسهولة مطلقة لم يفهمها جنود الجيتس بعد، وأثارت بينهم نظرات تائهة وخطى تتقدم خلف بيوولف قلقلة وبطيئة لا تستوعب هذه السهولة في دخول القصر.. لم

يعوا أن تلك المعاناه التي عانوها في الطريق هي ما جعلت طرق باب الطاغية سهلاً واختراقه ممكناً (كاختراق بيوولف وكر الذئب يوم السديم). وقد كان صادقاً معهم حين قال لهم "سأطرق الباب". فدخلوا خلفه وهم ينظرون لهؤلاء الجنود على جانبي البابويتساءلون فيما بينهم بتعجب "لماذا خانوا ملكهم؟!!!". والإجابة جاءت بعد ذلك بلحظات.

ومع أول خطوة تخطاها بيوولف مخترقاً حصن الطاغية؛ اكتملت الخطة. وقد أتمها من جانبه على الوجه الأمثل مستخدماً حيلة (اليد الخفية) التي وضعها كخطة للقضاء على طاغية جبان ذي نفوذ مُتسع. وهيان تلوح بيد بينما الأخرى هيالتي تضرب، فتكون الضربة مفاجئة وحاسمة وقاصمة. وكان هو اليد الخفية.

فعندما رحل هو ورجاله من المملكة الملعونة إلى السويد وكأنه انسحاب، رحل بناء على خطة واتفاق مع ثوركيل، أن ينسحب من الحرب حيث لن يلتفت له أحد وهو خارج المملكة الملعونة منطقة الصراع، فيقوم بحيلته المتفك عليها (اليد الخفية) دون

ضغط أو رقابة..وفي أثناء رحلتها التي تستغرق شهراً حتى يصل لقاتل إخوته يحشد ثوركيل كل إمكاناته ليشن هجوماً مباغتاً على أسطول قاتل إخوته يجعل منه (اليد الظاهرة) ليرسل قاتل إخوته كل ما تبقى لديه من قوات لمساندة الأسطول وتبقى النرويج خالية مهيئة لبيوولف. وبمساعدة بعض حرس القصر الذين دله عليهم ثوركيل من أصحاب الولاء للمملكة الملعونة؛ يدخل بيوولف القصر الملكي للطاغية ويحظى بلقاء قد عانى كثيراً من أجله.

وفي حين يجلس الطاغية على عرشه باكر اينتظر أخبار أسطوله بعد أن أمدهم بكل ما يملك خلال الثلاثة أيام الماضية. دخل بيوولف القصر بخطى ثابتة واثقة لينجز عمله ويجذب العشب الشيطاني الذي نبت باسكندنافيا. فأشار له الحرس لقاعة العرش حيث الطاغية، وقاموا بتأمين أبواب القصر من الداخل. وتقدم ويجليوف أمام بيوولف يفتح له الأبواب ومن خلفهما قائد حرس القصر ورجال بيوولف. وتقدموا معاً لاستعادة أوطانهم المسروقة داخل هذه القاعة الضيقة. ففهم قاتل

إخوته من الطلة الأولى لهم حين دخلوا عليه أن هناك خيانة من قائد الحرس الدنماركي فبادره وقال له "حقيقة لم أتوقع هذا، الآن فهمت لم كل الحملات التي كنت أشنها على مملكة أبي تفشل. كنت أنت طوال هذه السنين ولم أكتشف ذلك". فقال له قائد الحرس "كونك شيطان الشمال هذا لا يجعل منك إلهة إنفارت. كان ولا بد أن تخطئ وتكتب نهايتك بيدك. وأنت الآن تقرأها".

— أنتم خنتموني.

— لم يكن ولاؤنا لك منذ البداية لنخونك. بل جئنا لنصرة إجتكوا بأمر إكلوف ولم نعاهدك على شيء.

— اسمه الملك إكلوف، إياك وأن تنطق اسم أبي دون تعظيم.

فقاطع حديثهما بيوولف وقال له:

— انتهت اللعبة إنفارت.

فنظر له قاتل إخوته وقال له:

هذا المنظر على درعك يوحى بأنك بيوولف قائد الجيتس،
ذئب السويد كما يطلقون عليك. نعم لقد فهمت الآن واستوعبت
ما تم، أنت من خطط لكل هذا كي تحظى بهذا اللقاء؛ مغادرة
المملكة الملعونة كمنسحب إلى السويد، ثم رحلة صيد جريندال
العملاقاتي جاءتني أخبارها، ثم إلى هنا. أحسنت أيها الفتى، لقد
خدعتني حقاً ونلت ما أردت، أنت الآن بحضرتي، فما عرضك.

لا أيها المتغطرس، لم أقطع كل هذه المسافة لأمليعروضا، لم
أعرض حياة رجالي للخطر وأفقد بعضهم لمجرد لقاء كما
تدّعي، بل أنا قدرك الذي قُدر لك لأنهي هذه المهزلة
التي أحدثتها ببلادنا.

ولميزل قاتل إخوته يجلس بتفاخر كملك رغم أنه على وشك
الموت، يعبث بأنامله كعاداته السيئة. ولم يستشعر بعد تلك
البرودة التي تنتاب أطراف الجسد بداية من الأنامل (هذه التي
يعبثها) إلى كامل جسده مع اقتراب الأجل، ولا تدفق الدم
إلى العنقالاتي على وشك الذبح .. فتحدث بهذا الوجه السمج بارد
الملاحم إلبيوولف بعد ضحكة ساخرة وقال له:

ههههه الفتى قطع كل هذه المسافة ليتكلم عن الأقدار لا عن
التفاوض! لقد خسرت أيها الفتى، أسطولي على وشك دخول
المملكة ملعونة وأنت هنا تثرثر وت....

لا. بل أسطورك على وشك الهزيمة، أنت لا تعلم الأخبار الصحيحة، أنت الآن عار بلا جيش أو قلاع، أولئك الذين كنت تختبئ خلفهم .. فلقد جئت هنا لمهمة واحدة ولن أخرج إلا وهي مُنْجزة. فقد اعتدت إنجاز مهامى.

وما هي تلك المهمة التي جازفت بلقائمين أجلها؟

جز العشب الشيطاني، بالتأكيد تفهمني إنفارت، أقصد رأسك.

فَتَلْعَثَم قَاتِل إِخْوَتَه وَقَالَ لَهُ:

بيبيوولف. دعنا نتحدث كرجال. ممتلكتي واسعة ولدي
أسطول كبير وجيش جرار، لكنه يفتتقد القائد الجيد. ما
رأيك؟ ما رأيك في أن تكون قائد الجيوش
باسكندنافيا؟ سسسنحقق معاً أحلامنا.

الآن شعر بالخطر من جدية حديث بيوولف ونظراته التي لا تكذب، وتسالت إلى أنامله تلك البرودة، وتلعثم لسانه أمام رجل لا يعرف المساومة.

فتقدم بيوولف نحوه وعينه لا تتوارى عنه بتلك النظرة الحادة وهو يخلع درعه قطعة قطعة يسقطها تحت قدميه كما فعل أمام جريندال، وصعد تلك الدرجات إلى العرش يكشف عن صدره ليجعله عارياً تماماً بلا قميص، وأجابه:

هل لقتل مزيد من الأبرياء!. لا انفارث، لا مزيد من القتل اليوم، عداك أنت.

فارتعب قاتل إخوته أكثر. فقد حانت اللحظة التي غفل عنها دهرأ طويلاً، مثله مثل كل الطغاة، فلا فارق بين طاغية وآخر في النهايات، كلها متشابهة. فانكمش بكرسي عرشه الضخم بعد أن تخلص شيطانه عنه ليتركه يتواجه مع قوة الحق التي لا يستطيع إبليسهم نفسه مواجهتها. وتحول لون وجهه بارد الملامح إلى الصفرة وأخذ يستجدي بيوولف ويقول له:

لماذا تخلصك درعك؟! ، اتررركني وخذ ما تريد.

فأجابه بيولف:

بالفعل سأتركك بعد أن آخذ ما أريد. وإجابة على سؤالك؛ أنا
أخلع درعي حتى لا يُقال أن بيولف يخشى الطغاة، يقاتلهم
من خلف الدروع. وكذلك لأقتلك كالبعير لا من خلف درع
كالأبطال.

فيا له من قلب هذا الذي يمتلكه بيولف، لا يفقد
الإنسانية رغم احتوائه للشجاعة والغضب. وهيا للإنسانية
التيوكلته للقصاص، ولن يردعه أحد أو يثنيه شيء عن تلك
الإنسانية التي بها يقتص. فليس كل الدماء حمراء كما نعتقد، بل
للطغاة دماء ليست كدمائنا، مستباحة، لكنها لا تُهدر بالأيدي
المرتعشة.

فتجرد من كل درع يرتديه على صدره أو بمعصميه وحتى
قميصه خلعه تماماً، وأخرج سكينه من ذاك الحذاء الطويل
ليغرسها في رقبة قاتل إخوته بهوان ولا مبالاة دون وداع أو

ثرثرة، وكأنه يغرسها بجذع شجرة ليس فيه حياة، وبدون أي ندم أو شعور. فاخرقت السكين رقبتها سلاسة كمرورها بالزبد، وبضغطة واحدة من قبضته القوية اخترق نصلها عنق قاتل إخوته ونفذ من قفاه ليستقر بمسند رأسه بالعرش، ليجعل من جسده مصلوباً على عرش مُلكه بيدين مرسلتين على راحتيه كصنم يعبد الجبناء والأغبياء. ليحتفظ بذاك العرش المُدنس الملعون الذي قتل وغدر بالجميع من أجله إلى الأبد، تربطه به سكين القصاص لتجعل منه عبرة.

وهكذا تأتي النهاية في لحظة غفلة أعد لها القدر سنين، يُطوي صفحة طاغية ويُنهى سيرته، فلن يتبقى منها سوى اللعنات على قدر ما اقترفه من آثام.. حتمية هي ومكتوبة في كتاب القدر نهاية الطغاة، أما البطولة والذكرى والأغنيات المنشودة فلن كانت نهاية الطغاة على أيديهم، لمن كانت أنفاسهم هادئة عند المواجهة وأيديهم ثابتة أثناء القصاص، هؤلاء هم الأبطال وهكذا البطولة.

- لقد جاء عهدك بلا منازع بيوولف وهذا عرشك فخذ.

فانتبه بيوولف لما يقوله ويجليوف ولما هو فيه من نصر وملك عظيم لم يكن يدركه حتى الآن، فنظر لهذا العرش الذي تلون بلون دماء الطاغية المُسالَة من رقبته، يتساءل في حالة من الذهول "ماذا تقصد وجليوف؟!".

نعم أيها الملك أنت وريث هذا العرش، أنت ملك النرويج الجديد وما لها من ممالك في بلاد الإفرنج، أنسيت بماذا نادتك الأم!، أنت ملك. نعم، أنت ملك.

فصمت بيوولف لفترة حتى تدارك وعيه، ثم أصدر أمره الأول بعد مقتل الطاغية قائلاً "وجليوف، ارم بهذا العرش الملعون المليء بدماء الطاغية خارج القصر حتى تراه العامة ويعلموا بسقوط الطاغية، ثم احشدوهم عند البحيرة وألقوا برأسه وجسده فيها أمام أعينهم حتى يعلم كل جبار إلى أي مصير

يتجه ومن أي هاوية سيسقط، واجعلوا من البحيرة رمزا وعبرة للقصاص من الطغاة وسموها خريف جهنم".

فابتسم له ويجليوف سعيداً بهذا المرسوم الملكي وقال له "سمعاً وطاعة أيها الملك". وهرول بتنفيذ أمره بسعادة وانتشاء.

فمهما طال الظلم والظلام؛ يرث الأرض في النهاية بطل من أبطالها الذين تستدعيهم كل حين لحقن دماء البشرية المستضعفة، ليبدأ عهد جديد من السلام بهذه الأرض الملعونة التي ظلت تعاني لسنوات وعقود من الطغاة وسافكيا لدماء والمعتدين وحلفاء الشيطان.

أنجز مهمته بعد رحلة من العناء لم تكن هينة، خاض خلالها صعابا تغلب عليها بحيله ومبادئه التي جعلت منه بطلاً حقيقياً، فمن حيلة (عض الإصبع) إلى (المطرقة) ف(المراوغة) ف(الاستقطاب) ف(اليد الخفية).... إلخ . يصنع حيلة لكل

مواجهة، تجعل منه غير قابل للانكسار أمام أي عدو جبار أو وحش أسطوري.

كان يبحث عن المجد، وها هو حصل عليه؛ حضارة عظيمة وإرث شهى ممتد من النرويج باسكندنافيا وبعض الجزر الشمالية إلى إسكتلاند وإيرلاند بأوروبا.. مُلك عظيم. حضارة مشيدة بالطوب والحجارة والأعمدة التي تحمل فوقها أدواراً عدة وأرضيات من الرخام والفسيفساء، وزخرفات بالزجاج الملون والجص في أشكاله الإبداعية. وأسوار وجداريات تحيط بالقصر تتحدث في نحتها عن إنجازات الملك وصولاته وجولاته وانتصارات جيوشه. ممرات خضراء لمداخل القصر مبدعة تحرسها أشجار على طول جانبي الممر كجنود تصطف فيموكب قدوم الملك.

مُلك مبهر بالنسبة لما يعرفه الإسكندنافيون عن الحضارة وعن التشييد والبناء، ولأنهم لم يشهدوا من قبل مثل هذا الطاغية؛ لم يشهدوا مثل هذه الحضارة. هي دائماً من صنع الطغاة،

يتباهون بها ويتطاولون فيها للتفاخر. لذلك شعر بالبهاء والعظمة في لحظة غرور مسروقة لما حققه.

وكانت الأقدار منصفة كفاية معهور حيمة حين أفقدتهم ملك موطنه البدائي الغوغائي لتعطيه ملكاً أعظم وأبهى وأشهى وأوسع رقعة وأقوى نفوذاً لينطلق منه لنصرة الضعفاء والمساكين، ويتحرك فيه كملك له شرعية مكتسبة من الشعوب المستضعفة لتحقيق العدل، بعد أن كانت نصرته الضعفاء مجرد هواية عنده لصناعة مجده.

أو بديلاً عن هذا أن يُفتن بالعرش وطبقه المذهب كما الباقين، فله الاختيار .. لكنه ببؤس؛ هيهات أن يفتن أو ينساق خلف وساوس الشياطين.

ومن الأنس يصبح له كلمة مسموعة لدى الكبار وعلى الكبار في هذه البقعة الشرسة التي لا تعترف إلا بالقوي.

ودائماً هي رائحة الأقدار؛ تعتنى بالعظماء وتوسع خلفهم وإن هربوا منها، لينالوا شرف تضحياتهم وبطولاتهم.

أما ويجليوف سياسي بارع فمنتبه. يقلقه دائماً المستقبل
فمستعد؛ مملكة جديدة مترامية الأطراف بحوزته، بها قبائل
مستعدة للتمرد في أول لحظة من إعلان موت قاتل إخوته. فما
يسعه أن يفعل.

فاختلى بنفسه أمام مدفئة عظيمة ببهو القصر في هذا البرد
القارس لهذا الشتاء المنطفئة شمس، ليبحت ويفند كل أفكاره
وحيله، يحدث نفسه ويقول "جزر شمالية بها قبائل (فيكينية)
مستعدة للتمرد والاستقلال فور إعلان موت قاتل إخوته.
وربوع واسعة مسلوبة من الإفرنج يأملون استعادتها منذ
زمن.."، ولم يكن يعلم حتى الآن أنهم استعادوا إسكتلاند
بالفعل في الخفاء. واستطرد "وفقدان أي من هذه الجزر
والربوع يقلل من هيبة الملك الجديد بيوولف. فما أهمية

سياسي بارع إن لم أجد الحلول المناسبة لأهم المواقف التي تتعلق بالهبة!!". وأخذ يشجع نفسه ويحمسها نحو الحلول الفعالة فيقول "ليس بيوولف فقط صاحب الحيل. فكما هو بارع في كونه بطلاً؛ أنا أيضاً بارع في السياسة". وأخذ يُفند أفكاره واحدة تلو أخرى، فمن فكرة إرسال هدايا لملك إنجلترا إلى فكرة طلب لقاء معه، وأفكار عدة أخرى دأبته ولكنه فضها واحدة تلو أخرى لعدم صلاحيتها ليبحث عن أخرى أكثر ملاءمة. وذلك لأنه يعلم أن الإفرنج أكثر استعداداً منه لهذا الموقف وهم يعدون له العدة منذ زمن لاستعادة أراضيهم .. الأفكار ليست جاهزة لديه، والحلول ليست سريعة، ولم تسعفه المدفأة بضالته، لكنه يحاول .. إلى أن أرشده فكره لأن يلعب على نفسية ومعنويات خصومه كما يحب الإفرنج أن يلعبوا فقال لنفسه: "دائماً ما تكون هناك لحظات صدمة وتأهب وانتظار تأتي مع تغيير الأوضاع الكبرى للبلاد، ونحن لدينا الورقة الراحبة؛ نمتلك الفعل وليس رد الفعل، والقرار الذي سنتخذه

سيأخذه الفرنج انطباعا دائما عن ملك العهد الجديد للفايكنج
بيوولف، والتركيز هنا سيكون على هيئته".

ولكنه نسي أنغفوية بيوولف وحدها كافية لصنع هيبة، ولكنها
ليست كافية دون سياسة تحتويها وتوجهها نحو البقاء. وبغفوية
دخل بيوولف القصر ليجد ويجليوف شاردا أمام المدفنة
لتساعده على صفاء الذهن في هذا البرد القارس، فداعبه وقال
له: "ما لك ويجليوف! أصبحت تستسيغ عيشة الترف
الأوروبي".

فالتفتله ويجليوف وأجابه:

لانت دائماً لديك حلول عند المواجهة أيها الملك، أما أنا
فمهمتي أن أبحث عن حلول لتلاشيها.

فجلس بيوولف بجواره وقال له:

المواجهة في هذا العالم حتمية يا صديقي، أنت فقط تبحث عن
حلول لتأجيلها.

للتأجيلا لأن ضروري حتى نستعد.

مما تخشى ويجليوف؟ .

الإفرنج حتماً يريدون استعادة إسكتلندا وإيرلندا، وهذه فرصة جيدة لهم.

وأظن أنهم يستولون عليهما دون مفاوضة الملك الجديد أولاً! هذه ليست من أعراف الملوك ويجليوف.
— هههه ومن يأبه.

يأبهون ويجليوف. أنت تستشعر الدفء المنبعث من هذه المدفئة التي تجلس أمامها، أليس كذلك؟ .. ونحن تماماً كهذه المدفئة بالنسبة لهم، نحمي ظهورهم ونبقيها دافئة من جهتنا. فهم لا يخشوننا بقدر الأسباب الذين هم في صراع دائم معهم. لذلك سيطلبون صداقتنا. أنت ترهق نفسك بالتفكير بهم ويجليوف رغم أنك لا تعنيهم بالمرّة.

أتمنى أن تكون محقا بشأنهم أيها البطل.

وكون الدنماركيين فاقدين للأمان كون مملكتهم ملعونة منذ القدم؛ يرحبون بكل من يقبل الدفاع عنهم ويقاقل من

أجلهم، ويهدونه ملكاً سهلاً ورعية طائعة. فقدم رسول النبلاء إلى النرويج يتلمس ما إن كان بيوولف أتم مهمته وقضى على قاتل إخوته أم لا فيخبره برسالة النبلاء. وما إن اطمأن وشهد إلقاء جسد قاتل إخوته ببخيرة خريف جهنم ذهب في طلب لقائه، فأدخله ويجليوف وأشار له بيوولف بالحديث فقال له الرسول: "سيدي بيوولف مبروك لنا ولك النصر، لقد انتصرنا هناك على جيوش قاتل إخوته وانتصرت أنت هنا عليه في وكره".

– مبروك على مملكتكم الملعونة وأرجو أن تكون تخلصت من لعنتها للأبد.

– هذا متوقف علموا فقتك يا سيدي.

– على ماذا أوافق يا هذا؟! لقد خاطرت بكل شيء من أجلكم، فكيف لي أن أرفض أو أوافق؟

– هذا بأن توافق على أن تكون ملكاً للمملكة الملعونة خلفاً للراحل ثوركيل.

– راحل!!.

- لقد قُتل في المعركة كما الأبطال سيدي.
- ومتى مراسيم الحرق؟ فلا بد وأن نشهد لها تكريماً له بما قدمه في معركته.
- ليس منمراسيمسيدي. مات ثوركيل وفُقد جثمانه بالبحر.
- فشرّد بيوولف قليلاً ثم قال:
- لقد أخبرته عن مصيره من قبل، فلم يصدقني.
- إذاً من أرسلك يا هذا؟ .
- ما كان لي أن آتى إلا بأمر من مجلس النبلاء يا سيدي الملك.
- وأخبروني بضرورة حضورك لتُشرف بنفسكومساعدك ويجليوف على نقوش عرشك وزخارف تاجكبمملكة الدنمارك.
- فلمعت عين ويجليوف وأشرق وجهه ابتساماً، فنظر له بيوولف يستشيرَه بنظرة عين، فأوماً ويجليوف له برأسه من خلف رسول النبلاء بالقبول. فأعاد بيوولف نظره للرسول وقال له: "اسبقنا أيها الرسول وبشر النبلاء وشعب مملكتكم أني قبلت الدعوة وسأوافيك بالحضور".

وتوّج ملكاً على النرويج وما لها من ممالك وعلى المملكة
الملعوننة وهو على مشارف عقده الثالث، واتخذ بالمملكة
الملعوننة عرشه ليستقر بها كونها مملكة شهية وشعبها مستسلم
لا يسعى للتمرد أو إثارة متاعب.

وبعد أيام قليلة قد مرت عليه بياشر مهام مملكته الواسعة
باستساعة جاءه ملك إنجلترا "شارلمان" بنفسه ليبارك له، فدخل
عليه قاعة عرشه وانحنى له، فرحب به بيوولف وتواضع له،
وجلسا على منضدة سوياً كون البرتكولات تعيب جلوس ملك
على عرشه في حضور آخر. فبادر شارلمان وقال له: "مبارك
لك أيها الملك بيوولف إرث إنفارت".

فأجابه بيوولف بتهكم وقال له:

— لا مبارك إرثه، بل ملعون.

فقال له شارلمان:

- في عهدك لن يكون كذلك بعون الآلهة.

- أية آلهة تقصد!! ، أليس لديكم إله تتقربون إليه؟

- نعم هو كذلك، وأدعوكم للإيمان به أيها الملك.

فانحنى عليه ويجليوف وهامسه ثم عاد لحديثه وأجاب

"ليس بعد، لسنا بصدد هذا الآن".

فقال شارلمان:

- لك ما تريد، فلم آت لهذا، إنما جئت لأبارك لك النصر

والملك العظيم، ولنعيد كتابة وثيقة تحالف بين مملكتينا، فلكم

عندنا قدم بايرلندا واسكتلندا.

- لا بأس من كتابة وثيقة تضمن لكل منا مناطق نفوذه دون أن

يتعدها أحد منا، ولا مانع أيضاً لديمن أن يمتد جسر من

التبادل التجاري بين مملكتينا، ويعم السلام سنوات بالمنطقة

نحقن فيها دماء أقوامنا ونتفرغ لبناء حضاراتنا.

- وأيضاً على أن تكونوا ظهر انجلترا الدافئ الذي يخشى جانبه الأعداء.

فنظر بيوولف لويجليوف وابتسم، ثم قال لشارلمان "سنكون كذلك".

يعلم شارلمان أن بيوولف ليس أحمق كقاتل إخوته، فأراد أن يكسب ثقته ويأمن جانبه ليتجنب الصدام معه، فلم يهتم لشأن التفاوض على استعادة إيلاندا واسكتلاندا طالما التفاوض عليهما ربما يغضب الملك الجديد لإسكندنافيا ويتسبب في حرب. والسنوات القادمة لا تسمح لإنجلترا ولا أوروبا بالحرب في جبهتين معاً: الأسبان من جهة والفايكنج من جهة أخرى، فالحديث عنهما سيظل معلقاً إلى أجل غير مسمى.

ومرت عدة سنوات أخرى على بيوولف كملك واسع النفوذ، يتحكم في بقعة كبيرة من الأرض: المملكة الملعوننة، النرويج والجزر الشمالية التابعة لها، وإيرلاندا، وإسكتلندا؛ جاب خلالها هذه الممالك الشاسعة مراراً، لبناء جيش قوي بكل مملكة ليستطيع أن يأمن به الحدود ويردع به أي قوة غاشمة أو أي تمرد داخلي. وبني قلاعاً عظيمة على غرار الإفرنج على مشارف كل دولة. غير أن السلام الذي حققه صنع رواجاً في التجارة عبر البحر بين الفايكنج والدول المجاورة والإمبراطوريات البعيدة أيضاً، واتسعت رقعة الفايكنج في عهده لتشمل دولا كثيرة انتشر فيها الفايكنج استيطاناً وانفتاحاً جريئاً على العالم، فانتشروا بأوروبا بشكل غير مسبوق وتزوجوا من الأوروبيات وتعايشوا في مجتمعاتهم. وتبادلوا اللغات والثقافات، والعادات والتقاليد، إلى حد أن اعتنق الكثيرون منهم المسيحية.

و ذات يوم بينما بيوولف جالس على عرش مُلكه يسامر ويجليوف جاءه رسول من السويد؛ الموطن، حيث الأهل

والعشيرة، حيث الأحبة والذكريات، حيث كانت النشأة والبداية . فقام له بيوولف ونزل عن عرشه تكريماً له فاحتضنه ثم بادره الترحيب وقال له: "مرحباً بالأخ الكريم، ما حال إخواننا بالسويد؟".

فأجابه الرسول بأسى وحزن مرسومين على وجهه ومكتومين بنبرته تعبيراً عن الحالة التي وصل إليها الموطن من السوء فطأطأ رأسه وقال:

لهذا بعثني إليك الملك هيثولفسيدي. فلم يعد الموطن كما كان أيها الملك الكريم منذ أن ضرب المملكة القحط والجفاف، منذ سنة تقريباً والناستعاني، توقف المطر فجفت الأنهار، والبذور لم تنبت فنفذ مخزون الطعام، فذبحنا القرايين تحت أقدام الآلهة لكن بلا فائدة، وصعدنا الجبال وصلينا لإله المطر لكن بلا صدى. فسخط الناس على الملك هيثولف وادّعوا أن الآلهة غاضبة عليه منذ أن جلس على العرش، فحدثت فتنة كادت تفتك بنا .. لم يعد الموطن كما تركته بيوولف. اسمح لي أن أناديك مجرداً من لقبك، فعهدناك دائماً بيوولف الشجاع

الإنسان الكريم الذي لم يخذل أحدا استغاث به من قبل. لقد ماتت في الموطن كل الذكريات بيوولف، وانطفأت فيه بسمات الأطفال، فقدت النساء سحرهن، وأغلقتنا قاعة الاحتفالات ولم تعد هناك أغنيات تُغنى، ولم يبق سوى نواح الفقد.. ولم يسع الملك هيثولف إلا أن يستجد بك أيها الملك، فأنت أمل السويد الوحيد بعد أن تخلت عنا الآلهة.

فرفع بيوولف رأس الرسول عندما طال صمته فوجده قد غلبت الدموع عينه، فنظر لويجليوف وقال له: "تعلم ما عليك فعله" فأوماً ويجليوف برأسه ثم غادر القاعة، فأعاد بيوولف النظر للرسول وقال له: "لن نترك أرض أجدادنا تفنى لنعمر أرضاً ليس لنا فيها جذور، ولن نترك عشيرتنا تموت لنصبح بلا أصل، بل سنعمل ونبذل حتى يعود الوطن قوى عظمى باسكندنافيا كما كان، وتعود فيه بسمات الأطفال تزين وجوههم، فهذه البسمات هي الشيء الوحيد القيم الذي سيتذكرونه حين يكونوا يافعين مثلنا".

وفي غضون يومين حمّل ويجليوف العشرات من السفن بالطعام وجرار الماء، تكفي السويد لأسابيع، إلى أن تعود السفن للمملكة مرة أخرى ويعاد تحميلها من جديد. وقاد بيولف تلك السفن بنفسه إليها.

وفي أثناء طريقهما طوى بيولف عند مقدمة السفينة مبتعداً عن الرجال، واتكأ على حافتها وشرد متأملاً صفحة المياه الزرقاء؛ حنين قد انتابه بعد غربة ظلت لسنوات تشغل فيها بالملك عن الوطن.. وليس كون موطنه لا يقع حدود نفوذه ومجده؛ أن ينساه أو يبتعد عنه لمجرد أن حلمه تحقق بعيداً عنه. هيهات. فقال في نفسه: "حين نترك العنان للضمير أن يتكلم، أن يعاتب، أن يغضب ويثور، حينها يجب أن نُنصت ونعي ونُلبى، ونترك كل شيء خلف ظهورنا ونعود.. للوطن حقاً، إذا نادى لبينا النداء. والمجد كل المجد أن نتخلى عن مجدنا الشخصي لمجد أوطاننا". فجري حوار صادق مع النفس يحفره نحو خيار العودة ليدعم ويساند شعب موطنه البائس المظلوم مع ملكه الضعيف هيثولف.

وحين رسا على شاطئ جزيرة (أولند)، وما إن لامست قدمه الأرض وظهرت طلته للناس المزدحمين على الشاطئ؛ تكالبوا عليه باستقبال باستقبال كاستقبال الفاتحين. فأخذ بعضهم يعانقه، وآخرون يشكون إليه، وبعض العجائز انكببن على قدمه يقبلونها كي لا للهلاك. وآخرون من الذين لا يستطيعون الوصول إليه أخذوا يلوحون له من بعيد ويهتفون باسمه؛ أغلبهم رث الثياب وضامرو الأجسام نحاف. ينظر لهم وكأن العالم يتحرك بهيميناً ويساراً مع تلويح أيديهم له، تظهر وتتلاأ له من بعيد وجوههم الشائخة وسط تشويش العالم من حوله كأن لا وجود إلا لهم، دوار قد أصابه من هول ما رأى عليه حال قومه الذين مزقتهم المجاعة. وأصوات بكاء وصراخ متداخلة مع شكاوى الناس له ورجائهم منه صنعت فوضى، ولكن من بين كل هذه الأصوات المتداخلة والنداءات، والبكاء والصرخات، أصوات كانت تزهوا باسمه وتناديه "يا ملك السويد- يا ملك السويد" .. له عندهم مكانة وحب، لم ينسوا ما كان يقوم به من أجلهم قبل أن يغادر السويد. ليسوا جاحدين.

وهناك من بين الحضور مكان ينتظر أن ينفض الناس من حوله ليستقبله كملك وكأبناء عمومة ويدعوه لقصره المتواضع (هيتولف). يقف بعيداً متحياً عن العامة (وطالما كان منفصلاً عنهم) ولكنه يسمعهم يلقبون بيوولف بملك السويد من دونه، غضب ولكنه لا يمتلك ردة فعل، هذا الخط الذي رسمه بينه وبين الناس حتى لا يعبروا إليه؛ هو نفسه الآن الحائل بينه وبين رد الفعل.

انتظر طويلاً إلى أن انشغل الناس بجلب المؤن من السفن فاستقبل بيوولف وأخذه معه إلى قاعة الاحتفال التي أغلقت منذ سنة تقريباً والتيل زالت على حالها لم تتغير وعلى نفس هيأتها منذ زمن وولفغار الجد، دخلها بيوولف وكأنه ضيف، فجلس هيتولف على عرشه فوق المنصة العالية وجلس بيوولف على مقعد كأي رجل عادي بخلاف البروتوكولات المعتادة، فقدمتلها الجاريات النبيذ، فرفضه بيوولف كونه لم يعتد الشرب كثيراً. أما هيتولف فشرب بشراهة غير معتادة ولا منطقية كالذي تركته حبيبته ويصارع ذاكرته بالنبيذ لينساها

أو كالجبان الذيلا يقوى على المواجهة الشجاعة فيستجديها من كأس نبيذ مُسكر. وبعد صمت طال على بيوولف، تحدث أخيراً هيثولف وقال له بفم منبعج وحروف ثقيلة:

– أتعلم بيوولف!، أتساءل إن كنت قد أخطأت عندما استغثت بك أم لا؟ كنت هناك عندما استقبلك العامة، وسمعتهم وهم يلقبونك بملك السويد، لا ألوم عليهم، فالناس طوع من يطعمهم، وقد فعلت أنت في الوقت الذي فشلت فيه أنا.

فدخل ويجليوف القاعة وهيثولف يتحدث، وعندما سمعه وقف مكانه على عتبة الباب كالوتد، وقد أردفهيثولف "...ولكن بعد هذا اليوم، ليس ليمن سلطان على الناس، سأتخلى عن الملك لأمحو هذا الخط الذي رسمته بيني وبينهم، سأتخلى عن الملك لك بيوولف، فلم يكن هذا الكرسي لي منذ البداية، وها هو قد عاد لك".

فأخذ وجليوف يستوعب ما قيل، وبيوولف جالس كما هو ينظر لهيثولف ولا زال ينظر له حتى بعدما أنهى حديثه دون ردة

فعل أو حراك، إلى أن قام هيثولف عن عرشه وبيده كأس النبيذ وقال له: "ها هو لك، قُمْ فخذهُ". فتقدم له ويجليوف ودفعه من ظهره عدة دفعات ليقوم ويصعد إلى العرش .. ثم وفجأة فُتح باب القاعة على مصرعيه من خلفهم، فالتفتله الجميع، وإذ بها "الأم" جاءت دون استدعاء، تتقدم نحوهم بظهرها المحني الذي عفى عليه الزمن ومن خلفها ضوء الشمس يضيء يخفى ملامح وجهها عنهم كشبح. (مفاجأة لم يتوقعها أحد). فتحدثت إلى بيوولف بصوتها الشائخ ونبرتها المميزة كالساحرات وهي تضحك وتقول "أعجبتك الجولة الأولى أيها الملك؟ أمستعد للثانية؟!".